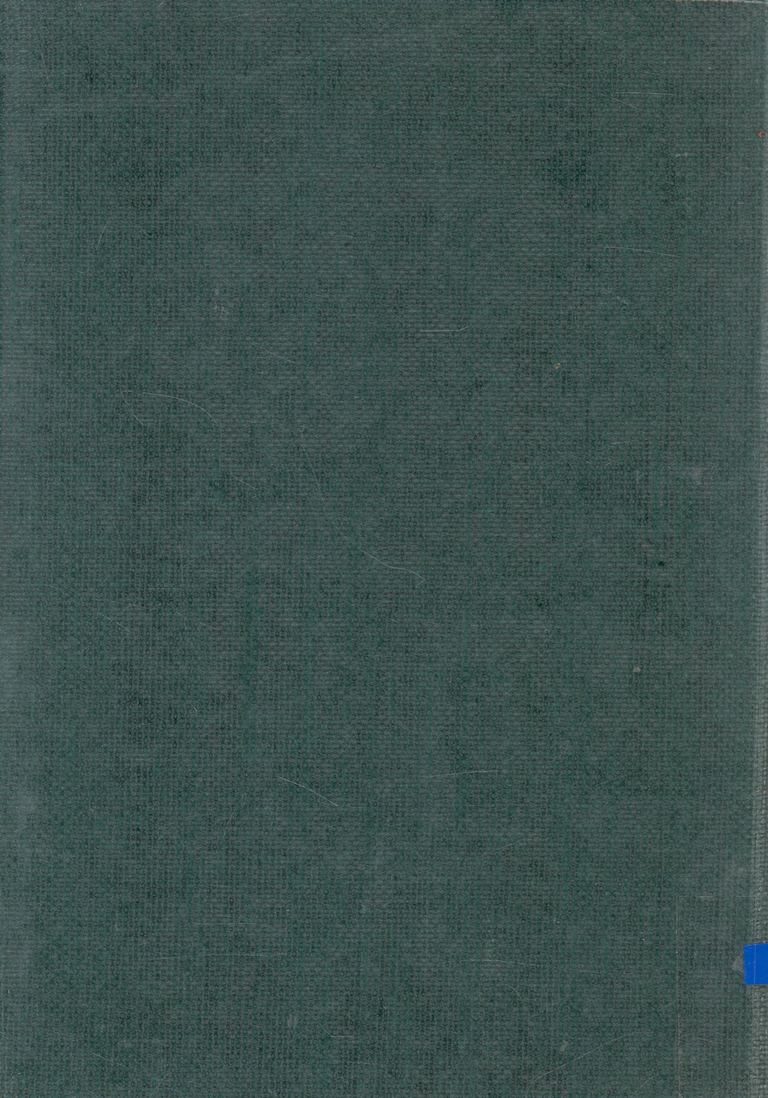


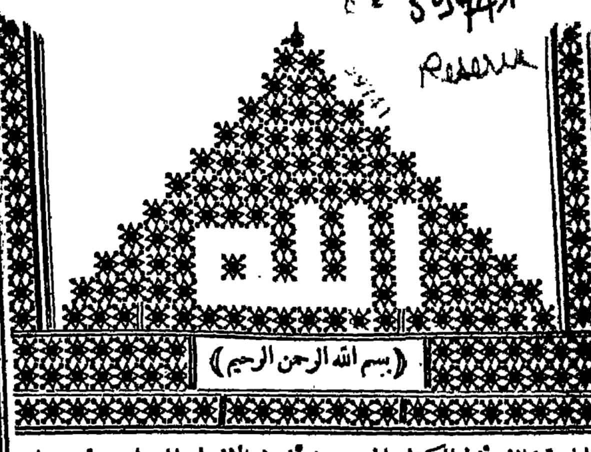
(هذا كتاب)

اعلام الناس بما وقع للبرامكة
مع بنى العباس

تأليف الامام الفاضل
والهمام الكامل محمد المعروف بدياب
الاتليدى رحمه الله تعالى والمسلمين
ونفعنا به وبعلومه
والمسلمين
آمين

(محل مبيعه)
(بمكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه)
(بجوار المسجد الحسينى بمصر)

(الطبعة الاولى)
(بمطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر المحمية)
(سنة ١٣٢٣ هجريه)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) الذى أنزل الكتاب المبين على أشرف الانبياء والمرسلين وقص عليه أخبار المتقدمين والمتأخرين وعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين نحمده اذ جعلنا من أمته ونشكره على عطائه ومنته (ونشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اذ من علينا بمعرفة أحوال من مضى من الامم ولم يكشف عنا ستره اذ ازل بنا القدم وجعلنا أمة عدولا وسطا وشهد انا بذلك فى الكتاب المعظم المكرم فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فظهر الفضل بما جاد به وتكرم (ونشهد) أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الذى قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى فساد على جميع الأنبياء وعليهم تقدم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (وبعد) فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتفريط فى أيامه وكثير التخليط وزيادة آثامه محمد يعرف بدياب الاتليدى من اقليم المنية الخصيبية سألنى بعض الاخوان الموفقين ممن لا يسعنى مخالفته أن أجمع له شيأ مما وقع فى زمن الخلفاء المتقدمين من بنى أمية والخلفاء العباسيين فأجبته لذلك مع علمى أنى لست أهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الأدب (وسميته اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس) وابتدأت فى ذلك بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه تبركا به وبذكره (قيل) لما رجع

عمر رضى الله عنه من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيتـه
فمر بعجوز فى خباء لها فقصدها فقالت مافعل عمر رضى الله عنـه قال قد أقبل من
الشام سالما فقالت يا هذا لا جزاه الله خيرا عنى قال ولم قالت لانه ما أنالنى من عطائه
منـذ ولى أمر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هـذا
الموضع فقالت سبحان الله والله ماظننت أن أحـدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين
مشرقها ومغربها فبكى عمر رضى الله عنه فقال واعمراه كل أحـد أفقه منـك حتى
العجائز يا عمر ثم قال لها يا أمة الله بكم تبيعين ظلامتك من عمر فانى أرحمـه من النار
فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها
بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه
وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنـين فوضعت
العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهـه فقال لها
عمر رضى الله عنه لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعـة جلد يكتب فيها فلم يجـد
فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشـترى عمر من
فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة الى يوم كذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعى عليه
عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى فعمر برىء منـه شـهد على ذلك على وابن
مسعود ثم دفعها الى ولده وقال له اذا أنا مت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربى (وقال)
شرف الدين حسـين بن ريان اغرب ما سمعتـه من الاخبار وأعجب ما نقلتـه عن
الاخيار ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ويسمع كلامـه قال
بينما الامام جالس فى بعض الايام وعنده أكابر الصحابة وأهـل الرأى والاصابة وهو
يقول فى القضايا ويحكم بين الرعايا اذ أقبـل شاب نظيف الاثواب يكتنفـه شابان
من أحسـن الشـبان نظيفا الثياب قد جـذباه وسحباه وأوقفاه بين يدى أمـير
المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فأمرهما بالكف عنه فادنياه
منه وقالا يا أمير المؤمنين نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان كان
لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم فى قبائله منزه عن الرذائل معروف بفضائله
ربانا صغارا وأعزنا كبارا وأولانا نعما غزارا كما قيل

لنا والد لو كان للناس مثله • أب آخر أغناهمو بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه فى أشجارها و يقطف يانع ثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أراك الله (قال الراوى) فنظر عمر الى الشاب وقال له قد سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجاش خال من الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع * ونزع جلباب الجزع * فتبسم عن مثل الجمان * وتكلم بأفصح لسان * وحياه بكلمات حسان ثم قال يا أمير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى وعبرا عما ترى وسأنهى قصتى بين يديك * والامر فيها اليك * اعلم يا أمير المؤمنين أنى من العرب العرباء أبيت فى منازل البادية * وأصبح على أسود السنين العادية * فأقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد * فأفضت بى بعض طرائقها * الى المسير بين حدائقها * بنياق حبيبات الى * عزيزات على * بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشى بينهن كأنه ملك عليه تاج فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها * فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد زمجر و زفر * وتسور الحائط وظهر * وفى يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر * فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله * وأصاب مقتله * فلما رأيت الفحل قد سقط بجنبه انقلب * توقدت فى جمرات الغضب * فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به فكان سبب حينه * ولقى سوء منقلبه * والمرء مقتول بما قتل به بعد أن صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة أليمة فأسرعت من مكانى فلم يكن بأسرع من هذين الشابين فأمسكانى وأحضرانى كما ترانى فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لى أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وأحضره بين يدى وأسلم أمره الى وأشهد الله على وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه بجهدك فاتخذت لذلك مدفنا ووضعته فيه ولا يعلم به الا أنا فان حكمت الآن بقتلى ذهب الذهب وكنت أنت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضى الله بين خلقه وان أنظرتنى ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافيا بالذمام ولى من يضمننى على هذا الكلام فأطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود الى مكانه قال فنظر الغلام الى وجوه أهل المجلس

الناظرين وأشار الى أبى ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلنى ويضمننى قال عمر يا أبا ذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم أضمنه الى ثلاثة أيام فرضى الشابان بضمانة أبى ذر وأنظراه ذلك القدر فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها يزول أو قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وأبو ذر قد حضر والخصم ينتظر فقال أين الغريم يا أبا ذر كيف يرجع من فر لا نبرح من مكاننا حتى تفى بضماننا فقال أبو ذر وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وأسلمت نفسى وبالله المستعان فقال عمر والله ان تأخر الغلام لامضين فى أبى ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية فاصرا على عدم القبول وأبيا الا الأخذ بثار المقتول فبينما الناس يموجون تلهفا لما مر ويضجون تأسفا على أبى ذر اذ أقبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه أتم السلام ووجهه يتهلل مشرقا ويتشكل عرقا وقال قد أسلمت الصبى الى أخواله وعرفتهم بخفى أحواله وأطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف عنه من قدر ومن وفى رحمه الطالب وعفا وتحققت أن الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبو ذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من أى قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الى دون من حضر فقصدنى وقال هذا يضمننى فلم أستحسن رده وأبت المروءة أن تخيب قصده اذ ليس فى اجابة القاصد من باس كيلا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك يا أمير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا فبدل وحشته بايناس كيلا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه واستغزر مروءة أبى ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين فى اصطناع المعروف وأثنى عليهما أحسن ثنائه وتمثل بهذا البيت

من يصنع الخير لم يعدم جوازيه ● لا يذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أبيهما فقالا انما عفونا ابتغاء وجه

ربنا الكريم ومن نيته هكذا الا يتبع احسانه منا ولا أذى (قال الراوى) فاثبتها في ديوان الغرائب وسطرتها في عنوان العجائب انتهى (واحضر) الهرمزان بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه مأسورا فدعاه الى الاسلام فأبى فأمر بضرب عنقه فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقتلنى اسقنى شربة من الماء ولا تقتلنى ظمآن فأمر له عمر بقدح مملوء ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال أنا آمن حتى أشرب به قال نعم لك الامان حتى تشرب به فألقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه ثم قال الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه دعوه حتى أنظر فى أمره فلما رفع السيف عنه قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال عمر رضى الله عنه لقد أسلمت خير الاسلام فما أخرك قال خشيت أن يقال انى أسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر رضى الله عنه بعد ذلك كان يشاوره فى اخراج الجيوش الى أرض فارس ويعمل برأيه انتهى • وسيأتى نظير ذلك فى أخذ الامان بالحيلة (ومما) ذكر عبد الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون مما وقع لجبلة بن الأيهم حين لطم الفزارى على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر رضى الله عنه دعه يقتص منك أو ما هذا معناه فقال لعمر وهل أستوى أنا وهو فى ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال أجلنى الى غد فلما أصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال أبياتا وهى هذه

تنصرت الاشراف من أجل لطمة • وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها لجاج ونخوة • فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى • رجعت الى الأمر الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة • وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة • أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الأيهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية أقطعه هرقل الاموال والضياع وبقى ما شاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام أو الى الجزية فلما أراد الانصراف قال هرقل للرسول ألقيت ابن عمك هذا الذى عندنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك قال الرسول فذهب الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة

والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم أزل أتلطف بالاذن حتى أذن لى فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به أسود اللحية والرأس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى أصهبت وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه أربعة اسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسألنى عن المسلمين فذكرت له خيرا وقلت قد أضعفوا أضعافا على ما تعرف فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبال على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما واغا ذكرت له ان الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وانه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الى الاسلام لان الرجل الذى كان تنصر جبلة من أجله لما لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فزاريا أيضا فقلت له أمرك أخف من أمره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال زدنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويوليني الأمر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم أضمن له تولية الأمر قال ثم أومأ الى خادم كان على رأسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها طعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فاكل فى الذهب وأكلت أنا فى الخلنج ثم دعا بطسوت الذهب وأباريق الفضة فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم أومأ الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن

يساره على تلك الكراسي ثم جاءت جارية أيضا كأنها الشمس حسنا على رأسها تاج وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفي يدها جامة فيها مسك فتيت وفي يدها الأخرى جامة فيها ماء ورد فأومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذي على تاجها فوقع في جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به ثانيا فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم أومأت اليه فطار ثم نزل على صليب في تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجواري اللواتي عن يمينه فقال لهن أضحكننا فاندفعن يغنين فجعلن يخفقن عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق في الزمان الاول

الى قوله أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريض عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال فضحك جبلة حتى بدت أنيابه ثم قال أتدري من يقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى الجواري اللواتي عن يساره وقال أبكيننا فاندفعن يغنين وتخفق عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار أقفرت بمعان * بين أعلى اليرموك فالجمان

الى قوله ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر وحق تعاقب الازمان

قال فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال أتدري من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الابيات التي أولها تنصرت الاشراف الى آخرها ثم سألني عن حسان أحي هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولي أيضا كذلك ثم أمر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لي ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية وأقرئه مني السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره قال فلما أخبرت عمر رضي الله عنه بخبره وما اشترطه علي وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامرة فاذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما أراد ثم جهزني عمر ثانيا الى هرقل وأمرني أن أضمن له ما اشترطت فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أم الكتاب انتهى (وقيل) انه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن أبي وقاص فقال

من يعذرني من أهل الكوفة ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوي فجروه فقال له المغيرة بن شعبة يا أمير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت أنت القوي الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم أيام عمر وأيام عثمان رضي الله عنهما وأيام معاوية حتى مات المغيرة انتهى (وقيل) دخل عمرو بن معديكرب الزبيدي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر أخبرني عن أجبن من لقيت وأحيل من لقيت وأشجع من لقيت قال نعم يا أمير المؤمنين خرجت مرة أريد الغارة فبينما أنا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كاعظم ما يكون من الرجال خلقا وهو محتب بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن أنت قلت أنا عمرو بن معديكرب الزبيدي فشهق شهقة فمات فهذا يا أمير المؤمنين أجبن من رأيت وخرجت مرة حتى انتهيت الى حي فاذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته فقلت خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن أنت فأعلمته بي فقال يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا على الارض فاعطني عهدا أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي فأعطيته عهدا فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتبى بحمائل سيفه وجلس فقلت ما هذا فقال ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك فان نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد فتركته ومضيت فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت وخرجت مرة حتى انتهيت الى موضع كنت أقطع فيه الطريق فلم أر أحدا فأجريت فرسي يمينا وشمالا واذا أنا بفارس فلما دنا مني فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من أجمل من رأيت من الفتيان وأحسنهم واذا هو قد أقبل من نحو اليمامة فلما قرب مني سلم فرددت عليه السلام وقلت من الفتى قال الحارث بن سعد فارس الشهباء فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال الويل لك فمن أنت قلت عمرو بن معديكرب الزبيدي قال الذليل الحقير والله ما يمنعني من قتلك الا استصغارك فتصاغرت نفسي يا أمير المؤمنين وعظم عندي ما استقبلني به فقلت له دع هذا وخذ حذرك فاني قاتلك والله لا ينصرف الا أحدنا فقال اذهب ثكلتك أمك فأنا من أهل بيت ما أثكلنا فارس قط قلت هو الذي تسمعه قال اختر لنفسك فاما أن تطرد لي واما أن أطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لي فاطرد وحملت عليه فظننت اني

وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف على فقنع بالقناة رأسى وقال يا عمرو خذها اليك واحدة ولولا انى أكره قتل مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسى عندى وكان الموت يا أمير المؤمنين أحب الى مما رأيت فقلت له والله لا ينصرف الا أحدنا فعرض على مقالته الاولى فقلت له اطرد لى فاطرد فظننت أنى تمكنت منه فأتبعته حتى ظننت انى وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار لبيا لفرسه ثم عطف على فقنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك يا عمرو ثانية فتصاغرت على نفسى جدا قلت والله لا ينصرف الا أحدنا فاطرد حتى ظننت أنى وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاذا هو على الارض فاخطأته فاستوى على فرسه واتبعنى حتى قنع بالقناة رأسى وقال خذها اليك يا عمرو ثالثة ولولا كراهتى لقتل مثلك لقتلتك فقلت اقتلنى أحب الى ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو وانما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك فى الرابعة قتلتك وأنشد يقول

وكدت أغلاظا من الايمان ٭ ان عدت يا عمرو الى الطعان

لتجدن لهب السنان ٭ أولا فلست من بنى شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لى اليك حاجة قال وما هى قلت أكون صاحبك قال لست من أصحابى فكان ذلك أشد على وأعظم مما صنع فلم أزل أطلب صحبته حتى قال ويحك أتدرى أين أريد قلت لا والله قال أريد الموت الاحمر عيانا قلت أريد الموت معك قال امض بنا فسرنا يومنا أجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حى من أحياء العرب فقال لى يا عمرو فى هذا الحى الموت الاحمر فاما أن تمسك على فرسى فأنزل وآتى بحاجتى واما أن تنزل وأمسك فرسك فتأتينى بحاجتى فقلت بل انزل أنت فانت أخبر بحاجتك فرمى الى بعنان فرسه ورضيت والله يا أمير المؤمنين بان أكون له سائسا ثم مضى الى قبة فأخرج منها جارية لم تر عيناى أحسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال اما أن تحمينى وأقود الناقة أو أحميك وتقودها أنت قلت لا بل أقودها وتحمينى أنت فرمى الى بزمام الناقة ثم سرنا حتى أصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل ترى أحدا فالتفت فرأيت رجالا فقلت اغذذ السير ثم قال يا عمرو انظر ان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليسوا بشىء فالتفت وقلت هم

أربعة أوخمسة قال اقصد ذا السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال ياعمرو كن عن يمين الطريق وقف وحول وجهه دوابنا الى الطريق فعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذاهم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو أبو الجارية والشابان أخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن أخي فقال ما كنت لاخليها ولالهذا أخذتها فقال لأحد بنيه أخرج اليه فخرج وهو يجر رمحه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ماترجوه خضب الذابل • من فارس ملثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وائل • ما كان يسرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ لابنه الآخر أخرج اليه فلاخير في الحياة على الذل فأقبل الحارث وهو يقول

لقد رأيت كيف كانت طعنتي • والطعن للقرم الشديد الهمة
والموت خير من فراق خلتي • فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن أخي فاني لست كمن رأيت فقال ما كنت لاخليها ولهذا قصدت فقال الشيخ يا ابن أخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما أرتجي عند فناء عمري • سأجعل التسعين مثل شعر
تخافني الشجعان طول دهري • ان استباح البيض قصم الظهر

فأقبل الحارث وهو ينشد ويقول

بعد ارتحالي ومطال سفري • وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر • والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن أخي ان شئت ضربتك فان أبقيت فيك بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان أبقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى وقال أنا أبدأ فقال الشيخ هات فرفع الحرث يده بالسيف فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قد منها امعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس الشيخ فسقطا ميتين فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت الى الناقة فقالت

الجارية ياعمرو الى أين ولست بصاحبتك ولست لى بصاحب ولست كمن رأيت فقلت اسكتى فقالت ان كنت لى صاحبا فاعطنى سيفا أو رمحا فان غلبتنى فأنا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما أنا بمعط ذلك وقد عرفت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها على البعير ثم أقبلت تقول

أبعد شيخى ثم بعد اخوتى * بطيب عيشى بعدهم ولذتى
واصحبن من لم يكن ذا همة * هلا تكون قبل ذا منيتى

ثم هوت الى الرمح وكادت تنزعه من يدى فلما رأيت ذلك منها خفت ان ظفرت بى قتلتنى فقتلتها فهذا يا أمير المؤمنين أشجع من رأيت (قيل) أتى رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضى الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت أقوى منك من أحد قال نعم خرجت بامرأة من أهلى أريد بها زوجها فنزلت على حوض فأقبل رجل معه ذود فضرب ذوده الى الحوض فسار رها يعنى المرأة وناد تنى فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لأدفعه عنها فأخذ رأسى بين عضديه وجنبه فما استطعت التحرك حتى قضى وطره منها فقالت أى فحل هذا لو كان منيحة فأمهلته حتى امتلأ نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه فتناول رجله فرمانى بها فاخطأنى أى فاتنى وأصاب رأس بعير فقتله فقال عمر رضى الله عنه ما فعلت بالمرأة فقال هذا حديث الرجل فكرر عليه السؤال فلم يزده على هذا ففطن انه قتلها انتهى (ويحكى) أن عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت أفعلتها قال لم أكن فاعلها قالت فاقرأ فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال

علمت بان وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مسومينا

قالت صدقت وكذبت عيناى قال فذهبت وأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت انتهى

(أول دولة بنى أمية معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما)

جلس يوماً فى مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربعة يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوماً شديد الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل فى مشيته حافياً فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالى أشقى ممن يحتاج الى الحركة فى هذا الوقت وفى مثل هذه الساعة فقال بعضهم لعله يقصد أمير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدى لاجل شئ لاعطينه واحتسب الأجر به أو مظلوما لانصرنه ياغلام قف بالباب فان طلب هذا الاعرابى فلا تمنعه من الدخول على فخرج فوافاه فقال ماتريد قال أمير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذى جاءبك فى هذا الوقت قال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك وأنشد يقول

معاوى ياذا الجود والحلم والبذل ❊ ويا ذا الندى والعلم والرشد والنبل

أتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى ❊ فيا غوث لا تقطع رجائى من العدل

وجدلى بانصاف من الجائر الذى ❊ بلانى بشئ كان أيسره قتلى

سبانى ابن سعدى وانبرى لخصومتى ❊ وجار ولم يعدل وأغصبنى أهلى

وهم بقتلى غير أن منيتى ❊ تأنت ولم أستكمل الرزق من أجلى

قال فلما سمع معاوية كلامه والنار تتوقد من فيه قال له مهلا يا أخا العرب اذكر قصتك وأبن لى عن أمرك فقال يا أمير المؤمنين كانت لى زوجة وكنت لها محبا وبها كلفا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لى جذعة من الابل كنت أستعين بها على قوام حالى وكفاية أودى فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر فبقيت لا أملك شيأ فلما قل ما بيدى وذهب مالى وفسد حالى بقيت مهانا ثقيلا على الذى يأتينى وأبعدنى من كان يشتهى قربى وازورمن لا يرغب فى زيارتى فلما علم أبوها ما بى من سوء الحال وشر المآل أخذها منى وجحدنى وطردنى وأغلظ على فأتيت الى عاملك مروان بن الحكم راجيا لنصرتى فلما أحضر أباها وسأله عن حالى قال ما أعرفه قط فقلت أصلح الله الامير ان رأى أن يحضرها ويسألها عن قول أبيها فعل فبعث

خلفها فلما حضرت بين يديه وقعت منه موقع الاعجاب فصارلى خصما وعلى منكرا وأظهرلى الغضب وبعث بى الى السجن فبقيت كأنما خررت من السماء أو استهوت بى الريح فى مكان سحيق ثم قال لأبيها هل لك أن تزوجنيها على ألف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصها من هذا الاعرابى فرغب أبوها فى البذل وأجابه الى ذلك فلما كان من الغد بعث الى وأحضرنى ونظر الى كالأسد الغضبان وقال طلق سعاد فقلت لا فسلط على جماعة من غلمانه فأخذونى يعذبوننى بأنواع العذاب فلم أجد لى بدا من طلاقها ففعلت فأعادنى الى السجن فكنت فيه الى أن انقضت عدتها فتزوجها وأطلقنى وقد أتيتك راجيا وبك مستجيرا واليك ملتجئا وأنشد يقول

فى القلب منى ضرام • للنار فيه استعار • والجسم منى بسهم
فيه الطبيب يحار • وفى فؤادى جمر • والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعا • فدمعها مدرار • وليس الا بربى • وبالامير انتصار

قال ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مغشيا عليه وأخذ يتلوى كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم فى حدود الدين وظلم واجترأ على حرم المسلمين ثم قال لقد أتيتنى يا أعرابى بحديث لم أسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغنى انك تعديت على رعيتك فى حدود الدين وينبغى لمن كان واليا أن يكف بصره عن شهواته ويذكر نفسه عن لذاته ثم كتب بعده كلاما طويلا اختصرته وأنشد يقول

وليت أمرا عظيما لست تدركه • فاستغفر الله من فعل امرئ زانى
وقد أتانا الفتى المسكين منتحبا • يشكو الينا ببث ثم أحزان
أعطى الاله يمينا لا يكفرها • شيئ وأبرأ من دينى وايمانى
ان أنت خالفتنى فيما كتبت به • لاجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وعجلها مجهزة • مع الكميت ومع نصر بن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضهما فى المهمات لامانتهما فأخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فدخلا على مروان ابن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان

يقرأ ويبكى ثم قام الى سعاد وأعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتابا يقول فيه هذه الابيات

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد ● أوفى بنذرك فى سر واعلان
وما أتيت حراما حين أعجبنى ● فكيف أدعى باسم الخائن الزانى
أعذر فانك لو أبصرتها لجرت ● فيك الامانى عن تمثال انسان
فسوف يأتيك شمس ليس يدركها ● عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب فقرأه وقال لقد أحسن فى الطاعة وأطنب فى ذكر الجارية ثم أمر باحضارها فلما رآها رأى صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها فى الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال على بالاعرابى فأتى به وهو فى غاية من تغير الحال فقال يا اعرابى هل لك عنها من سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوار نهد أبكار كأنهن الاقمار مع كل جارية ألف دينار واقسم لك فى بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك قال فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه مات بها فقال له معاوية ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فمن أستجير من جورك وأنشد يقول

لا تجعلنى فداك الله من ملك ● كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب ● يمسى ويصبح فى هم وتذكار
أطلق وثاقى ولا تبخل على بها ● فان فعلت فانى غير كفار

ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتنى الخلافة ما أخذتها دون سعاد وأنشد يقول

أبى القلب الا حب سعدى وبغضت ● على نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاوية انك مقر بانك طلقتها ومروان مقر بانه طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك تزوجناها وان اختارتك حولناها اليك قال افعل فقال ما تقولين يا سعاد أيما أحب اليك أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وأمواله وما أبصرتيه عنده أو مروان بن الحكم فى تعسفه وجوره أو هذا الاعرابى فى جوعه وفقره فانشدت تقول

هذا وان كان في جوع واضرار • أعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج أومر وان عامله • وكل ذي درهم عندي ودينار

ثم قالت والله يا أمير المؤمنين ما أنا بجاذاته لحادثة الزمان ولا لغدرات الايام وان له عندي محبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وأنا أحق من يصبر معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها له وموافاتها فدفع لها عشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابي وأخذها وانصرف انتهى (ومن ثمرات الاوراق) عن الاجوبة الهاشمية والاغتراق الحل الرفيع فمن أجل ذلك أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنه والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا أمير المؤمنين ابعث الى الحسن بن علي رضي الله عنهما يحضر لدينا قال لهم ولم ذلك قالوا كي نوبخه ونعرفه ان أباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه وان تنتصفوا منه ولا تقولوا له شيأ الا كذبكم ولا يقول لكم ببلاغته شيأ الا صدقه الناس فقالوا أرسل اليه فانا نكفيه فأرسل له معاوية فلما حضر قال يا حسن اني لم أرسل اليك ولكن هؤلاء أرسلوا اليك فاسمع مقالتهم فقال الحسن رضي الله عنه فليتكلموا ونحن نسمع فقام عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا حسن هل تعلم ان أباك أول من آثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله تعالى به ثم قام الوليد بن عقبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد أردنا قتل أبيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا ذنب ثم قام عتبة بن أبي سفيان فقال يا حسن ان أباك قد تعدى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبهما الله منه ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة وقال كلاما سبا لعلي وتعظيما لعثمان فقام الحسن رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال بك أبدأ يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت تشتمني بغضا وعداوة ومخالفة لجدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال أنشدكم الله ان الذي شتمه هؤلاء أما كان أبي وهو أول من آمن بالله وصلى الى القبلتين وأنت يا معاوية كافر تشرك بالله وكان مع أبي لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين مع معاوية ثم قال أنشدكم الله

تعالى أما كان معاوية يكتب لجدي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل ذلك يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أشبع الله بطنه يا معاوية أما تعرف ذلك من بطنك ثم قال وأنشدكم الله أما تعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه وهو على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال وأنت تعلم ذلك هذا كله لك يا معاوية وأما أنت يا عمرو فقد تنازع عليك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الأمهم وهو أقلهم حسبا وأسوأهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت اني شانئ محمدا بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني لا أحسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما عملت وعلمت فكذبك وردك خائبا فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلا نلومك على بغضك الآن وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف نلومك على سبك لابي وقد جلدك أبي في الخمر ثمانين جلدة وقتل أباك صبرا بأمر جدي وقتله جدي بأمر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية بعدي يا محمد فقال جدي لهم النار فلم يكن لهم عند جدي غير النار ولم يكن لهم عند أبي غير السوط والسيف وأما أنت يا عتبة فكيف تعيب أحدا بالقتل ولا تعيب نفسك فلم لا قتلت الذي وجدته على فراشك مضاجعا زوجتك ثم امسكتها بعد ان بغت وأما أنت يا أعور ثقيف ففي أي شئ تسب عليا أفي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لحكم جائر في رعيته في الدنيا فان قلت في شئ من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني أريد أن أطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوعك فكيف يشق على طيرانك فكيف يا أعور ثقيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام (وروى) أن معاوية رضي الله عنه خرج عاما حاجا فمر بالمدينة ففرق على أهلها أموالا جزيلة ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما فلما حضر قال له معاوية مرحبا من حبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال الحسن رضي الله عنه كيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له معاوية قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة

وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة الزهراء رضى الله عنها
(وقيل) ان معاوية رضى الله عنه جلس يوما بين أصحابه اذ أقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وائتونى بأخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا أمير المؤمنين احداهما من اليمن والأخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا يأتوننا وأما أهل اليمن فينزلون فى أماكنهم الى أن نأذن لهم فى الدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال أتدرون يا أهل قريش لم أخرت أهل اليمن وقربتكم قالوا لا والله يا أمير المؤمنين قال لانهم لم يزالوا يتطاولون علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم وانى أريد اذا دخلوا غدا وأخذوا أماكنهم من الجلوس أن أقوم فيهم نذيرا وألقى عليهم من المسائل ما أقل به اكرامهم وأرخص به مقامهم فاذا دخلوا وأخذوا أماكنهم من الجلوس وسألوا عن شئ فلا يجيبهم أحد غيرى (قال الراوى) وكان المقدم عليهم رجلا يقال له الطرماح بن الحكم الباهلى فأقبل على أصحابه وقال أتدرون يا أهل اليمن لم أخركم ابن هند وقدم قريشا قالوا ألا قال لانه فى غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقى عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه وأخذتم أماكنكم من الجلوس وسألكم عن شئ فلا يجيبه أحد غيرى فلما كان من الغد دخلوا عليه وأخذوا أماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال أيها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب وعلى من أنزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم يقل يا أمير المؤمنين فقال لماذا فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة أرسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلى وهو جدنا فقرأ العربية وتداولتها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يا معاوية عرب بالجنس وأنتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال أيها الناس من أقوى العرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا فآويناه ونصرناه فأنزل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا وكان النبى صلى الله عليه وسلم محسنا الينا متجاوزا عن سيآتنا فلم تفعل أنت كذلك كأنك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع رأسه وقال أيها الناس من

أفصح العرب لسانا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان امرأ القيس بن حجر الكندى منا قال فى بعض قصائده

يطعمون الناس ضبا • فى السنين المحلات
فى جفان كالجوابى • وقدور راسيات

وقد تكلم بألفاظ جاء مثلها فى القرآن وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا وقال أيها الناس من أقوى العرب شجاعة وذكرا ومن شهد له بذلك قال الطرماح نحن يا معاوية قال ولم ذلك قال لان منا عمرو بن معديكرب الزبيدى كان فارسا فى الجاهلية وفارسا فى الاسلام وشهد له بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال له معاوية وأين أنت وقد أتى به مصفدا بالحديد فقال له الطرماح ومن أتى به قال معاوية أتى به على قال الطرماح والله لو عرفت مقداره اسلمت اليه الخلافة ولا طمعت فيها أبدا فقال له معاوية أتحججنى يا عجوز اليمن قال نعم أحججك يا عجوز مضر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت بنبيه سليمان بن داود عليهما السلام وعجوز مضر جدتك التى قال الله فى حقها وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد قال فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خيرا من صاحب ووفر عقلك ورحم سلفك وأعطاه وأحسن اليه انتهى (قال الراوى) وخطب معاوية يوما فقال أيها الناس ان الله تعالى قال وان من شئ الا عندنا خزائنه وماننزله الا بقدر معلوم فعلام تلوموننى اذا قصرت عنكم فى عطايا كم فقال له الاحنف بن قيس انا والله مانلومك فيما فى خزائن الله ولكن وضعت يدك على ما أنزل الله من خزائنه فجعلته فى خزائنك وحلت بيننا وبينه (ومما روى عن الشعبى) قال استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسد على معاوية ابن أبى سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قال لها يا بنت الاسد ألست القائلة

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة • يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه • واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبى محمد • علم الهدى ومنارة الايمان
وقد الجيوش وسر أمام لوائه • وارم بأبيض صارم وسنان

قالت بلى يا معاوية ومامثلى من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك على ذلك قالت



حب على واتباع الحق قال والله ما أرى عليك من أثر على شيأ قالت أنشدك الله يا معاوية لا تذكر ما مضى قال هيهات وما مثلك ومقام أخيك يسبنى وما لقيت من أخيك قالت صدقت يا معاوية لم يكن أخى ذميم المقام ولا خبيا وهو والله كقول الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به ✱ كأنه علم فى رأسه نار

وأنا أسألك يا معاوية اعفائك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك قالت يا معاوية انك أصبحت للناس سيدا ولأمورهم واليا والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من يغرك ويبطش بسلطانك ويحصدنا حصد السنبل ويدرسنا درس العصفر ويسومنا الخسف ويسلبنا الجليل هذا ابن أرطاة قدم علينا فقتل رجالى وأخذ مالى ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما أقررته فعرفناك فقال لها أبقولك تهددين هممت أن أحملك على قتب جمل أشرس وأسيرك اليه لينفذ فيك أمره فأطرقت وبكت وأنشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنها ✱ قبر فأصبح فيه الحق مدفونا

قد حالف الحق لا يبغى به بدلا ✱ فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال ولم قالت أتيته فى رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلى فلما نظر الى انفتل من صلاته ثم قال برأفة ورحمة ألك حاجة فأخبرته فبكى ثم قال اللهم أشهد على وعليهم انى لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة ظرف الجواب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ اذا قرأت كتابى هذا فاحتفظ بما فى يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فاخذته منه وأوصلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال معاوية اكتبوا لها برد مالها والعدل فى حالها فقالت ألى خاصة أم لى ولقومى قال بلى لك قالت اذا الفحشاء واللوم هى والله اما عدلا شاملا والا فأنا كسائر قومى قال اكتبوا لها بحاجتها هى وقومها (ولما) اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية

رضى الله عنه ونقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط راسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول

لبيت تخفق الارواح فيه ٭ أحب الى من قصر منيف
وأكل كسيرة فى كسر بيتى ٭ أحب الى من أكل الصنوف
وأصوات الرياح بكل فج ٭ أحب الى من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عينى ٭ أحب الى من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولى ٭ أحب الى من قط ألوف
وبكر يتبع الاظعان صعب ٭ أحب الى من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى ضعيف ٭ أحب الى من علج عنيف

(قال الراوى) فلما سمع معاوية الابيات قال ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنيفا (حكاية أجنبية عن المقام) يحكى أن بهرام لما ولى الملك بعد أبيه أقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد ولا يفكر فى ملكه ولا فى رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت فى أيامه وقلت العمارة وخلت بيوت الاموال فلما كان فى بعض الأيام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذان وهو عند المجوس كالحاخام عند اليهود والقسيس عند النصارى لأمر خطر بباله فجعل يحادثه فتوسطا فى سيرهما بين خربات كانت من أمهات الضياع قد خربت فى مدة ملكه لا أنيس فيها الا البوم واذا ببوم يصيح وصاحبته تجاوبه من تلك الخربات فقال بهرام أترى ان أحدا من الناس أعطى فهم لغة هذا الطائر المصوت فى الليل البهيم فقال الموبذان أيها الملك أنا ممن خصه الله بذلك قال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال الموبذان هذا بوم ذكر يخطب بومة ويقول لها متعينى بنفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فأجابت ان الذى تدعونى اليه لى فيه الحظ الأكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والآجل الا أنى أشترط عليك خصالا ان أعطيتها أجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبينه منى قالت أن تعطينى من خربات أمهات الضياع عشرين قرية مما خربت فى أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذى قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها

ان دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعك منها ألف قرية خراب فما تصنعين قالت
فى اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكر فنقطع لكل ولد من أولادنا ضيعة من
هذه الخربات فقال لها الذكر هذا أسهل أمر سألتنيه وأنا ملى بذلك ما حيى هذا
الملك فلما سمع الكلام من الموبذان تأثر فى نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما
خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا بالموبذان فقال أيها القائم
بأمر الدين الناصح للملك والمنبه له عما أغفله من أمور ملكه واضاعة بلاده
ورعيته ما هذا الكلام الذى خاطبتنى به فقد حركت منى ما كان ساكنا فقال
الموبذان صادفت من الملك السعيد وقت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام
مثلا وموعظة على لسان الطائر عند سؤال الملك اياى عما سأل فقال له الملك أيها
الناصح اكشف لى عن هذا الغرض ما المراد منه فقال أيها الملك ان الأمر لا يتم الا
بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا قوام الشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال
ولا قوام الرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل
وهو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قيما وهو الملك
فقال الملك أما ما وصفت فحق فأبن لى عما اليه تقصد وأوضح لى فى البيان قال نعم أيها
الملك انك عمدت الى الضياع فأقطعتها الخدم وأهل البطالة فعمدوا الى ما تعجل
من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع
وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع
فانجلوا عن ضياعهم وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس
من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بسببها تستقيم دعائم الملك
فلما سمع الملك ذلك أقام فى موضعه ثلاثة أيام وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب
الدواوين فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة والحاشية وردت الى أربابها وحملوا
على رسومهم السالفة وأخذوا فى العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد
بذلك وأخصبت وكثرت الأموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت
مواد الاعداء وأقبل الملك يباشر الأمور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه
حتى كانت أيامه بعده تدعى بالاعياد لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل
انتهى (حكاية أخرى أجنبية) حكى عن الأصمعى أنه قال دخلت البصرة أريد

بادية بنى سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسرى فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذى جمال وكمال وأدب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص أصبناه البارحة فى منازلنا فنظر اليه فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم أدناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والأمر على ما ذكروه فقال له ما حملك على ذلك وأنت فى هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملنى الشره فى الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك أمك أما كان لك فى جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر عن السرقة قال دع عنك هذا أيها الأمير وانفذ ما أمرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداى وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر فى أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابنى وأنا ما أظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فأخبرنى بها فقال أيها الأمير لا يقع فى نفسك سوى ما اعترفت به عندك وليس لى قصة أشرحها لك الا انى دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا فأدركونى وأخذوه منى وحملونى اليك فأمر خالد بحبسه وأمر مناديا ينادى فى البصرة ألا من أحب أن ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى فى الحبس ووضع فى رجليه الحديد تنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

هددنى خالد بقطع يدى * ان لم أبح عنده بقصتها
فقلت هيهات أن أبوح بما * تضمن القلب من محبتها
قطع يدى بالذى اعترفت به * أهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فأتوا خالدا وأخبروه بذلك فلما جن الليل أمر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه أديبا عاقلا لبيبا ظريفا فأعجب به وأمر له بطعام فأكل وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت أن لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فأنكرها واذكر فيها شبهات تدرأ عنك القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم أمر به الى السجن فلما أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتى

فأقبل يحجل في قيوده ولم يبق أحد من النساء الا بكى عليه وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب فأمر بتسكيت الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا أيها الأمير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك سرقته من غير حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلك شريك القوم في شئ منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما ارادا

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبرزت جارية من صف النساء وعليها آثار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم أسفرت عن وجه كأنه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة ثم نادت بأعلى صوتها اناشدتك الله أيها الأمير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هي مكتوب فيها

أخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظي من قسي الحالق
فأصماه سهم اللحظ مني فقلبه * حليف الجوى من دائه غير فائق
أقر بما لم يقترفه لانه * رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه * كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس وأحضر المرأة ثم سألها عن القصة فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه أراد زيارتها وان يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع أبوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فأخذوه وقالوا هذا سارق أتوا به اليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروأته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وأمر باحضار أبي الجارية وقال له ياشيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وان الله عصمني من ذلك وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد أمرت

لابنتك بعشرة آلاف درهم وأنا أسألك ان تأذن لى فى تزويجها منه فقال الشيخ قد أذنت أيها الأمير بذلك قال فحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وأمر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق أحد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال الأصمعى فما رأيت يوما أعجب منه أوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح (وهذه حكاية تشابه ما تقدم) قال حماد الراوية كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ أتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كأنها قضيب بان فقال صاحب الشرطة أصلح الله الأمير انى وجدت هذا وهذه مجتمعين فى خلوة وليس لهما محرم فقال جعفر للفتى ما تقول فقال صدق ولقد طال والله غرامى بها منذ ثلاث سنين والله ما أمكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وأنشد يقول

تمنيت من ربى أفوز بقربها * فلما تهيا لى المنى عاقه العسر
فوالله بل والله ما كان ريبة * وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدونكم جلدى ولا تجلدونها * فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاء شديدا فقال لها وأنت لم تبكين فقالت والله شفقة مما حل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال أتحبينه قالت فلم غررت بنفسى قال لها أنت حرة أم مملوكة قالت بل مملوكة فأمر هاف قد خلت الدار وأحضر مولاها فاشتراها منه بمائتى دينار وأعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها فأنشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الأكرمين بنعمة * جمعت بها بين المحبين فى ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ * وقد جل ما قد كان منك عن الشكر

قال فضحك وأمر لهما بالجائزة وانصرفا مسرورين اهـ

(فى أيام دولة عبد الملك بن مروان) وهو أول من تسمى عبد الملك فى الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره فى حياة الحيوان * وذكر محمد بن واسع الهيتى ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى الحجاج بن

يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسر لي ثلاث جوار مولدات نهد أبكار يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين ثم أمرهم بما أمر به أمير المؤمنين وأمرهم أن يغوصوا في البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهد أبكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين متعني الله تعالى ببقائه يأمر فيه ان أشتري له ثلاث جوار مولدات نهد أبكار وان أكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها أما الجارية الأولى أطال الله بقاء أمير المؤمنين فانها الطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في طرفها دعج يزينها • كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عظيمة الردف شاكرة القليل مساعدة الخليل بديعة الجمال كأنها خشف غزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهز والسفر بهؤلاء الجواري لأمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الأمير اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني فتأذن لي أن أجهزه قال نعم فتجهز وا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الأماكن فنامت الجواري فهبت ريح فانكشفت احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني ما تمل من البكا • وقلبي باسهام الاسى يترشق

أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى • وقلبي رهين كيف لا أتعشق

فأجابته بقول لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد
فلما جن الليل انقض ابن النخاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فأخذها وأراد الهرب بها ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك فلما قدموا بالجواري بين يديه اخذ الكتاب وفتحه وقرأه فوجد الصفة موافقة فى اثنتين ولم توافق فى الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق الصفة التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها وهذا الانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول وعلينا الأمان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين وأخبروه بما فعل بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبى * وان تعف فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا أم هوى الجارية فقال وحقك يا أمير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى بالجارية فقال هى لك بما أعد لها فأخذ الغلام الجارية بكل ما أعد لها أمير المؤمنين من الحلى والجمان وسار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما أصبح الصباح وأراد الناس الرحيل نبهوهما فوجدا ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما فى الطريق ومضى الى خبرهما أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك اه (وهذه حكاية تشابهها فى العشق) حكى عن عبد الله بن معمر القيسى انه قال حججت سنة الى بيت الله الحرام فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحنينا باديا فانصت اليه فاذا هو يقول هذه الأبيات

أشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك بلابل الصدر
ام عز نومك ذكر غانيـة * أهدت اليك وساوس الفكر
يا ليـلة طالت على دنف * يشكو الغرام وقلة الصبر

أسلمت من يهوى لحر جوى * متوقدا كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انى كلف * مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت أحسبنى بهاشجنا * حتى بليت وكنت لا أدرى

قال ثم انقطع الصوت ولم أدر من أين جاءنى فبقيت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والحنين وأنشأ يقول هذه الأبيات

أشجاك من ريا خيال زائر * والليل مسود الذوائب عاكر
واقتاد مقلتك الهوى برسيسه * واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كأنه * يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كأنه * ملك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ماله * الا الصباح مساعد وموازر
فاجابنى مت حتف أنفك واعلمن * أن الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الأبيات أؤم الصوت فما انتهى لآخر الأبيات الا وأنا عنده فرأيته غلاما ماسال عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين فقلت انعمت غلاما فقال وأنت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسى قال أفلك حاجة قلت له كنت جالسا فى الروضة فما راعنى فى هذه الليلة الا صوتك فبنفسى أفديك ما الذى تجده قال اجلس فجلست قال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصارى غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت غير بعيد فاذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت على وقالت يا عتبة ما تقول فى وصل من يطلب وصلك ثم تركتنى وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا وقفت لها على أثر فانا حيران أنتقل من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم أفاق كأنما صبغت ديباجتا خديه بورس ثم أنشد يقول هذه الأبيات

أراكم بقلبى من بلاد بعيدة * تراكم ترونى بالقلوب على بعد
فؤادى وطرفى يأسفان عليكم * وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن أخى تب الى ربك واستقل من ذنبك فان بين يديك هول المطلع

فقال هيهات ما أنا بسال حتى يؤب القارنان ولم أزل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر واذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية فلست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك قال وما بالها قلن أخذها أبوها وارتحل الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هى ريا بنت الغطريف السلمى فرفع رأسه وأنشأ يقول

خليلى ريا قد أجد بكورها * وسار الى أرض السماوة عيرها

خليلى انى قد عييت عن البكا * فهل عند غيرى عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة انى وردت بمال جزيل أريد به أهل الستر ووالله لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا الى مسجد الانصار فقمنا حتى أشرفنا على مائهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملا ما تقولون فى عتبة وأبيه قالوا من سادات العرب قلت فانه رمى بداهية من الهوى فاريد منكم المساعدة الى السماوة قالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بنى سليم فاعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حييتم يا كرام قلنا وأنت حييت انا لك أضياف فقال نزلتم بأكرم منزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا فنزلت العبيد ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضى حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر العالى المفخر الطيب العنصر فقال يا أخى ان التى تخطبونها أمرها الى نفسها وأنا أدخل وأخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الى ريا فقالت يا أبت مالى أرى الغضب بين عينيك فقال ورد على قوم من الانصار يخطبونك منى فقالت سادات كرام استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة فيهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه يفى بما وعد ويدرك ما طلب قال أقسمت لا زوجتك به أبدا فقد نمى الى بعض حديثك معه قالت ما كان ذلك قال ولكن أقسمت انى ما أزوجك به قالت احسن اليهم فان الانصار لا يردون ردا قبيحا فأحسن الرد قال بأى شئ قالت أغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاة الحى قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا فقال أريد لها ألف سوار من ذهب أحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب

هجر ومائة ثوب من الابراد والحبر وخمسة اكرشة من العنبر قال قلت لله ذلك فهل أجبت قال أجل فانفذ عبد الله نفرا من الانصار الى المدينة المنورة فأتوا بجميع ماضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال أربعين يوما ثم قال خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف وسرنا حتى اذا بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب انها من بنى سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الأرض وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية تقول واعتبتاه فالقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة

تصبرت لا انى صبرت وانما • أعلل نفسى انها بك لاحقه

ولو أنصفت روحى لكانت الى الردى • امامك من دون البرية سابقه

فما أحد بعدى وبعدك منصف • خليلا ولا نفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما فى التراب ورجعت الى ديار قومى وأقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت لأعودن الى قبر عتبة فأتيت الى القبر فاذا شجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به (ومثل ما تقدم من العشق وماورد فى كتمان الهوى مع تحقق النظر عند اعلانه) ما حكى عن بعض المعمرين من ذوى النعم قال بينما أنا فى منزلى اذ دخل على خادم لى ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الى هذا الكتاب ففضضته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء ونلت خيرا • وفرجك المليك من الغموم

فعندك لو منت شفاء نفسى • وأعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم اخرج وائتنى به فخرج فلم ير أحدا فتعجبت من أمره وأحضرت الجوارى كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن أنهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيأ فقلت انى لم أفعل ذلك بغلا بمن

يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهى هبة منى له بحالها ومائة دينار وكتبت جوابه أشكره على ذلك وأسأله قبولها ووضعت الكتاب فى جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيأ فليأخذه فمكث الكتاب والذهب أياما لا يأخذه أحد ففهمنى ذلك قلت هذا اقنع ممن يعجبه بالنظر فمنعت من يخرج من جوارى من الخروج فما كان الا يوم أو بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض أصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج وائتنى به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه

ماذا أتيت الى روح معلقة * عند التراقى وحادى الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما لجذبها * فى السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لى تأتى بفاحشة * وان عقباك دنيانا وما فيها
لقلت لا والذى أخشى عقوبته * ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لجئنا بالذى سكنت * بيت الفؤاد وأبدينا أمانيها

قال ففهمنى أمره فقلت للخادم لا يأتينك أحد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما أنا قد أفضت من عرفة واذا فتى الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه السلام ورحبت به فقال أتعرفنى فقلت وما أنكرك بوه فقال أنا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت له يا أخى لقد غمنى أمرك وأقلقنى كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما أتيتك مستحلا من نظر كنت أنظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك والجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالححت عليه فلم يفعل فقلت له أما اذا أبيت فعرفنى من هى من جوارى لأكرمها من أجلك ما حييت فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعنى وانصرف وكان آخر العهد به انتهى (ونعود) الى الكلام على ماوقع فى زمان عبد الملك بن مروان (روى) انه لما ولى الحجاج الحرمين الشريفين حظى عنده ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما أراد الحجاج الرجوع الى الشام الى عبد الملك بن مروان وفد معه ابراهيم بن محمد بن طلحة وقال أتيتك برجل الحجاز فى الشرف والابوة والفضل والمروءة يا أمير المؤمنين مع ما هو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة والله لم يكن فى الحجاز

له نظير فبالله عليك يا أمير المؤمنين الا فعلت معه من الخير ما هو مستحقه فقال عبد الملك من هو يا أبا محمد قال له ابراهيم بن محمد بن طلحة قال يا أبا محمد لقد ذكرتنا بحق واجب ائذن له في الدخول فلما دخل على عبد الملك أمر بجلوسه في صدر المجلس ثم قال ان أبا محمد الحجاج ذكرنا ما نعرفه من كمال مروءتك وحسن نصيحتك فلا تدع في صدرك حاجة الا أعلمتنا بها حتى نقضيها لك ولا نضيع شكر أبي محمد الحجاج فيك قال ابراهيم ان الحاجة التي نبغي بها وجه الله تعالى والتقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة نصيحة أمير المؤمنين قال قل قال لا أقولها وبيني وبينك ثالث قال ولا صديقك الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو لا يعرف أين تطأ رجله فلما مضى قال له هات نصيحتك فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهما من تعرف من أولاد المهاجرين والأنصار وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما تعلمه من ظلمه وفسقه وجوره وبعده من الحق وقربه الى الباطل يسومهم الخسف ويطؤهم بالعسف فليت شعري أي جواب أعددته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألك الله في عرصات القيامة عن ذلك فبالله عليك يا أمير المؤمنين الا عزلته وادخرتها قربة الى الله تعالى فقال عبد الملك لقد ظن الحجاج الخير بغير أهله ثم قال يا ابراهيم قم فقمت على أخس حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنيا في وجهي فتبعني حاجبه وقبض على زندي وجلس بي في الدهليز ثم دعا عبد الملك بالحجاج فدخل فمكث طويلا فاشككت أنهما يتشاوران في قتلي ثم دعاني فقمت ودخلت فوافاني الحجاج خارجا فعانقني وقال جزاك الله عني خيرا في هذه النصيحة أما والله لئن عشت لأرفعن قدرك وتركني وخرج ودخلت وأنا أقول يهزأ بي وهو معذور فدخلت على عبد الملك فاجلسني مجلسي الأول ثم قال لي قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين ووليته العراق وأعلمته أنك استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق وانك تطلب له الزيادة في الأعمال وهو يظن أنك السبب في توليته العراق وقد تهلل وجهه فرحا لذلك فسر معه أينما توجه ولك خيرا ولا تقطع نصيحتك عنا والله أعلم (وفي) مروج الذهب للمسعودي وشرح السيرة وغيرهما ان أم الحجاج بن يوسف وهي الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها فأعياهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم في صورة

الحرث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ولد ليوسف الثقفي من الفارعة ولد وقد أبى أن يقبل ثدي أمه فقال اذبحوا له تيسا أسود وأولغوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا وأولغوه من دمه واطلوا به وجهه ثلاثة أيام ففعلوا فقبل الثدي في اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك الدم وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره اهـ من حياة الحيوان في حرف التاء (وحكي) أن الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقي اعرابيا فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شكوته الى عبد الملك ابن مروان قال أظلم وأغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك اذ تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابي أنه الحجاج فقال الاعرابي أيها الامير السر الذي بيني و بينك لا يطلع عليه أحد الا الله فتبسم الحجاج وأحسن اليه وانصرف (وذكر) أهل التواريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن صرفطة فقال يا خالد ائتني بمحدث من المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهى الى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال أجب الامير قال ابعثك الامير الي قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف انت ومحادثة الامير قال سيجدني كما يحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل تروى شيأ من الشعر قال ما من شاعر الا وأروى عنه قال فهل تعرف من أنساب العرب ووقائعها قال لا يذهب عني شئ من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما أحب حتى اذاهم بالانصراف قال يا خالد مر للفتى ببرزون وغلام ووصيفة وأربعة آلاف درهم فقال الفتى أصلح الله الامير بقي من حديثي أظرفه وأعجبه فعاد الحجاج الى مجلسه وقال حدثني فقال أصلح الله الأمير هلك والدي وأنا طفل صغير فنشأت في حجر عمي وله ابنة بسني وكان في التصابي من الصبا وما كنا فيه أعجوبة حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها أموالا لجمالها وكمالها فلما رأيت ذلك خامرني السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت الى خابية عظيمة فملأتها رملا وصخرا وقيرت رأسها ودفنتها تحت فراشي فلما تم على ذلك أيام بعثت الى عمي فقلت يا عمي اني كنت أريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموت ولا يعلمه أحد فان حدث بي أمر فاخرجه وأعتق عني عشر نسمات واحجج عني عشر حجج وجهز عني عشر رجال

بخير لهم وأسلمتهم وتصدق عنى بألف دينار ولا تبال يا عم فان المال كثير فلما
سمع عمى مقالتى أتى امرأته فاخبرها بقولى فما كان بأسرع من أن أقبلت بجواريها
حتى دخلت على فوضعت يدها على رأسى ثم قالت والله يا ابن أخى ما علمت بسقمك
وما حل بك حتى أخبرنى أبو فلان الساعة وأقبلت تلاطفنى وتعالجنى بالأدوية
وحملت لى الطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رأيت ذلك تحاملت ثم بعثت الى
عمى ان الله عز وجل قد أحسن الى وعافانى فابتغ لى جارية من خصالها وكمالها
كيت وكيت ولا يسألونك شيأ الا أعطيته فقال يا ابن أخى ما يمنعك من ابنة عمك
فقلت هى من أعز خلق الله تعالى على غير أنى قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال
كلا ان الامتناع كان من قبل أمها وهى الآن سمعت ورضيت بذلك فقلت شأنك
فرجع الى امرأته فاخبرها بقولى فجمعت عشيرتها فزوجونى اياها فقلت عجل على
بابنة عمى كيف شئت ثم أرسلت الخابية فاهديت الى ولم تدع شيأ يصنع باشراف
النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها على وأحضرتها بكل ما وجدت اليه سبيلا وأخذ عمى
متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا فى كل صباح من قبل أبويها
الطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بأيام أتانى عمى وقال يا ابن أخى انا قد أخذنا
من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا صابرين على حبس الثمن قلت شأنك
والخابية فرمسرها حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى
منزله فلما فتحها كان فيها ما علمت فما كان بأسرع من أن جاءت أمها بجواريها فلم
تدع فى منزلى كثيرا ولا قليلا الا حملته فبقيت مهانا على الأرض وجفتنا كل الجفاء
فهذا حالى أصلح الله الأمير فأنا من خجلى وضيق صدرى آوى الى المساجد فقال
الحجاج يا خالد مر للفتى بثياب ديباج وفرس أرمنية وجارية وبرذون وغلام
وعشرة آلاف درهم وقال يا فتى اغد الى خالد غدا حتى تستوفى منه المال فخرج
الفتى من عند الحجاج قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول ليت
شعرى ما أبطأ بابن عمى أقتل أم مات ام عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت
يا ابنة عمى أبشرى وقرى عينا فانى دخلت على الحجاج فكان من القصة كيت
وكيت وحكيت لها ما كان من أمرى فلما سمعت الفتاة مقالتى لطمت وجهها
وصاحت فسمع أبوها وأمها وأخواتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك

فقالت لا بيها الا وصل الله رحمك ولا جزاك عنى وعن ابن أخيك خيرا جفوته وضيعته حتى أصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم يا ابن أخى ما حالك فقلت والله ما بى من بأس الا أنى دخلت على الحجاج وذكر له من أمره ما كان وانه أمر له بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما أصبحوا بعثوا الى المعالج فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله أخرى فيقول الفتى والله ما بى من بأس وانما دخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول فى الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقى الفتى مقيدا مغلولا فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال يا خالد ما فعل الفتى فقال أصلح الله الأمير ما رأيته منذ خرج من حضرة الأمير قال فابعث اليه أحدا قال فبعث اليه خالد سيافرا الحرمى على عم الفتى فقال له ما فعل ابن أخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن أخى لفى شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء فى عقله قال لا أدرى ما تقول لا بد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال يا ابن أخى ان الحجاج قد بعث فى طلبك أفاحلك قال لا الا بين يديه فحمل فى قيوده وغله على ظهور الرجال حتى أدخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال أصلح الله الأمير ان آخر أمرى أعجب من أوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال يا خالد أضعف للفتى ما كنا قد أمرنا له به فقبض المال أجمع وحسن حاله ولم يزل مسامر الحجاج حتى مات اه (وحضر) اعرابى عند الحجاج فقدم الطعام فأكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابى حتى أكل منها لقمة ثم قال من أكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من أكلها وبقى الاعرابى ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال أيها الأمير أوصيك بأولادى خيرا ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وأمر له بصلة (وحكى) ان الحجاج أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب فأحاط بهم وقال لهم من أنتم حتى خالفتم الأمير (فقال الاول)

أنا ابن من دانت الرقاب له • ما بين مخزومها وهاشمها

تأتي اليه الرقاب صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من أقارب أمير المؤمنين (وقال الثانى)

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من أشراف العرب (وقال الثالث)

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه * وقومها بالسيف حتى استقامت

ركاباه لا تنفك رجلاه منهما * اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فامسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما أصبح رفع أمرهم الى الحجاج فاحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الأول ابن حجام والثانى ابن فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا أولادكم الأدب فوالله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم ثم أطلقهم وأنشد

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(وقيل) أمر الحجاج بقتل أسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل يا حجاج ان كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو والله تعالى يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله تعالى فى الكفار فكيف بالمسلمين وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج أف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم أحدا ولكن اطلقوا بقيتهم (قال الراوى) ولما ولى الحجاج العراق قال على بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها كنت بالامس فى وقعة الزبير تحرضين الناس على قتل رجالى ونهب أموالى قالت نعم قد كان ذلك يا حجاج فالتفت الحجاج الى وزرائه وقال ماترون فى أمرها فقالوا اعجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال ما أضحكك قالت وزراء أخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم فى موسى فقالوا أرجه وأخاه أى أنظره الى وقت آخر وهؤلاء يسألونك تعجيل قتلى فضحك الحجاج وأمر لها بعطاء وأطلقها (وحكى) ان

هند بنت النعمان كانت أحسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فاقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سلالة أفراس تحللها بغل

فان ولدت مهرا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله ابن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنا والله كنا فما حمدنا ثم بنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف هي لك ببشارتك بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها لنفسه فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين ان الكلب ولغ في الاناء فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين اني لا أجري العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط أقول أن يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وأرسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب ولم يخالف وامتثل الامر وأرسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت في محمل وركب حولها جوار بها وخدمها فترجل الحجاج وهو حاف وأخذ بزمام البعير يقوده ويسير بها فأخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا دايتي اكشفي لي ستارة

المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها في وجهه فضحكت عليه فانشد يقول

فان تضحكي ياهند يارب ليلة ❊ تركتك فيها كالقباء المفرج

فاجابته تقول

ومانبالي اذا أرواحنا سلمت ❊ بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والعزم مرتجع ❊ اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى أن قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت ياجمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان (ذكر في حياة الحيوان) قال عون بن أبي شداد العبدي بلغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الاحوص ومعه عشرون رجلا فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب في صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي ربه بأعلى صوته فدنوا منه وسلموا عليه فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام فقالوا له أرسل الحجاج اليك فاجبه فقال لا بد من الاجابة قالوا الا بد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يامعشر الفرسان أصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير فان الاسد واللبوة يأويان الى الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وأبى سعيد أن يدخل الدير فقالوا ما نراك الا تريد الهرب قال لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا قالوا فانا لا ندعك فان السباع تقتلك قال سعيد ان معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا لي من كل سوء ان شاء الله تعالى قالوا أفأنت نبي من الانبياء قال ما أنا من الانبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول علي في الصومعة فدخلوا وأوتروا القسي فاذا هم بلبوة أقبلت ودنت من سعيد وتحككت وتمسحت به ثم ربضت قريبا منه ثم أقبل الاسد فصنع

مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل اليه وسأله عن شرائع الاسلام وسنن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب وحسن اسلامه
وأقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب
الذى وطئه بالليل وصلى عليه وقالوا ياسعيد حلفنا الحجاج بالطلاق ان نحن رأيناك
لاندعك حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشأنكم فانه لا بد من الرجوع
لخالق ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسط فلما انتهوا قال لهم سعيد يامعشر القوم
قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلى قد حضر وأن المدة قد انقضت
فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يحثى
على من التراب فاذا أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم المكان الذى تريدون فقالوا
لبعضهم لا نريد أثرا بعد عين وقال بعضهم قد بلغتم أمنيتكم واستوجبتم جوائزكم
من الأمير فلا تعجزوا عنه فقال بعضهم هو على أدفعه اليكم ان شاء الله تعالى
فنظروا الى سعيد فدمعت عيناه واغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ
لقوه فقالوا بأجمعهم ياخير أهل الارض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا
كيف ابتلينا ما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر والمجاوبة له وقال كفيله
أسألك ياسعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لا نلقى مثلك أبدا فدعا لهم
سعيد ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون الليل كله فلما
انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا صاحبكم ورب
الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به الى الحجاج فدخل عليه المتلمس
فسلم وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن
جبير قال أنت شقى بن كسير قال بل أمى كانت أعلم باسمى منك قال شقيت أنت
وشقيت أمك قال الغيب يعلمه غيرك قال لأبدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت أن ذلك
بيدك لاتخذتك الها قال فما قولك فى محمد قال نبى الرحمة قال فما قولك فى على أفى
الجنة أم فى النار قال لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك فى
الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فأيهم أحب اليك قال أرضاهم للخالق قال فأيهم
أرضى للخالق قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال
أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستو

التابوب قال ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح والا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شئ جمع للدنيا الا ما طاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اختر أى قتلة تريد قال اختر لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال أفتريد أن أعفو عنك قال ان كان العفو من الله فبلى وأما أنت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده وقال ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك فأمر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين قال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فذبح على النطع رحمه الله تعالى فكان رأسه بعد قطعه يقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعدها خمسة عشر يوما وذلك في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضى الله تعالى عنه تسعا وأربعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان﴾

كان يختم القرآن في ثلاث وكان يختم في رمضان سبع عشرة ختمة قال ابراهيم بن علية كان يعطيني أكياس الدنانير أقسمها في الصالحين وكان يقول لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط في كتابه العزيز ما ظننت أن أحدا يفعله قال الحافظ بن عساكر كان الوليد عند أهل الشام افضل من خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل أعمى قائدا وذكر ان جملة ما أنفق على المسجد الأموى أربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناءه الا أخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما أدرج في أكفانه غلت يداه الى عنقه نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى

(خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان)

(فما) يذكر من محاسنه أن رجلا دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله والاذان فقال سليمان أما أنشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتي الفلانية غلبني عليها عامل فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الأرض وقال والله لا رفعت خدي من الأرض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الأرض ولما سمع كلام ربه الذي خلقه وخوله في نعمه خشي من لعن الله وطرده رحمه الله (قيل) انه أطلق من سجن الحجاج ثلثمائة ألف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا مشيرا وكان شرها في الاكل نكا ما قال ابن خلكان في ترجمته انه كان يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامي • قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير افتتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الأولى وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضي عنه • وقال أبو سويد حدثني أبو زيد الأسدي قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الأحمر مفروش بالديباج الأخضر في وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع على رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الأشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال يا أبا زيد في مثل هذا الحين تصاب الحنا فقلت أصلح الله الأمير أوقامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال يا أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا قلت أعز الله الأمير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء ملفوفة لفاء أشربها من كفها وأمسح فمي بخدها فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال يا أبا زيد حضرت في يوم انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرني ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أيها الأمير كنت جالسا على باب أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد

خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى يبين منها بياض ثدييها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين تضربان حقويها ولها صدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوأتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء من لا يسلو وعلاج من لا يسمو طال الحجاب وأبطأ الجواب فالقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم مختبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة والى العزاء سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت مليا ورفعت رأسها فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أم أرضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكفها كأنها لم ترنى ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاسات لصب معاند ثم انصرفت فوالله أصلح الله الأمير ما أكلت طيبا الا غصصت به لذكرها وما رأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها فقال سليمان يا أبا زيد كاد الجهل يستفزنى والصبا يعاودنى والحلم يعزب عنى لشيء ما سمعت اعلم يا أبا زيد ان تلك الجارية التى رأيتها هى الذلفاء التى قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * قد أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى بألف ألف درهم وهى عاشقة لمن باعها والله ان مات الا بموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت هيبة قم يا أبا زيد فى دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة له صارت اليه الذلفاء فأمر بفسطاط فأخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها من أنواع الزهر من أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه فلم يزل فى أكل وشرب وسرور وأتم حبور الى أن انصرف شئ من الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان أيضا فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرى أصلحك الله قال وما قرا كم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما

الاكل والشراب فباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم غيرة أمير المؤمنين ونهيه الاما كان فى مجلسه قالوا لاحاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قالوا اغننا بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الأبيات

محبوبة سمعت صوتى فأرقها • من آخر الليل لما نابه السحر
فى ليلة البدر مايدرى مضاجعها • أوجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت حراس ولا غلق • فدمعها لطروق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوى على قدم • وكاد من لينها للمشى ينفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة الا رأت ذلك كله فى نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه • قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله • الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعينى من هذا المحال فوالله لقد خامر قلبك منه ياغلام على بسنان فدعت الذلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين فلما أتى به قال ياسنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملنى الشمول وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عنى فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت أن الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وأن الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى (وقيل) كان فى أيام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بنى أسد كانت له مروأة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم وكان يواسيهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال يا ابنة عمى قد رأيت من اخوانى تغيرا وقد عزمت على أن

ألزم بيتي الى أن يأتيني الموت فأغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفذ وبقي حائرا وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة وانما سمي بذلك لأجل كرمه فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض ما حاله فقالوا قد صار الى أمر لا يوصف وانه أغلق بابه ولزم بيته قال أفما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فقالوا الا فأمسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر باسراج دابته وخرج سرا من أهله فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس وقال أصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم أمسك بلجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك فقال له عكرمة يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة وأريد أن تعرفني قال فما أقبله الا أن عرفتني من أنت فقال أنا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس على ابنة عمه فقال لها ابشري فقد أتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة قومي فأسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق وأما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه فأنكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه في سر من أهله الا الى زوجة أو سرية فقال اعلمي أني ما خرجت في واحدة منهما قالت فخبرني فيم خرجت قال يا هذه ما خرجت في هذا الوقت وأنا أريد أن يعلم بي أحد قالت لا بد أن تخبرني قال تكتمينه اذا قالت فاني أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده عليه ثم قال أتحبين أن أحلف لك أيضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ما ذكرت وأما خزيمة فلما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه واستأذن دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورا بمروأته وكرمه وكان سليمان عارفا به فأذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان بن عبد الملك يا خزيمة ما أبطأك عنا قال سوء الحال قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي يا أمير المؤمنين قال فيم نهضت الينا الآن قال لم أعلم

يا أمير المؤمنين الا أنى بعد هدوء من الليل لم أشعر الا ورجل يطرق الباب وكان من
أمره كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف
الرجل فقال خزيمة ماعرفته يا أمير المؤمنين لانه كان متنكرا وما سمعت من
لفظه الا انى جابر عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على
معرفته وقال لو عرفناه لكافأناه على مروأته ثم قال على بقناة فأتى بها فعقد
لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة الفياض فخرج
خزيمة طالبا الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه فسلما على
بعضهما ثم سارا جميعا الى أن دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار الامارة وأمر أن يأخذ
لعكرمة كفيل وأن يحاسب فحوسب فوجد عليه فضول أموال كثيرة فطالبه
بادائها قال مالى الى شئ من ذلك سبيل قال لابد منها قال ليست عندى فاصنع ما أنت
صانع فأمر به الى الحبس ثم أنفذ اليه من يطالبه فارسل يقول انى لست ممن يصون
ماله بعرضه فاصنع ماشئت فأمر أن يكبل بالحديد فأقام شهرا كذلك أو أكثر
فاضناه ذلك وأضر به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتمت لذلك ثم دعت مولاة لها
وكانت ذات عقل ومعرفة وقالت لها امضى الساعة الى باب هذا الأمير خزيمة بن
بشر وقولى عندى نصيحة فاذا طلبت منك فقولى لا أقولها الا للامير خزيمة بن
بشر فاذا دخلت عليه فسليه أن يخليك فاذا فعل ذلك فقولى ما كان هذا جزاء
جابر عثرات الكرام منك كافأته بالحبس والضيق والحديد ففعلت الجارية ذلك
فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته واسوأتاه وانه لهو قالت نعم فأمر لوقته
بدابته فأسرجت وبعث الى وجوه أهل البلد فجمعهم اليه وأتى بهم الى باب الحبس
ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا فى قاعة الحبس متغيرا أضناه الضر والالم
وثقل القيود فلما نظر اليه عكرمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فأقبل
خزيمة حتى أكب على رأسه فقبله فرفع عكرمة اليه رأسه قال ما أعقب هذا منك
قال كريم فعالك وسوء مكافأتى قال يغفر الله لنا ولك ثم أتى بالحداد ففك القيود عنه
وأمر خزيمة أن توضع القيود فى رجل نفسه فقال عكرمة ماذا تريد فقال أريد
أن ينالنى من الضر مثل ما نالك فقال أقسم عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى
وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف عنه فقال ما أنت ببارح قال

ومايريد قال أغيرحالك وان حيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك ثم أمر بالحمام فأخلى ودخلاه معا فقام خزيمة وتولى أمره وخدمه بنفسه ثم خرج فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه فى الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتذمم من ذلك قال ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم بغير أمرنا ماهذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل أن يسلم عليه ماوراءك ياخزيمة قال الخير ياأمير المؤمنين قال فما الذى أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال ياعكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه فى رقعة ففعل ذلك فأمر بقضائها من ساعته وأمر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل اردده الى عمله ياأمير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله أعلم

(خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ونفعنا به)

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو تابعى جليل قال الامام أحمد بن حنبل ليس أحد من التابعين قوله حجة الا عمر بن عبد العزيز كان رضى الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا أزال ما كانت بنو أمية تذكر به عليا رضى الله عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولما ولى الخلافة رضى الله عنه وفدا الشعراء اليه وأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وأنشد يقول أبياتا منها

ياأيها الرجل المرخى عمامته • هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل ولم يذكر شيأ من أمرهم ثم مر بهم عدى بن أرطاة فقال جرير أبياتا آخرها

قوله لا تنس حاجتنا القيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني
قال فدخل عدي على عمر وقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة فقال ويحك يا عدي مالي وللشعراء قال أعز الله أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة قطع بها لسانه قال أو تروي من قوله قال نعم وأنشد

رأيتك يا خير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمرا مدنسا * وأطفأت بالاسلام نارا تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وقد كان قدما ركنه قد تهدما

فقال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن أبي ربيعة قال له أوليس هو الذي يقول

ثم نبهتها فمدت كعابا * طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها لي قالت * ويلتي قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان أستر له لا يدخل علي والله أبدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أوليس هو الذي يقول

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز أكتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا * أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

لا يدخل علي والله أبدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي أوليس هو الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا * ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعود أدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل علي أبدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الأحوص قال أوليس هو الذي يقول الله بيني وبين سيدها * يفر مني بها وأتبعه
فمن بالباب دون من ذكرت أيضا قال جميل بن معمر قال أوليس هو الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا وان أمت • يوافق موتى موتها او ضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها فى الدنيا ليعمل بعدها صالحا لكان أصلح والله لا يدخل على أبدا فهل أحد سوى من ذكرت قال جرير قال أو ليس هو الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا • وقت الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فانشد قصيدته الرائية المشهورة التى منها

انا لنرجوا اذا ما الغيث أخلفنا • من الخليفة ما نرجوا من المطر

جاء الخلافة أو كانت له قدرا • كما أتى ربه موسى على قدر

هذى الارامل قد قضيت حاجتها • فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

الخير ما دمت حيا لا يفارقنا • بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا أرى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنين أنا ابن سبيل منقطع فأعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد ولينا هذا الأمر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله يا غلام أعطه المائة الأخرى فأخذها جرير وقال والله لهى أحب مال اكتسبته فى عمرى ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جرير فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض وأنشد يقول

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه • وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

قال أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى قال يونس الكاتب خرجت الى الشام فى خلافة هشام بن عبد الملك ومعى جارية غانية وكنت علمتها جميع ما تحتاج اليه وأنا أقدر فيها أنها تساوى مائة ألف درهم قال فلما قربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية منه وأصبت من طعام كان معى وأخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما أنا كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس أشقر ومعه خادمان فسلم على وقال أتقبل ضيفا قلت نعم فاخذ بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته فقال ان شئت أن تغنى صوتا فغنيته

حازت من الحسن ما لا حازه البشر • فلذلى فى هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ۝ قال قل لجاريتك فلتغن فأمرتها فغنت

جويرة حار قلبي في محاسنها ۝ فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى أن صلينا العشاء ثم قال ما أقدمك علينا هذا البلد قلت أردت بيع جاريتي هذه قال فكم أملت فيها من الثمن قلت ما أقضي به ديني وأصلح به حالي قال ثلاثون ألفا قلت ما أحوجني الى فضل الله والمزيد فيه قال أيقنعك أربعون ألفا قلت فيها قضاء ديني وأبقى صفر اليد قال قد أخذناها بخمسين ألفا من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك وأشركك في حالي أبدا ما بقيت فقلت قد بعتكها قال أفتثق بي أن أوصل ذلك غدا وأحملها معي أو تكون عندك الى أن أحمل ذلك اليك غدا فحملني السكر والحياء مع الخشية منه على أن قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله لك فيها فقال لأحد غلاميه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني وانصرف فما هو الا أن غاب عني ساعة فعرفت موضع خطئي وغلطي وقلت ماذا صنعت بنفسي أسلم جاريتي الى رجل لا أعرفه ولا أدري من هو وهب أني عرفته فمن أين الصلة اليه فجلست متفكرا الى أن صليت الصبح ودخل أصحابي دمشق وجلست حائرا لا أدري ما أصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت بالدخول الى دمشق ثم قلت لم آمن ان الرسول يأتي فلا يجدني فأكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار هنالك فلما أضحى النهار واذا أحد الغلامين اللذين كانا معه قد أقبل علي فما أذكر أني سررت بشيء أعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر اليه فقال لي يا سيدي أبطأنا عليك فلم أذكر له شيئا مما كان بي ثم قال لي أتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن يزيد ولي العهد فسكت عند ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى أن وصلنا الى داره فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من أمرك قالت أنزلني هذه الحجرة وأمر لي بما أحتاج اليه فجلست عندها ساعة واذا قد أتاني خادم له فقال لي قم فقمت فادخلني على سيده فاذا هو صاحبي بالامس وهو جالس على سريره فقال من تكون فقلت يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك بضنين وكنت أسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك قلت بخير أعزك الله قال فلعلك ندمت على

ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من أي البلاد هو فقلت معاذ الله أيها الامير أن أندم ولو أهديتها الى الأمير كانت أقل وأخس وما قدر هذه الجارية فقال والله لكني ندمت على أخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي لاخذ الجارية أتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتني هذه الجارية بخمسين ألف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات يا غلام ألف دينار فأتى بها ثم قال يا غلام هات خمسمائة دينار أخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك فضمه اليك وهذه ألف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك رضيت قلت رضيت وقبلت يديه وقلت والله قد ملأت عيني ويدي ثم قال والله اني لم أدخل بها ولا شبعت من غنائها علي بها فجاءت فأمرها بالجلوس فجلست فقال لها غني فأنشدت تقول

أيا من حاز كل الحسن طرا • ويا حلو الشمائل والدلال
جميع الحسن في عجم وعرب • وما في الكل مثلك يا غزالي
فعطفا يا مليح على محب • بوعدك أو بطيف من خيال
حلا لي فيك ذلي وافتضاحي • وطاب لمقلتي سهر الليالي
وما أنا فيك أول مستهام • فكم قبلي قتلت من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا • وأنت أعز من روحي ومالي

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تأديبي لها وتعليمي اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد أفضى الي فالحق بي فوالله لاملأن لك يدك ولاعلين قدرك ولاغنينك ما بقيت قال فأخذت المال وانصرفت فلما أفضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد في اكرامي وكنت معه على أسر حال وأسنى منزلة وقد اتسعت أحوالي وكثرت أموالي وصار لي من الضياع والاملاك ما يكفيني الى مماتي ويكفي من بعدي ولم أزل معه حتى قتل عفا الله عنه (وقيل) انه لما حج هشام في أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أهل الشام فبينما

هو كذلك اذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان أبو فراس الفرزدق حاضرا فقال أنا والله أعرفه فقال الشامى من هذا يا أبا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته • والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم • هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها • الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت • عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته • ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق • من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته • فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته • كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته • طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله • بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدرا وعظمه • جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره • والعرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما • يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره • يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام اذا افترحوا • حلو الشمائل يحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا فى تشهده • لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت • عنها الغياهب والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهمو • كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم • أو قيل من خير أهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم • ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما أزمة أزمت • والاسد أسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من أكفهم * سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خلق كريم وأيد بالندى هضم
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام ذلك غضب وحبس الفرزدق فانفذله زين العابدين رضى الله عنه اثنى عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلات فقال زين العابدين انا أهل بيت اذا وهبنا شيأ لا نعود فيه فقبلها الفرزدق انتهى (ومما يحكى) أن هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبى تتبعه الكلاب فتبعه وأحالته الى خباء أعرابى يرعى غنما فقال هشام ياصبى دونك هذا الظبى فأتنى به فرفع الصبى رأسه اليه وقال له ياجاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الى باستصغار وكلمتنى باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام ياصبى ويلك ما تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء أدبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابى لا قرب دارك ولا حيى مزارك ما أكثر كلامك وأقل اكرامك فما استتم حتى أحدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام أقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس فى مجلسه وقال على بالغلام البدوى فاتى به فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وأبناء الدولة وأرباب الصولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك أن تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يابرذعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق ونهر الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبى قد حضرت فى يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبى والله ياهشام لئن كان فى المدة تأخير ما ضرنى من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من أمرك وحالك

يا أخس العرب أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له مسرعا القيد الخذل ولأمك الويل والهبل أما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل جدالا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فقد أكثر الكلام فيما لا يخطر على الاوهام فقام السياف وأخذ الغلام وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال يا أمير المؤمنين عبدك المذل بنفسه المتقلب في رمسه أأضرب عنقه وأنا برئ من دمه قال نعم فاستأذنه ثانية فاذن له ثم استأذنه ثالثة فهم أن يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال يا صبي أظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وأنت تضحك هزأ بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في المدة تأخير ولم يكن في الأجل تقصير ماضرني منك قليل ولا كثير ولكن أبيات حضرت الساعة فاسمعها فقتلي لا يفوت فاكثر الصموت فقال هشام هات وأوجز فهذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من الدنيا فانشد يقول

نبئت أن الباز علق مرة ‌• عصفور برساقه المقدور
فتعلق العصفور في أظفاره ‌• والباز منهمك عليه يطير
فاتى لسان الحال يخبر قائلا ‌• هاظفرت وانى مأسور
مثلي فما يغنى لمثلك جرعة ‌• ولئن أكلت فانى محقور
فتبسم الباز المدل بنفسه ‌• طربا وأطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته يا خادم احش فاه درا وجوهرا وأحسن جائزته ودعه يمضى الى حال سبيله (وقيل) وفد عروة بن أذينة على هشام ابن عبد الملك فشكا اليه فقره فقال ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي ‌• ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى اليه فيعييني تطلبه ‌• وان قعدت أتاني ليس يعنيني

وخرجت الآن من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين وعظت فابلغت وخرج وركب ناقته وكرالى الحجاز راجعا فلما كان الليل نام هشام على فراشه

فذكر عروة وقال رجل من قريش قال حكمة ووفد على فرددته خائبا فلما أصبح وجه اليه بالف دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة فاعطاه المال فقال أبلغ عنى أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فاكديت فرجعت خائبا فجلست فى دارى فاتانى رزقى فى منزلى انتهى

(ابتداء الدولة العباسية)

كان القائم بهذه الدولة أبو مسلم الخراسانى وكان اسمه عبد الرحمن بن مسلم فمن قوله

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا
مازلت أسعى بجهدى فى دمارهم * والقوم فى غفلة والناس قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

(أولهم أبو عبد الله السفاح) ذكر ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء عن خالد بن صفوان أنه دخل يوما على أبى العباس السفاح وليس عنده أحد فقال يا أمير المؤمنين انى والله مازلت منذ قلدك الله خلافته أطلب أن أصير معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب بذلك فقال يا أمير المؤمنين انى فكرت فى أمرك واجلبت الفكر فيك فلم أر أحدا له قدرة واتساع فى الاستمتاع بالنساء ولا أضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا أمير المؤمنين على نفسك التلذذ بما يشتهى منهن فان منهن الطويلة التى تشتهى لحسنها والبيضاء التى تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك ومايشتهى من نضارتهن ونظافتهن وتحلل خالد لسانه فاطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملأت مسامعى ما أشغل خاطرى والله ماسلك مسامعى كلام أحسن من هذا فاعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فاعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف وبقى أبو العباس مفكرا فدخلت عليه أم سلمة زوجته وكان قد حلف لها أنه لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سرية ووفى لها فلما

رأته على تلك الحالة قالت له انى لا انكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شئ تنكره أو أتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت له وماقلت لابن الفاعلة فقال لها أينصحنى وتشتمينه فخرجت الى مواليها وأمرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت الى أمير المؤمنين ولم أشك فى الصلة فبينما أنا واقف اذ أقبل موالى أم سلمة يسألون عنى فحققت الجائزة فقلت لهم ها أنا واقف فاستبق الى أحدهم بخشبة فغمزت برذونى فلحقنى وضرب كفل البرذون وركضت ففررت منهم واستخفيت فى منزلى أياما ووقع فى قلبى انى أمنت من أم سلمة فبينما أنا ذات يوم جالس فى المنزل فلم أشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا أجب أمير المؤمنين فسبق الى قلبى انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون لم أر دم شيخ أضيع من دمى فركبت الى دار أمير المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خلف الستر فاجلسنى ثم قال يا خالد أنت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك ان العرب ما اشتقت اسم الضرتين الا من الضر وان أحدا لم يكثر من النساء أكثر من واحدة الا كان ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك أولا قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشيب الرؤس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك أولا أو مر فى حديثك قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت منك هذا أولا قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك ان أبكار الاماء رجال الا أنه ليست لهن خصاء قال أمير المؤمنين أفتكذبنى قلب أفتقتلنى قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت وأخبرتك ان عندك ريحانة قريش وأنت تطمح بعينيك الى النساء والجوارى فقيل لى من وراء الستر صدقت يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك فقال السفاح مالك قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت الى أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى (وروى) أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال سلنى حاجتك فقال له أبو دلامة أريد كلب صيد فقال أعطوه اياه فقال ودابة أتصيد عليها فقال أعطوه

دابة فقال وغلاما يقود الكلب والصيد فقال أعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها فقال أعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم الدار فمن أين يعيشون قال قد أقطعتك عشر ضياع عامرة وعشرة غامرة من فيافي بني اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافي بني سعد فضحك منه وقال أعطوه اكلها عامرة قال الحافظ فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسئلة مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليها بارك الله فيه انتهى (وروى) عن الحسن بن الحصين قال لما أفضت الخلافة الى بني العباس كان من جملة من اختفى ابراهيم بن سليمان ابن عبد الملك فلم يزل مختفيا الى أن أضناه وأضجره الاختفاء فأخذ له أمان من السفاح وكان ابراهيم رجلا أديبا بليغا حسن المحاضرة فحظى عند السفاح فقال له لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني بأعجب ما رأيت في اختفائك فانها كانت ايام تكدير فقال يا أمير المؤمنين وهل سمع بأعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزل انظر منه الى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك واذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متفكرا حتى اتيت الكوفة من غير الطريق وانا والله متحير ولا اعرف بها احدا واذا انا بباب كبير في رحبة منيعة فدخلت في تلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتابا فقال لي الك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة في داره فقال هذه لك وهيأ لي ما احتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده ووالله ما سألني قط من انا ولا ممن اخاف وهو في اثناء ذلك يركب في كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كانه يطلب شيأ فاته ولم يجده فقلت له يوما اراك تركب في كل يوم وتعود متعوبا متأسفا كأنك تطلب شيأ فاتك فقال لي ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابي وقد بلغني انه مختف من السفاح وانا اطلبه لعلي اجده وآخذ بثاري منه فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربي

وشؤم بختى الذى ساقنى الى منزل رجل يريد قتلى ويطلب ثاره منى فكرهت الحياة واستعجلت الموت لما نالنى من الشدة فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله فعرفنى الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب على حقك وان من حقك أن أدلك على قاتل أبيك وأقرب اليك الخطوة وأسهل عليك ما بعد فقال أتعلم أين هو قلت نعم فقال أين هو فقلت والله هو أنا فخذ بثارك منى فقال لى أظن أن الاختفاء أضجرك فكرهت الحياة قلت نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقى تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه الى وقال لى أما أبى فسيلقاك غدا يوم القيامة فيها كك عند من لا تخفى عليه خافية وأما أنا فلست بمخفر اذمتى ولا مضيعا نزيلى اخرج عنى فانى لا آمن من نفسى عليك بعد هذا اليوم ثم وثب يا أمير المؤمنين الى صندوق فاخرج منه صرة فيها خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت فبقى السفاح متطربا ويتعجب (وعن الهيثم بن عدى) قال كان أبو العباس السفاح تعجبه المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة فى مسامرة ابراهيم بن مخرمة الكندى وناس من بنى الحارث بن كعب وهم أخواله وخالد بن صفوان بن ابراهيم التميمى فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا أربابا وورثوا ذلك كابرا عن كابر أولا عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ومنهم من مدحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلمه الذئب ومنهم الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس شئ له خطر الا واليهم ينسب من فرس رائع أو سيف قاطع أو درع حصينة أو حلة مصونة أو درة مكنونة ان سئلوا أعطوا وان سيموا أبوا وان نزل بهم ضيف قروه لا يبلغهم مكابر ولا ينالهم مفاخرهم العرب العرباء وغيرهم المتعربة قال أبو العباس السفاح ما أظن التميمى رضى بقولك ثم قال له ما تقول يا خالد قال ان أذنت لى فى الكلام تكلمت قال أذنت لك فى الكلام فتكلم ولا تهب أحدا فقال أخطأ يا أمير المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ما قال وان القوم ليست لهم ألسن

فصيحة ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان حادوا عن قصدنا أكلناوان جاوزوا حكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك مما سنأتي عليه ونفخر عليهم بخير الأنام وأكرم الكرام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولله المنة به علينا وعليهم لقد كانوا أتباعه فبه عزوا وله أكرموا فمنا النبي صلى الله عليه وسلم ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع مالا يخفى من المآثر ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي وأسد الله وسيد الشهداء ذوا الجناحين وسيف الله عرفوا الله وآتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى ابراهيم فقال أعالم أنت بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتر قال فما اسم اللحية قال الذئب قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفؤمن أنت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ألم تر أن الله تعالى قال العين بالعين ولم يقل الجحمة بالجحمة وقال السن بالسن ولم يقل الميدن بالميدن وقال الاذن بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناترهم في صناراتهم وقال لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ولم يقل بذئبي وقال تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال أسألك عن أربع ان أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام لنا أو لكم قال لكم قال فالخلافة فينا أو فيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الأربع فهو لكم

﴿خلافة أبي جعفر المنصور﴾

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكان له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان يحاسب على الدوانق فكان اذا جاءه شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان

يكون أحد يحفظها أو أحد أنشأها أى بان كان أتى بها أحد قبلك فلا نعطيك بها جائزة وان لم يكن أحد يحفظها نعطيك زنة ماهى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرة ولو كانت ألف بيت ويقول الشاعر اسمعها منى وينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرؤها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التى خلف الستارة تحفظها أيضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرؤها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شئ (قال الراوى) وكان الأصمعى من جلسائه وندمائه فنظم أبياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها فى عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير حليته فى صفة اعرابى غريب وضرب له لثاما ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال انى امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة فقال ياأخا العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطك زنة ماهى مكتوبة عليه فأنشد الأصمعى هذه القصيدة

صوت صفير البلبل • هيج قلبى الثمل • الماء والزهر معا
مع زهر لحظ المقل • وأنت ياسيد دلى • وسيدى ومولى لى
وكم وكم تيمنى • غزيل عقيقلى • قطفت من وجنته
باللثم ورد الخجل • وقلت بس بسنى • فلم يجد بالقبل
وقال لالا للا • وقد غدا مهرولى • والخود مالت طربا
من فعل هذا الرجل • وولولت ولولة • ولى ولى ياويلى •
فقلت لا تولولى • وبينى اللؤلؤلى • لما رأته أشمطا
يريد غير القبل • وبعده مايكتفى • الا بطيب الوصل لى
قالت له حين كذا • انهض وجد بالنقلى • وفتية سقونى
قهيوة كالعسل لى • شممتها فى أنفى • أزكى من القرنفل
فى وسط بستان حلى • بالزهر والسرور لى • والعود دندن دنلى
والطبل طبطبطبلى • والرقص قد طبطبلى • والسقف سقسقسق لى
شوواشوواشاهشوا • على ورق سفرجل • وغرد القمرى يصيح لى
من ملل فى مللى • فلو ترانى راكبا • على حمار أهزلى •

يمشى على ثلاثة • كمشية العرنجلى • والناس ترجمجملى
فى السوق بالقلقلى • والكل كعكع كعكع • خلفى ومن حوالى
لكن مشيت هاربا • من خشية العقنقلى • الى لقاء ملك •
معظم مبجل • يأمر لى بخلعة • حمراء كالدم دملى
أجر فيها ماشيا • مبغدد الذيل • أنا الأديب الألمعى
من حى أرض الموصلى • نظمت قطعا زخرفت • تعجز الأدبالى •
أقول فى مطلعها • صوت صفير البلبلى

(قال الراوى) فلم يحفظها الملك اصمعو بتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها أحد منهما فقال يا أخا العرب هات الذى هى مكتوبة فيه نعطك زنته فقال يا مولاى انى لم أجد ورقا أكتب فيه وكان عندى قطعة عمود من رخام من عهد أبى وهى ملقاة ليس لى بها حاجة فنقشتها فيها فلم يسع الخليفة الا أنه أعطاه وزنها ذهبا فنفد ما فى خزينته من المال فأخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظنى ان هذا الأصمعى فأحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الأصمعى فتعجب منه ومن صنيعه وأجازه على عادته قال يا أمير المؤمنين ان الشعراء فقراء وأصحاب عيال وأنت تمنعهم العطاء بشدة حفظك وحفظ هذا المملوك وهذه الجارية فاذا أعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك انتهى والله أعلم

(وذكر) الغزالى وابن بليان وغيرهما أن أبا جعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فهرول المنصور فى مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فأتنى به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى فقال أجب أمير المؤمنين فلما دخل عليه قال أنا الذى سمعتك آنفا تشكو الى الله ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى فقال له يا أمير المؤمنين ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى

وملك الأرض فى قبضتى فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين وهل داخل أحدا
من الطمع ما داخلك استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم
واهتممت بجمع أموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجبس والآجر
وحجبة معهم السلاح وأمرت أن لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفرا استخلصتهم
لنفسك وآثرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا أحد
الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على
رعيتك تجمع الأموال وتقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا
على أن لا يصل اليك من أموال الناس الا ما أرادوا فصار هؤلاء شركاءك
فى سلطانك وأنت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الى بابك وجدك أوقفت رجلا ينظر
فى مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف
من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت أنت صرخ بين يديك فضربه أعوانك
ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وأنت ترى ذلك ولا تنكر لقد كانت الخلفاء
قبلك من بنى أمية اذا أتت اليهم الظلامة أزيلت فى الحال ولقد كنت أسافر
الصين يا أمير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذى به قد فقد سمعه فبكى
فقال له وزراؤه ما يبكيك أيها الملك لا أبكى الله لك عينا الا من خشيته فقال والله
ما بكيت لمصيبة نزلت بى وانما ابكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمعه ثم قال ان كان
سمعى ذهب فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس لا يلبس أحد ثوبا أحمر الا مظلوم
وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد أحدا لابسا ثوبا أحمر فيعلم
أنه مظلوم فينصفه هذا الأمير رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه
بالمشركين وأنت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا أمير المؤمنين لا تجمع الأموال الا لاحدى ثلاث فان قلت انما أجمع الأموال
لمصالح الملك فقد أراك الله عبرة فى الملوك والقرون من قبلك ما أغنى عنهم ما أعدوا
من الأموال والرجال والكراع حين أراد الله بهم ما أراد وان قلت انما أجمع
للولد فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيأ
بل درجا مات فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما أجمعه لغاية هى أجسم من الغاية
التى أنت فيها فوالله ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور

بكاء شديدا ثم قال وكيف أهمل وقد فرت مني العباد ولم تقر بي والصالحون لم يدخلوا على فقال يا أمير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن من هرب أن يعود اليك فقال المنصور نفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن للصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة علي بالرجل الساعة فخرج يطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال له أجب أمير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن يضرب عنقي فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم اخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فأخذه صاحب الشرطة وأتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك أو تحسن السحر قال لا والله يا أمير المؤمنين ثم قص عليه القصة فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار وهو هذا اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت بما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك مالا استوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا فانك أنت المحسن الي وأنا المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك علي انك أنت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان (وحدث عبد الله البلتاني) قال دخل ابن أبي ليلى على أبي جعفر المنصور وكان ابن أبي ليلى قاضيا فقال أبو جعفر ان القاضي يرد عليه من طرائف الناس ونوادرهم أمور فان كان ورد عليك شئ فحدثنيه فقد طال على يومي قال والله يا أمير المؤمنين قد ورد علي منذ ثلاثة أيام أمر ما ورد علي مثله أتتني عجوز تكاد أن تنال الأرض بوجهها أو تسقط من انحنائها فقالت أنا بالله وبالقاضي أن يأخذ لي بحقي وأن يعينني على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة أخ لي قد عوت بها

فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم فقالت
الشابة أصلح الله القاضي مرها فلتسكت حتى أتكلم بحجتي وحجتها فان لحنت بشئ
فلترد علي فان أذنت لي أسفرت فقالت العجوز ان أسفرت فضحت لها فقلت لها
أسفري فأسفرت عن وجه والله ما ظننت ان يكون مثله الا في الجنة فقالت أصلح
الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فأحسنت التربية
حتى اذا بلغت مبلغ النساء قالت لي يا بنت أخي هل لك في التزويج قلت ما أكره ذلك
يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض الا رجلا صيرفيا
فتزوجني فكنا كأننا ريحانتان ما نظن أن الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح
على ما رزقه الله تعالى فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على
ذلك وكانت لها ابنة فشوفتها وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها فقال
يا عمة هل لك أن تزوجيني ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما الشرط قالت تصير
أمر ابنة أخي الي قال قد صيرت أمرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة وزوجت
ابنتها زوجي فكان يغدو عليها ويروح فقلت لها يا عمتي أتأذنين لي أن أنتقل عنك
قالت نعم فانتقلت عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال مالي
لا أرى ربيبتنا قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا
أن نعزيها بمصيبتها فلما بلغني مجيئه الي تهيأت له وتشوفت فلما دخل علي عزاني
بمصيبتي ثم قال ان فيك بقية من الشباب فهل لك أن أتزوج بك قلت ما أكره ذلك
ولكن على شرط قال لي وما الشرط قلت تصير أمر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت
وصيرت أمرها بيدك قلت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة قالت فقدم علي بثقله من الغدو
معه ستة آلاف درهم فاقام عندي ما أقام ثم انه اعتل وتوفي فلما انقضت عدتي
جاء زوجي الأول الصيرفي يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له
فلما دخل علي قال لي يا فلانة انك تعلمين انك كنت أعز الناس علي وأحبهم الي وقد
حلت المراجعة فهل لك في ذلك قلت ما أكره ذلك ولكن اجعل أمر ابنة عمتي بيدي
قال فاني قد فعلت قلت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة أصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي
فما اعتدائي عليها فقالت العجوز أنا فعلت مرة وفعلت مرة بعد أخرى فقلت ان
الله لم يوقت في هذا وقتا وقد قال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه

الله فواحدة بواحدة والبادى أظلم فقال القاضى ان زوج العمة لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهى فى عدته فأرادت العجوز أن تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء لها ومجازاة لها على فعلها فقلت لها قد فرقت بينكما قومى الى منزلك انتهى

(وذكر) المنصور يوما فى مجلسه زوال ملك بنى أمية وما جرى عليهم وانهم ما شوا سعداء وماتوا فقراء فقال له اسمعيل بن على الهاشمى ان عبد الله بن مروان بن محمد فى حبسك وله قصة مع ملك النوبة فاحضره واسأله عنها فاحضره فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال المنصور رد السلام أمن ولم تسمح نفسى بذلك ولكن اقعد فقعد فقال ما قصتك مع ملك النوبة فقال يا أمير المؤمنين كنت ولى عهد أبى فلما طلبتنا دعوت عشرة من غلمانى ودفعت لكل واحد ألف دينار وأوسقت خمس بغال وشددت فى وسطى جوهرا له قيمة عظيمة وخرجت هاربا الى بلاد النوبة فلما قربنا بعثت غلاما لى فقلت امض الى هذا الملك واقرئه السلام وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا ميرة فمضى وأبطأ حتى أسأت به الظن ثم أقبل ومعه رجل فدخل وسلم وقال الملك يقرئك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك الى بلادى أمحارب أم راغب فى دينى أم مستجير بى فقلت له رد على الملك ما أنا بمحارب ولا راغب فى دينك ولا ممن يبتغى بدينه بدلا بل مستجير به فذهب الرسول ورجع الى وقال الملك يقول لك انى آتى اليك غدا فلا تحدث نفسك حدثا ولا شيأ من الميرة فقلت لأصحابى افرشوا الفرش ففرش لى وجلست من الغد أرقبه واذا هو قد أقبل وعليه بردان قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر حافى الرجلين ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت أمره وسولت لى نفسى قتله فلما قرب اذا سواد عظيم قلت ما هذا قالوا الخيل فوافى بها عشرة آلاف عنان ووافت الخيل عند دخوله فاحدقوا بنا فلما دخل جلس على الأرض قال فقلت لترجمانه لم يقعد على الموضع الذى وطئ له فسأله فقال قل له انه ملك وكل ملك حقه أن يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم نكت بأصبعه الأرض طويلا ورفع رأسه وقال قل له كيف سلبتم هذا الملك فأخذ منكم وأنتم أقرب الناس الى نبيكم فقلت جاء من هو أقرب منا قرابة اليه فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم قلت فعل

ذلك عبيد وأعاجم دخلوا فى ديننا وفى ملكنا من غير رأينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة وهى محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا فى ديننا وفى ملكنا بغير رأينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم أهلها ما لا طاقة لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطموا زرعهم فى طلب دراج قيمته نصف درهم والتكليف والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم العز وألبسكم الذل ونصر أعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد وانى أخاف أن ينزل بك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملنى معك فان النقمة اذا نزلت شملت فاخرج بعد ثلاث فانى ان وجدتك بعدها أخذت ما معك وقتلتك ومن معك ثم وثب قائما وخرج وأقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فأخذنى عاملك وبعث بى اليك وها أنا ذا والموت أحب الى من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال له اسمعيل بن على فى عنقى بيعة هذا قال فما ترى قال ينزل فى دار من دورنا ويجرى عليه ما يجرى على مثله ففعل به ذلك انتهى (وخطب) المنصور يوما بالشام فقال أيها الناس ينبغى لكم أن تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله فى فانى منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذى كان يجيئكم فقال اعرابى ان الله أكرم من أن يجمعك أنت والطاعون علينا (ودخل) ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة اذا وجدنى سكرانا لا يحدنى فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال مالى حاجة غيرها فقال لكاتبه اكتب الى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذى جاء به مائة فكان الشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشترى ثمانين بمائة فيمرون عليه ويتركونه انتهى (وحدث) أحمد بن موسى قال ما رأيت رجلا أثبت جنانا ولا أحسن معرفة ولا أظهر حجة من رجل رفع فيه عند المنصور بان عنده أموالا لبنى أمية فأمر المنصور حاجبه الربيع أن يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا أن عندك ودائع وأموالا وسلاحا لبنى أمية فاخرجها لنا لنجمع ذلك الى بيت المال فقال الرجل يا أمير المؤمنين أنت وارث لبنى أمية قال قال لا فلم تسأل اذن عما فى يدى من أموال بنى أمية ولست

بوارث لهم ولا وصي فأطرق المنصور ساعة ثم قال ان بني أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين فقال الرجل يحتاج أمير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد أن المال الذي لبني أمية هو الذي في يدي وانه هو الذي غصبوه من الناس وأن أمير المؤمنين يعلم أن بني أمية كانت لهم أموال لأنفسهم غير أموال المسلمين التى اغتصبوها على ما يتهم أمير المؤمنين قال فسكت المنصور ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال الرجل ألك حاجة قال نعم قال ماهى قال أن تجمع بيني وبين من سعى في اليك فوالله يا أمير المؤمنين مالبني أمية عندى مال ولا سلاح وانما أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم فأيقنت أن الكلام الذى صدر منى هو أنجح وأصلح لما سألتني عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذى سعى به فجمع بينهما فقال يا أمير المؤمنين هذا أخذلى خمسمائة دينار وهرب ولى عليه مسطور شرعى فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال فما حملك على السعي كاذبا قال أردت قتله ليخلص لى المال فقال الرجل قد وهبتها له يا أمير المؤمنين لأجل وقوفى بين يديك وحضورى مجلسك ووهبته خمسمائة دينار أخرى لكلامك لى فاستحسن المنصور فعله وأكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول ما رأيت مثل هذا الشيخ قط ولا أثبت من جنانه ولا من حجته مثله ولا رأيت مثل حلمه ومروءته انتهى

﴿خلافة المهدى﴾

اسمه محمد بن المنصور (حدثنا) داود بن رشيد قال قلت للهيثم بن عدى بأى شئ استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدى ظريف فان أحببت شرحته لك قلت والله قد أحببت قال اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة الى المهدى وقال له استأذن لى على أمير المؤمنين فقال له من أنت وما حاجتك قال أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين أعزه الله رؤيا صالحة وقد أحببت أن تذكرنى له فقال الربيع يا هذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لأنفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذا فقال ان لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى اليه وأخبره أنى سألتك الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له يا أمير المؤمنين انكم قد أطمعتم

الناس في أنفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدي هكذا تصنع الملوك
فماذا قال رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين أيده الله رؤيا حسنة وقد
أحب أن يقصها عليك فقال المهدي يا ربيع اني والله أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح
لي فكيف يمكن ادعاؤها ممن لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم يقبل
قال هات الرجل قال فادخل عليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية
عظيمة ولسان طلق فقال له ما رأيت بارك الله فيك قال رأيت يا أمير المؤمنين آتيا
أتاني في منامي فقال أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة وآية ذلك
أنه يرى في ليلته الآتية في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجد ثلاثين ياقوتة
كأنها قد وهبت له فقال المهدي ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا
المقبلة على ما أخبرتنا فان كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك فوق ما تريد وان كان
الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت
قال يا أمير المؤمنين فما أصنع أنا الساعة اذا صرت الى منزلي وعيالي وأخبرتهم أني
كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدي فكيف
نعمل فقال يعجل لي أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ما أحب وأحلف له بالطلاق أني
قد صدقت فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك
اليوم فقبض المال وقال له من يكفلك فمد عينه الى خادم حسن الوجه والزي وقال
هذا يكفلني فقال له المهدي أتكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا أمير المؤمنين
فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة
رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا بحرف وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن فأذن له
فلما وقعت عين المهدي عليه قال له أين مصداق ما قلت لنا عليه فقلت له وما رأى
أمير المؤمنين فتجمع في جوابه فقال له امرأتي طالق ان لم تكن رأيت شيأ قال له
المهدي ما أجرأك على هذا الحلف بالطلاق فقال لأني أحلف على صدق قال له المهدي
فقد والله رأيت ذلك مبينا فقال له سعيد الله أكبر فانجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني
قال حبا وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب من كل صنف
وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة فأخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي
كان كفله وقال له سألتك بالله هل لهذه الرؤيا من أصل فقال سعيد لا والله فقال

الخادم كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته قال هذا من المختار بف التى لا أب لها وذلك انى لما ألقيت هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه وأسرى به قلبه واشتغل به فكره ففى ساعة نام خيل له ما حل فى قلبه واشتغل به فكره فنام فرآه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قد طلقت واحدة و بقيت معى على ثنتين وأزيد مهرها عشرة دراهم وأتحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب وثلاثة مراكب فارهة فبهت الخادم وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد صدقتك و جعلت ذلك مكافأتك على كفالتك فاستر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده وقلده القضاء على العسكر فلم يزل كذلك حتى مات انتهى (ويحكى) أن المهدى خرج يتصيد فسار به فرسه حتى دخل الى خباء أعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال نعم فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا أخا العرب أتدرى من أنا قال لا والله قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله فى موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه فقال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا بل أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالث فلما فرغ منه قال يا اعرابى أتدرى من أنا قال زعمت انك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين فاخذ الاعرابى الركوة وأوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه وأحاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والأشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال (وقيل) كان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت بنت ست عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس لينالها فتمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من نواحى القصر فمسكها فبكت وقالت الموت دون ذلك فقال أبو نواس فى نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق أنه خرج من القصر ليلة وقد فرق الدجى فوجدها نائمة سكرى فتقرب منها وحل السراويل من وسطها ودهمها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أنه يكون أتاها هادم فلم يجلو وقام عنها وندم على ما كان منه وأخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر • مر فرقة الحسدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها • طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها • وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة • أموت به داء ودمعتها تجرى
فلما تعانقنا توسطت لجة • غرقت بها يا قوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى يا غلام فجاءنى • وقد زلقت رجلى ورحت الى صدرى
ولولا صياحى بالغلام وانه • تداركنى بالحبل رحت الى القعر
فاقسمت عمرى لاركبت سفينة • ولاسرت طول الدهر الاعلى الظهر

(حكايات أجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرأيت مجنونا فيه فلم أر قط أظرف منه ولا أحسن ثيابا ويده الواحدة على صدره فلما دنوت منه أنشأ يقول

الله يعلم أنى كمد • لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لى روح تملكها • بلد وأخرى حازها بلد
وأرى الصبابة ليس ينفعها • صبر وليس لمثلها جلد
وأظن طاعتى كشاهدتى • فكأنها تجد الذى أجد

فقلت أحسنت والله درك يا مجنون فاهوى لشئ يرمينى به فبعدت عنه فقال لى أنشدتك ما تحبه واستحسنته وتقول لى يا مجنون وتكون مع الزمان على فقلت له أخطأت فقال اذن اعترفت بخطئك ثم قال أنشدك شعرا أيضا قلت نعم فانشأ يقول

ما أقتل البين للحب وما • أوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسى على البلاء لقد • أسرع فى مهجتى وفى كبدى
يا حسرة اذ أبيت معتقلا • بين اختلاج الهموم والسهد

فقلت أحسنت والله زدنا فقال

ان فتشونى فحرق الكبد • أو كشفونى فناحل الجسد
أضعف ما بى وزادنى ألما • أن لست أشكو النوى الى أحد

فقلت أحسنت والله زدنا فقال يا فتى أراك كلما أنشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب أو خل أريب ثم قال أحسبك أبا العباس المبرد بالله ما هو أنت

قلت أنا ذلك فمن أين عرفتنى فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا أبا العباس أنشدنى من شعرك شيأ تنتعش به روحى فانشدته قولى

بكيت حتى بكى من رحمتى الطلل • ومن بكائى بكت اعداى اذ رحلوا
يا منزل الحى أين الحى قد نزلوا • نفسى تساق اذا ما سيقت الابل
أنعم صباحا سقاك الله من طلل • غيثا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهد هم والدار جامعة • والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها • والدهر يسعدو الواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت أعرفه • والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذى قد كنت آمله • والبين أعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق • والدمع منسكب والركب مرتحل
• كأن قلبى لما سار عيسهم • صب به دنف أو شارب ثمل •
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم • وثوروها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها • ترنو الى ودمع العين منهمل
يا حادى العيس عرج كى أودعهم • يا حادى العيس فى ترحالك الأجل
انى وحقك لا أنسى مودتهم • يا ليت شعرى لطول العهد ما فعلوا

قال أبو العباس المبرد فلما أتممت شعرى قال لى ما فعلوا قلت ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه انتهى

﴿ خلافة موسى الهادى بن محمد ﴾

لم أر فيه شيأ ومن رأى فيه شيأ فليضعه • قال بعض الفضلاء من حيث ان المؤلف أمر بان من رأى فيه شيأ فليضعه فرأيت هذا النزر اليسير مذكورا فى تاريخ الاسحاقى فاحببت ذكره امتثالا للأمر • فقلت ذكر صاحب السكردان أن الهادى كان يوما فى بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادى ففر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره

حتى اذا دنا منه الخارجي وهم أن يعلوه بالسيف أومأ الى وراء الخارجي وأوهمه ان غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجي أن غلاما وراءه والتفت الخارجي فنزل الهادي مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وأتباع الهادي ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملؤا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الاجواد امن الخيل فانظر الى هذا المقدار فى ثبات جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا (حكى) عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادي من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادر وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له مابال أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى انى أموت وان أخى هرون يلى الخلافة ويتزوج غادر فامضوا وائتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق به فقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ما أحلف به أنى اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف أيمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع بالايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة اذ بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها مابالك قد ريعت قالت رأيت أخاك الهادي الساعة فى النوم فانشد فى هذه الابيات

أخلفت عهدى بعدما ٭ جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى ٭ أيمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخى ٭ صدق الذى سماك غادر
لا يهنك الإلف الجديـ ٭ ـد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصبا ٭ ح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكأن الابيات مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه

أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسأل عن هرون الرشيد وما لقي بعدها انتهى

(خلافة هرون الرشيد بن محمد المهدي)

هو أخو موسى الهادي وهو الخامس من بني العباس * قال ابراهيم الموصلي في تهنئة الخلافة عند ما ولي الرشيد بعد أخيه موسى الهادي

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها

تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

(وقدم) اعرابي حين ولي هرون الخلافة فقيل له فيم جئت قال أتيت برسالة قال ائت بها قال أتاني آت في منامي فقال ائت أمير المؤمنين فابلغه هذه الأبيات

توارثت الخلافة من قريش * تزف اليكما أبدا عروسا

الى هرون تهدى بعد موسى * تميس وما لها أن لا تميسا

فأعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه * بويع له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها أخوه وولد في تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها في بني العباس مات فيها خليفة وولي فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وزارته * وسيأتي ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك (ويحكى) أن هرون الرشيد مر في بعض الأيام وبصحبته جعفر البرمكي واذا هو بعدة بنات يستقين الماء فعرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن تقول

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت المنام * كي أستريح وتنطفي

نار تأجج في العظام * دنف تقلبه الاكف على بساط من سقام

أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فأعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك أم من منقولك قالت من قولي قال ان كان كلامك صحيحا فامسكي المعنى وغيري القافية فأنشدت تقول

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت الوسن

كي أستريح وتنطفي * نار تأجج في البدن *

دنف تقلبه الاكف على بساط من شجن

اما أنا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلاهما فقال ان كان كلاهما أيضا فامسكى المعنى وغيرى القافية فقالت

قولى لطيفك ينثنى • عن مضجعى وقت الرقاد
كى أستريح وتنطفى • نار تأجج فى الفؤاد
دنف تقلبه الاكف على بساط من حداد
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من سداد

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلاهما فقال لها ان كان كلاهما فامسكى المعنى وغيرى القافية فقالت

قولى لطيفك ينثنى • عن مضجعى وقت الهجوع
كى أستريح وتنطفى • نار تأجج فى الضلوع
دنف تقلبه الاكف على بساط من دموع
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع

فقال لها أمير المؤمنين أنت من أى هذا الحى قالت من أوسطه بيتا وأعلاه عمودا فعلم أمير المؤمنين أنها ابنت كبير الحى ثم قالت وأنت من أى راعى الخيل فقال من أعلاها شجرة وأينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت أيد الله أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لابد من أخذها فتوجه جعفر الى أبيها وقال له أمير المؤمنين يريد بنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية الى أمير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن وأقامت النعى له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدى فمضوا الى الخليفة فأخبروه فقام وأتى اليها وسألها من أعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا أمير المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ أنا عندك ما رأيتك هكذا ولم يكن لى من أخاف عليه الا والدى لكبره ويعيش رأسك أنت يا أمير المؤمنين فترغرغت عيناه بالدموع وعزاها فيه وأقامت مدة وهى حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله

عليهم أجمعين (ويحكى) أن أمير المؤمنين هرون الرشيد أرق ذات ليلة فقام يمشي في قصره بين المقاصير فرأى جارية من جواريه نائمة فأعجبته فداس على رجلها فانتبهت فرأته أمير المؤمنين فاستحيت منه وقالت • يا أمين الله ما هذا الخبر • فأجابها بقوله قلت ضيف طارق في أرضكم • هل تضيفوه الى وقت السحر

فأجابته تقول بسرور وهناء سيدي • أخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل أمير المؤمنين من بالباب من الشعراء . قيل له أبو نواس فأمر به فدخل عليه فقال له هات على • يا أمين الله ما هذا الخبر • فأنشأ يقول

طال ليلي حين وافاني السهر • فتفكرت فأحسنت الفكر

قمت أمشي في المجالي ساعة • ثم أجرى في مقاصير الحجر

فاذا وجه جميل مشرق • زانه الرحمن من بين البشر

فلمست الرجل منها موطئا • فدنت مني ومدت للبصر

وأشارت لي بقول مفصح • يا أمين الله ما هذا الخبر

قلت ضيف طارق في أرضكم • هل تضيفوه الى وقت السحر

فأجابت بسرور سيدي • أخدم الضيف بسمعي والبصر

قال فتعجب أمير المؤمنين من ذلك وأمر له بصلة (ويحكى) أن هرون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب أذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها والريح أبان نهديها كأنهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بلا قاتك فانظرني الى غد حتى أتهيأ وآتيك فلما أصبح قال للحاجب لا تدع أحدا يدخل على الا فلانة وانتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا أمير المؤمنين • كلام الليل يمحوه النهار • فقام واستدعى من بالباب من الشعراء فدخل عليه أبو نواس والرقاشي وأبو مصعب فقال لهم هاتوا على • كلام الليل يمحوه النهار • فقال الرقاشي أنا قائل في ذلك ثلاثة أبيات وأنشأ يقول

أتسلوها وقلبك مستطار • وقد منع القرار فلا قرار

وقد تركتك صبا مستهاما • فتاة لا تزور ولا تزار

فولت وانثنت تيها وقالت • كلام الليل يمحوه النهار

وقال أبو مصعب وأنا قائل فى ذلك ثلاثة أبيات وأنشأ يقول

أما والله لو تجدين وجدى • لما وسعتك فى بغداد دار

أما يكفيك أن العين عبرى • ومن ذكراك فى الاحشاء نار

تبسمت الفتاة بغير ضحك • كلام الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس وأنا قائل فى ذلك أربعة أبيات وأنشأ يقول

وخود أقبلت فى القصر سكرى • ولكن زين السكر الوقار

وهز الريح أردافا ثقالا • وغصنا فيه رمان صغار

وقد سقط الردا عن منكبيها • من التخميش وانحل الازار

فقلت الوعد سيدتى فقالت • كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كأنك كنت معنا أو مطلعا علينا وأمر لكل بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولابى نواس بعشرة آلاف درهم انتهى (وذكر) الخطيب فى بعض مصنفاته أن الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تجللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيأ فأعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء قالوا له أبو نواس وبشار فقال احضرا جميعا فاحضرا فقال الرشيد ليقل كل منكما أبياتا توافق ما فى نفسى فانشأ بشار يقول

تحببتكم والقلب صار اليكمو • بنفسى ذاك المنزل المتحبب

اذا ذكر والهجران لا عن ملالة • وذكراهم يفنى الى محبب

وقالوا تجنبنا ولا قرب بيننا • فكيف وأنتم حاجتى تتجنبوا

على أنهم أحلى من الشهد عندنا • وأعذب من ماء الحياة وأطيب

فقال أحسنت ولكن ما أصبت ما فى نفسى فقل أنت يا أبا نواس فجعل يقول

نضت عنها القميص لصب ماء • فورد خدها فرط الحياء

وقابلت الهواء وقد تعرت • بمعتدل أرق من الهباء

ومدت راحة كالماء منها • الى ماء معد فى اناء

فلما أن قضت وطرا وهمت • على عجل لتأخذ للرداء

رأت شخص الرقيب على التدانى • فاسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل • فظل الماء يجرى تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها • كأحسن ما يكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا أمير المؤمنين قال أمعنا كنت قال لا والله ولكن شئ خطر ببالى فامر له باربعة آلاف درهم وصرفه اهـ (ويحكى) أن أمير المؤمنين الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقام من فراشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه محصورة فلما أصبح قال على بالأصمعى فخرج الطواشى الى البوابين فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين ارسلوا أحدا خلف الأصمعى فلما حضر أعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال يا أصمعى أريد منك أن تحدثنى بأجود ما سمعت من أخبار النساء وأشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبنى سوى ثلاثة أبيات أنشدهن ثلاث بنات فقال له حدثنى حديثهن فقال اعلم يا أمير المؤمنين انى توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا أقيل فيه فلم أجد فبينما أنا أتلفت يمينا وشمالا اذا أنا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على الدكة وأردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهى تقول يا أختى انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له أن زار فى النوم مضجعى • ولو زارنى مستيقظا كان أعجبا

فقالت الوسطى

وما زارنى فى النوم الا خياله • فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسى وأهلى من أرى كل ليلة • ضجيعى ورياه من المسك أطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الأمر على كل حال فنزلت عن الدكة وأردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهى تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الى ورقة فنظرت خطا فى نهاية الحسن

مستقيم الألفات محوف الهاآت مدور الواوات مضمونه نعلم الشيخ أطال الله بقاءه اننا ثلاث بنات أخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا أن كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم فى ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية على بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الى بدواة مفضضة وأقلام مذهبة فانشأت أقول

أحدث عن خود تحدثن مرة • حديث امرئ ساس الامور وجربا
ثلاث كبكرات الصحارى بجافل • حللن بقلب للشوق معذبا
خلون وقد نامت عيون كثيرة • من الراقدين المشتهين التغيبا
فبحن بما يخفين من داخل الحشا • نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا
فقالت عروب ذات عز عزيزة • وتبسم عن عذب المقالة أنسبا
عجبت له ان زارنى النوم مضجعى • ولو زارنى مستيقظا كان أعجبا
فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت • تنفست الوسطى وقال تطربا
وما زارنى فى النوم الا خياله • فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
وأحسنت الصغرى وقالت مجيبة • بلفظ لها قد كان أشهى وأعذبا
بنفسى وأهلى من رأى كل ليلة • ضجيعى ورياه من المسك أطيبا
فلما تدبرت الذى قلن وانبرى • لى الحكم لم أترك لذى اللب متعبا
حكمت لصغراهن فى الشعر اننى • رأيت الذى قالت جميلا وأصوبا

قال الاصمعى ثم دفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا برقص وتصفيق ودنيا دانية وقيامة قائمة فقلت ما بقى لى اقامة فنزلت عن الدكة وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادى وتقول اجلس يا أصمعى فقلت ومن أعلمك انى الأصمعى فقالت يا شيخ ان خفى علينا اسمك فما خفى علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الأولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادى وتقول اجلس يا أصمعى فرفعت بصرى اليها فنظرت كفا أحمر فى كم أصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت لى بصرة فيها ثلثمائة دينار وقالت هذا صار لى وهو منى الىك هبة فى نظير حكومتك فقال لى أمير المؤمنين لاى شئ حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى

ولا الوسطى فقلت له يا أمير المؤمنين ان بيت الكبرى قالت • عجبت له ان زار في النوم مضجعي • وهو مجهول معلق على شرط قد يقع وقد لا يقع وأما الوسطى فر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه وبيت الصغرى ذكرت انها ضاجعته مضاجعة حقيقة وشمت منه أنفاسا أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها ولا يفدى بالنفس الا من هو أعز من النفس فقال الخليفة أحسنت يا أصمعي ثم دفع الى ثلثمائة دينار فاخذتها وانصرفت فكنت أقول لله درك من شعر أخذت في حكومتي منه ثلثمائة دينار في حكايته مثلها والله أعلم (ومما حكى) عن الأصمعي في نوادره قال سهرت ليلة عند الرشيد في الرقة فقال لي من معك يا عبد الله يؤنسك فقلت يا أمير المؤمنين مالي أنيس غير الوحدة فامسك وأقبل في حديثه ماشاء الله ثم نهض ونهضت من حضرته فلما صرت الى منزلي واذا بخادم الأمير يقرع الباب فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغاء ومعهم جارية فلما رآني الخادم دنا مني وقبل يدي وقال لي يقول لك أمير المؤمنين قد أمر نالك بمن يؤنسك وهي جارية من خواصه وشئ من المال فشكرت أمير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال الجارية ومعها من الآلات والخدم والجواري والفرش مالم أر مثله الا عند أمير المؤمنين ثم ودعني الخادم وانصرف فلما نظرت الى الجارية رأيتها أحسن الناس وجها وأكملهم قدا وشكلا وظرفا وأكثرهم مجونا فداخلني لها هيبة وانقباض فقالت ما هذا الحياء البارد السمج الذي لا وجه له أين ملحك ونوادرك ثم قالت لجارية من الجواري هات ما عندك فجاءت باحسن ما يكون من ألوان الطعام فأكلنا وهي مع ذلك تباسطني وتؤانسني بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتني ثم قالت ما بقي بعد الأكل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست من الثياب ما أرادت وألبستني ثيابا فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا ثم اضطجعت الى جانبي فلما جمعنا الفراش أصابني من الحصر وانقطاع الانعاظ ورخاوة الاير مالم أكن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد الا انكماشا وموتا فلما أعيتها الحيلة فيه ويئست من قيامه ومضى من الليل أكثره قالت عظم الله أجرك في ايرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بسفط فاخرجت منه مناديل صغارا وحنوطا وقالت ثم على ظهرك يا بطال فاستولى

على الخجل حتى انى لم أقدر آخالفها فى شئ مما تأمرنى به فى جميع ماتفعله فى فغسلته وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجوارمها وقامت معهن فى بكاء وتحيب ونوح وندب وصراخ بأشد مايكون ومازلن على ذلك الى وقت السحر ثم قالت مابقى الا ماينولاه الرجال من الصلاة والدفن وولت عنى فقمت وأنا أخزى خلق الله حالا فلبست ثيابى وصليت الفجر وسرت من وقتى وساعتى الى الرشيد فانكر الحاجب حضورى فى ذلك الوقت وأعلم الرشيد بى فاذن لى فدخلت وهو قاعد فى مصلاه فقال لى ويحك مادهاك فى هذا الوقت فقلت يا أمير المؤمنين خبرى عجيب وأمرى غريب فبالله عليك يا أمير المؤمنين الا مارحمتنى وأرحتنى من هذه الجارية التى أنفذتها الى فلا حاجة لى بها فقال لى أمير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذى دهاك وليس لها عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها حتى بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه كاد أن يستلقى على قفاه وسمعت الضحك من كل ناحية فى الدار من الجوارى وغيرهن ثم قال نحن الى هذه أحوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه أمر بحملها الى داره وعوضنى عنها خمسين ألف درهم وترك جميع ماحل معها فى منزلى وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها أحد من نظائرها وسميت من وقتها هذا بالاصمعية الى أن توفيت رحمة الله عليهم أجمعين (وعن) أبى اسحق ابراهيم الموصلى قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من الايام للانفراد بجوارى واخوانى فاذن لى فى يوم السبت فأتيت منزلى وأخذت فى اصلاح طعامى وشرابى وما احتجت اليه وأمرت البوابين بغلق الابواب وأن لا يأذنوا لاحد بالدخول على فبينما أنا فى مجلسى والحرم قد حففن بى واذا بشيخ ذى هيبة وجمال وعليه جبتان قصيرتان وقميص ناعم وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فداخلنى غيظ عظيم لدخوله على وهممت بطرد البوابين فسلم على أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ يحدثنى بأحاديث العرب وأشعارها حتى ذهب مابى من الغضب وظننت أن غلمانى تحروا مسرتى لادخال مثله على لادبه وظرفه فقلت هل لك فى الطعام قال لا حاجة لى فيه قلت فالشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا أبا اسحق هل

لك أن تغنيناشيأ فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظني قوله ثم سهلت الأمر على نفسي فأخذت العود وضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا فقلت ما رضي بما فعله في دخوله بغير اذني واقتراحه علي حتى سماني باسمي ولم يجهل مخاطبتي ثم قال هل تزيد ونكافئك فتذممت وأخذت العود وغنيت وتحفظت فيما غنيته وقمت به قياما تاما لقوله ونكافئك فطرب وقال أحسنت ياسيدي ثم قال أتأذن لي في الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله في أن يغني بحضرتي بعد الذي سمعه مني فأخذ العود وجسه فوالله خلت أن العود ينطق بلسان عربي اندفع يغني هذه الأبيات

ولي كبد مقروحة من يبيعني • بها كبدا ليست بذات قروح
أباها على الناس أن يشترونها • ومن يشتري ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذي في جوانحي • أنين غصيص بالشراب طريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت أن الابواب والحيطان وكل ما في البيت تجيبه وتغني معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم اندفع يغني فقال

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة • فاني الى أصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدن يمتنني • وكدت باسرارهن أبين
دعون بترداد الهدير كأنما • شربن الحميا أو بهن جنون
فلم ترعيني مثلهن حمائما • بكين ولم تدمع لهن عيون

قال ثم سكت قليلا وغنى هذه الأبيات

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد • فقد زادني مسراك وجدا على وجدي
لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى • على فنن من غصن بان ومن رند
بكيت كما يبكي الوليد صبابة • وأبديت من شكواي مالم أكن أبدي
وقد زعموا أن المحب اذا دنا • يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف مابنا • على أن قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع • اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخوري خذه وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فقلت أعده علي فقال لست تحتاج الى اعادة فقد أخذته وفرغت منه ثم غاب من

بين يدى فارتعت منه وقت الى السيف وجودته ثم غدوت نحو أبواب الحريم فوجدتها مغلقة فقلت للجوارى أى شئ سمعتن فقلن سمعنا غناء أطيب شئ وأحسنه فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البوابين عن الشيخ فقالوا أى شيخ فوالله ما دخل اليوم اليك أحد فرجعت أتأمل أمره فاذا هو قد هتف بى من جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحق فانما هو أبو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع فركبت الى الرشيد فأخبرته الخبر فقال أعد الاصوات التى قد أخذتها فأخذت العود وضربت فاذا هى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن له همة على الشراب وقال كان الشيخ علم أنك قد أخذت الاصوات وفرغت منها فليته متعنا بنفسه يوما واحدا كما متعك ثم أمر لى بصلة فأخذتها وانصرفت انتهى (وقال) الرشيد يوما الفضل بن يحيى وهو بالرقة قد قدم اسمعيل بن صالح بن على وهو صديقك وأريد أن أراه فقال ان أخاه عبد الملك فى حبسك وقد نهاه أن يجيئك قال الرشيد فانى أتعلل حتى يجيئنى عائدا فتعلل فقال الفضل لاسمعيل ألا تعود أمير المؤمنين قال بلى فجاء عائدا فأجلسه ثم دعا بالغداء فأكل وأكل اسمعيل بين يديه فقال له الرشيد كأنى قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب وسقاه ثم أمر فاخرج جوارى يغنين وضربت ستارة وأمر بسقيه فلما شرب أخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه فى حجر اسمعيل وجعل فى عنقه سبحة وفيها عشر حبات من در شراؤها بثلاثين ألف دينار وقال غن يا اسمعيل وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع يغنى شعر الوليد بن يزيد فى غالية أخت عمر ابن عبد العزيز وكانت تحته وهى التى ينسب اليها سوق الغالية فقال

فأقسم ما كفاى مدت لريبة • ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها • ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
واعلم انى لم تصبنى مصيبة • من الدهر الا قد أصابت فتى مثلى

فسمع الرشيد أحسن غناء بأحسن صوت فقال الرمح يا غلام فجئ بالرمح فعقد لواء على امارة مصر قال اسمعيل فوليتها سنتين فأوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة ألف دينار وبلغ أخاه عبد الملك ولايته فقال غنى والله الخبيث لهم ليس هو بصالح انتهى (ويروى) انه لما دخل هرون الرشيد الى مكة شرفها الله

تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد بالطواف سبقة اعرابى فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابى تخل عن الطواف حتى يطوف أمير المؤمنين فقال الاعرابى ان الله قد ساوى بين الامام والرعية فى هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فلما سمع الرشيد من الاعرابى ذلك واعه أمره فأمر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابى فاستلمه ثم أتى الرشيد الى المقام ليصلى فسبقه الاعرابى فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتنى بهذا الاعرابى فاتاه الحاجب فقال أجب أمير المؤمنين فقال مالى اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو أحق بالقيام الى والسعى فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابى وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا أخا العرب اجلس هنا بأمرك فقال الاعرابى ليس البيت بيتى ولا الحرم حرمى وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف (قال الراوى) فعظم ذلك على الرشيد وسمع مالم يكن فى ذهنه وماظن أنه يواجهه أحد بمثل هذا الكلام فجلس الرشيد وقال يا أعرابى أريد أن أسألك عن فرضك فان أنت قمت به فانت بغيره أقوم وان أنت عجزت عنه فانت عن غيره أعجز فقال الاعرابى سؤالك هذا سؤال تعلم أم سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابى قم فاجلس مقام السائل من المسؤل قال فقام الرشيد وجثا على ركبتيه بين يدى الاعرابى فقال قد جلست فاسأل عما بدالك فقال له اخبرنى عما افترض الله عليك فقال له تسألنى عن أى فرض عن فرض واحد أم عن خمسة أم عن سبعة عشر أم عن أربعة وثلاثين أم عن خمسة وثمانين أم عن واحدة فى طول العمر أم عن واحدة من أربعين أم عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم قال له سألتك عن فرضك فأتيتنى بحساب الدهر قال يا هرون لولا أن الدين بالحساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة فقال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال فظهر الغضب فى وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هرون ولم يقل يا أمير المؤمنين وبلغ مبلغا شديدا غير أن الله تعالى عصمه منه وحال بينه

وبينه لما علم انه هو الذى أنطق الاعرابى بذلك فقال له الرشيد يا اعرابى ان فسرت
ماقلت نجوت والا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة فقال له الحاجب
يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف قال فضحك
الاعرابى من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال م تضحك قال عجبا منكما اذ لا أدرى
أيكما أجهل الذى يستوهب اجلا قد حضر أم الذى يستعجل أجلا لم يحضر قال فهال
الرشيد ماسمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابى أما سؤالك عما افترض الله
على فقد افترض على فرائض كثيرة فقولى لك عن فرض واحد فهو دين الاسلام
وأما قولى لك عن خمسة فهى الصلوات . وأما قولى لك عن سبعة عشر فهى سبعة
عشر ركعة . وأما قولى لك عن أربعة وثلاثين فهى السجدات . وأما قولى لك عن
خمسة وثمانين فهى التكبيرات . وأما قولى لك عن واحدة فى طول العمر فهى
حجة الاسلام واحدة فى طول العمر كله . وأما قولى لك واحدة من أربعين فهى
زكاة الشياه شاة من أربعين وأما قولى لك خمس من مائتين فهى زكاة الورق قال
فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام الاعرابى
وعظم الاعرابى فى عينه وتبدل بغضه محبة ثم قال الاعرابى سألتنى فاجبتك وأنا
أريد أن أسألك فاجبنى قال قل فقال الاعرابى ماتقول فى رجل نظر الى امرأة
فى وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان
وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء
حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما
كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء
حلت له فقال والله يا أخا العرب لقد أوقعتنى فى بحر لم يخلصنى منه غيرك فقال له
أنت خليفة ليس فوقك شئ ولا ينبغى أن تعجز عن مسئلة فكيف عجزت عن مسئلتى
وأنا رجل بدوى لا قدر لى فقال له الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهى
اكرامالى ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولكن على شرط أن تجبر الكسير
وترحم الفقير ولا تزدرى بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال ان قولى لك رجل نظر الى
امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى أمة غيره وقت الفجر
فهى حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له فلما كان وقت العصر أعتقها

فخرمت عليه فلما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما وقت العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر أعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح به واشتد اعجابه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لى بها ردها الى أصحابها فقال له أريد أن أجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذى أجرى عليك يجرى على قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم يقبل منه شيأ ثم أنشد يقول

هب الدنيا تواتينا سنينا • فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما أبغى لشئ ليس يبقى • وأتركه غدا للوارثينا
كأنى بالتراب على يحثى • وبالاخوان حولى نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه • وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقى وجلال ربى • لأنتقمن منهم أجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب • فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وسأله عن أهله وبلاده فاخبره أنه موسى الرضا ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان يتزيا بزى أعرابى زهدا فى الدنيا وتباعدا عنها فقام اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله أعلم حيث يجعل رسالته وانصرف رحمة الله عليهم أجمعين

(وقال) السجستانى أرق الرشيد ليلة فوجه الى الأصمعى والى حسين الخليع فاحضرهما وقال عللانى وابدأ أنت ياحسين فقال حسين نعم ياأمير المؤمنين خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبى بقصيدتى فقبلها وأمرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقى فاصابنى حر شديد فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقى فاذا أنا بجارية كأنها قضيب ينثنى واسعة العينين زجاء الحاجبين مفتوحة الجبين عليها قميص جلنارى ورداء عدنى قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطى القباطى وعكن كالقراطيس لها جمة جعدت بالمسك

محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر وهو بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز ورائحة تخطر على أكباد محبيها في مشيتها وقد خالط أصوات نعلها خلاخيلها فهي كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها • كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب أصابني عطش أفتأمرين بشربة من ماء تؤجرين عليها قالت البعد عني يا شيخ فاني مشغولة عن الماء والزاد قلت لاي علة يا سيدتي قالت لاني عاشقة لمن لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت وهل يا سيدتي على بسيطة الأرض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقفك في هذا الدهليز قالت ههنا طريقه وهذا أوان اجتيازه فقلت يا سيدتي اجتمعتما في وقت من الأوقات ووجب حديث في هذا القرب فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم أنشأت تقول

وكنا كغصني بانة فوق روضة • نشم جنى اللذات في عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع • فيا من رأى فردا يحن الى فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت أرى الشمس على حائطهم أحسب أنها هو وربما أراه بغتة فابهت ويهرب الدم والروح من جسدي وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها فاعذريني فانت على ما بك من الصبا وشغل البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يمسك الهوى لكنت مفتتنة في أرض البصرة قالت والله قبل محبتي هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى فتنني هذا الغلام قلت يا هذه فما الذي فرق بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شأن من الشؤون وذلك اني كنت قعدت في يوم نيروز ودعوت عدة من

مستظرفات البصرة من النساء الجمالات وكانت فيهن الحوراء جارية شيراز وكان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم وكانت بي ولعة فلما دخلت رمت بنفسها على تقطعني قرصا وعضا ثم خلونا نتمزر القهوة الى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني وألاعبها فتارة أنا فوقها وتارة هي فوقي فحملها السكر الى أن ضربت يدها الى تكتي فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلي ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشمأز لذلك وصدف عني صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسأل جعيته فلا ينظر الى بطرف ولا يكتب لي بحرف ولا يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قليلا فقلت لها يا هذه من العرب هو أم من العجم فقالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ هو أم شاب فنظرت الى شزرا وقالت انك أحمق هو مثل القمر ليلة البدر أجرد أمرد له طرة كحلك الغراب لا يعيبه شيء غير انحرافه عني قلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت أجتهد في لقائه فاتعرف الفضل بينكما قالت على شرط أن تحمل اليه رقعة قلت لا أكره ذلك فقالت اسمه ضمرة بن المغيرة ويكنى بابي السفاء وقصره بالمربد ثم صاحت في الدار يا جواري الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كأنهما طوقان من فضة وكتبت بعد البسملة سيدي ترك الدعاء في صدور رقعتي ينبي عن تقصيري ودعائي ان دعوته هجنة ورعونة ولولا أن بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لكان لما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة معنى مع يأسها منك لعلمها بترك الجواب سيدي جد بنظرة وقت اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحيي بها نفسا ميتة واخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكرها سيدي ألست لك محبة مدنفة فان رجعت الى الآنسة كنت لك شاكرة وبعد خادمة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فأصبحت غدوة الى باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا بالملوك ورأيت غلاما زان المجلس ووفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب فوثبت اليه وبالغت

في الدعاء له وناولته الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال يا شيخ قد استبدلنا بها فهل
لك أن تنظر الى البديل قلت نعم فصاح في الدار أخرجوا الى الربدا فاذا أنا بجارية
خاوطية الكمين ناهدة الثديين تمشي مشية مستوحل من غير وحل فناولها الرقعة
وقال أجيبي عنها فلما قرأتها اصفرت وعرقت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت به
فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر رجلي حتى أتيتها واستأذنت عليها فقالت ما وراءك
فقلت البؤس واليأس فقالت ما عليك منه فأين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة
دينار ثم جزت بعد أيام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا أصحاب ضمرة
يسألونها الرجوع اليه فقالت لا والله لا نظرت له وجها فسجدت لله يا أمير المؤمنين
شماتة بضمرة ونفرته من الجارية فأوردت علي منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية
سيدتي لولا ابقائي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت
شطر غبني عليك وسلكت ظلامتي فيك اذ كنت الجانية على نفسك ونفسي
والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي والله المستعان
على ما كان من سوء اختيارك والسلام ● وأوقفتني على ما حمله اليها من الهدايا
والتحف العظيمة فاذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها
ضمرة فقال الرشيد لولا أن ضمرة سبقني اليها لكان لها معي شأن من الشؤون انتهى
(وحكى) مسرور الخادم قال أرق الرشيد أرقا شديدا ليلة من الليالي فقال يا مسرور
من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذري
فقلت أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل معي الى أن صار بين
يدي هرون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه وأمره بالجلوس فقال له الرشيد
يا جميل أعندك شيء من الاحاديث العجيبة قال نعم يا أمير المؤمنين أيما أحب اليك
ما عاينته ورأيته أو ما سمعته ووعيته فقال بل حدثني بما عاينته ورأيته فقال نعم
يا أمير المؤمنين أقبل علي بكلك واصغ الي باذنك قال فقصد الرشيد الى مخدة من
الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذه ثم مكن
منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقال اعلم يا أمير المؤمنين اني كنت مفتونا بفتاة
محبا لها وكنت آلفها اذ هي سؤلي وبغيتي من الدنيا وان أهلها رحلوا بها لقلة المرعى
فأقمت مدة لم أرها ثم ان الشوق أقلقني وجذبني اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها

فلما كانت ذات ليلة من الليالى هزنى الوجد اليها فقمت وشددت رحلى على ناقتى واعتممت بعمتى ولبست أطمارى وتقلدت بسيفى وتنكبت جحفى وركبت ناقتى وخرجت طالبا لها وكنت أجد فى السير فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وأنا مع ذلك أكابد هبوط الاودية وصعود الجبال وأسمع زئير الآساد وعواء الذئاب وأصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهل عقلى وطاش لبى ولسانى لا يفتر عن ذكر الله تعالى فبينما أنا أسير كذلك اذ غلبنى النوم فأخذت بى الناقة على غير الطريق التى كنت فيها وزاد على النوم واذا أنا بشئ لطمنى فى رأسى فانتبهت فزعا مرعوبا واذا بأشجار وأنهار وماء وأطيار على تلك الاغصان تترنم بلغاتها وألحانها وأشجار ذلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن ناقتى وأخذت زمامها بيدى ولم أزل أتلطف بها الى أن خرجت بها من تلك الاشجار الى أرض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا أدرى الى أين أذهب ولا الى ما تسوقنى الاقدار فمددت نظرى فى تلك البرية فلاحت لى نار فى صدرها فوكزت ناقتى وسرت طالبا الى أن وصلت الى تلك النار فقربت منها وتأملت واذا بخباء مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت فى نفسى يوشك أن يكون لهذا الخباء شأن عظيم فانى لا أرى فى هذه البرية سواه ثم تقدمت خلف الخباء وقلت السلام عليكم يا أهل الخباء ورحمة الله وبركاته فخرج الى من الخباء غلام من أبناء تسعة عشر كأنه البدر اذا أشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب انى أظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك أرشدنى يرحمك الله تعالى فقال يا أخا العرب ان أرضنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش أن يفترسك فانزل عندى على الرحب والسعة فاذا كان الغد أرشدتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتى وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من أطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها والى نار فأضرمها وأججها ثم دخل الخباء وأخرج أبزارا ناعمة وملحا مطيبا وأقبل يقطع من اللحم ويشوى على النار ويطعمنى ويتنهد تارة ويبكى تارة أخرى ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وأنشد يقول

لم يبق الا نفس خافت ۞ ومقلة انسانها باهت ۞ لم يبق فى اعضائه مفصل

الا وفيه سقم ثابت * فدمعه جار وأحشاؤه * توقد الا أنه ساكت
تبكي له أعداؤه رحمة * ياويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا أمير المؤمنين علمت ان الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت في نفسي أنا في منزل الرجل وأتهجم عليه في السؤال فردعت نفسي وأكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغت من الاكل قام الشاب ودخل الخباء وأخرج طستا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير أطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوأ من الماورد الممسك قال فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي ما أغرب الظرف في البادية ثم غسلنا أيدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الخباء وقطع بيني وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا أنا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من الثياب ونمت بليلة لم أنم عمري مثلها فلم أزل كذلك وأنا متفكر في أمر هذا الشاب الى أن جن الليل ونامت العيون فلم أشعر الا بحس خفي لم أسمع ألطف منه ولا أرق حاشية فرفعت سجاف المضرب ونظرت فاذا أنا بصبية لم أر أحسن منها وجها وهي الى جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاقي فقلت يالله العجب من هذا الشخص الثاني وهذا بيت فرد فاني لم أر فيه غير هذا الفتى وليس حوله أحد ثم قلت في نفسي لا شك أن هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذا هي انسية عربية اذا رمقت تخجل الشمس المضيئة وقد أضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت أنها محبوبته غلبتني الغيرة على الحب فارخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما أصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان علي من الفرض ثم قلت له يا أخا العرب هل لك أن ترشدني الى الطريق فقد تفضلت علي فنظر الي وقال على رسلك يا وجه العرب الضيافة ثلاثة وما كنت بالذي يدعك الا لثلاثة أيام قال جميل فأقمت عنده ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال أما نسبي فأنا من بني عذرة وأنا فلان بن فلان وعمي فلان فاذا هو ابن عمي يا أمير المؤمنين وهو من أشرف بيت

فى بنى عذرة قال فقلت يا ابن العم ما حملك على ما أراه منك من الانفراد فى هذه البرية وكيف تركت عبيدك واماءك وانفردت بنفسك فى هذا المكان فلما سمع يا أمير المؤمنين كلامى تغرغرت عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم انى كنت محبا لابنة عمى مفتونا بها هائما بحبها مجنونا عليها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقى لها فخطبتها من عمى فابى أن يزوجنيها وزوجها من رجل من بنى عذرة ودخل بها وأخذها الى المحلة التى هو فيها من العام الاول فلما بعدت عنى وحجبت عن النظر اليها حملتنى لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على تركى أهلى ومفارقتى عشيرتى وخلانى وجميع أمتعتى وانفردت بهذا البيت فى هذه البرية وألفت وحدتى فقلت وأين أبياتهم قال هم قريب فى ذروة هذا الجبل وفى كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل تنسل من الحى سرا بحيث لا يشعر بها أحد فاقضى منها بالحديث وطرا وتقضى هى كذلك وها أنا مقيم كذلك على هذا الحال أتسلى بها ساعة من الليل ليقضى الله أمرا كان مفعولا أو يأتينى الامر على رغم الحاسدين أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين قال جميل فلما حدثنى الغلام يا أمير المؤمنين غمنى أمره وصرت من ذلك فى حيرة لما أصابنى عليه من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك وفيها ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عنك الذى تخشاه فقال لى قل يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتى فانها سريعة الرواح واركب أنت جوادك وأنا أركب بعض هذه النوق وأسير بكم الليلة جميعها فما يصبح الصباح الا وقد قطعت بكم برارى وقفارا وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها وأنا والله مساعدك ما حييت بروحى ومالى وسيفى فلما سمع ذلك قال لى يا ابن العم حتى أشاورها فى ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة بالامور قال جميل فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فابطأت عن عادتها فرأيت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح التى تهب من نحوها وأنشد يقول

ريح الصبا تهدى الى نسيم * من بلدة فيها الحبيب مقيم

ياريح فيك من الحبيب علاقة * أفتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكى ثم قال لى يا ابن العم ان لبنت عمى فى هذه

الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عنى عائق ثم قال لى كن مكانك حتى آتيك بالخبر
ثم أخذ سيفه وحجفته ثم غاب عنى ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يديه شئ يحمله ثم
صاح الى فاسرعت اليه فقال أتدرى يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال فجعت فى
ابنة عمى فى هذه الليلة لانها كانت توجهت الينا كعادتها اذ عرض لها فى طريقها
أسد وافترسها ولم يبق منها الا ما ترى ثم انه طرح ما كان على يده فاذا هو مشاش
الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده وأخذ كساء
على يده ثم قال لى لا تبرح الى أن آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عنى ساعة ثم
عاد وبيده رأس الاسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتيته به فغسل فم الاسد
وجعل يقبله ويبكى ويئن وزاد حزنه عليها وأنشد يقول

ألا أيها الليث المغر بنفسه • هلكت لقد هيجت لى بعدها حزنا
وصيرتنى فردا وقد كنت الفها • وصيرت بطن الارض لى ولها وطنا
اقول لدهر خاننى بفراقها • وحاز عليها أن أكون لها حزنا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التى بينى وبينك الا حفظت
وصيتى انك سترانى الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك فغسلنى وكفنى أنا وهذا
الفاضل من مشاش الجارية فى هذا الثوب وادفنا فى قبر واحد واكتب على قبرنا
هذه الأبيات وأنشد يقول

كنا على ظهرها والعيش فى رغد • والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا • وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عنى ساعة وخرج وجعل يتنهد
ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم على وكبر عندى حتى
كدت الحق به من شدة حزنى عليه ثم تقدمت اليه وفعلت به ما أمرنى من الغسل
وكفنتهما جميعا ودفنتهما فى قبر واحد وأقمت على قبرهما ثلاثة أيام ثم ارتحلت
وأقمت سنين أتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين قال
فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه وأجازه جائزة حسنة والله أعلم (حكاية
أجنبية) قال اسحق بن ابراهيم الموصلى بينما أنا ذات يوم فى منزلى وكان زمن الشتاء
وقد انتشرت السحب وتراكمت الأمطار بقطر كأفواه القرب وامتنع الغادى

والمقبل من المسير فى الطرقات لما فيها من الأمطار والوحل وأنا ضيق الصدر اذلم يأتنى أحد من اخوانى ولم أقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامى أحضر لى ما أتشاغل به فأحضر لى طعاما وشرابا فتنغصت اذلم يكن معى من يؤانسنى ولم أزل أتطلع من الطاقات وأراقب الطرقات وأقبل الليل فتذكرت جارية لبعض أولاد المهدى كنت أهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهى فقلت فى نفسى لو كانت الليلة عندنا لتم سرورى وطالت ليلتى مما أنا فيه من الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول

• أيدخل محبوب على الباب واقف • فقلت فى نفسى لعل غرس التمنى أثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتى وعليها مرط أخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت فى الطين الى ركبتها وابتل ما عليها من المزاريب وهى فى حال عجيب فقلت لها يا سيدتى ما الذى أتى بك فى مثل هذه الأوحال فقالت قاصدك جاءنى ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعنى الا الاجابة والاسراع نحوك فعجبت من ذلك وكرهت أن أقول لها انى لم أرسل اليك أحدا فقلت الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من ألم الصبر ولو كنت أبطأت على ساعة كنت أحق بالسعى اليك فانى كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامى هات الماء فأقبل بسخانة فيها ماء حار حتى أصلح لها حالها ثم أمرته أن يصب الماء على رجليها وتوليت غسلهما ثم دعوت ببدلة من أفخر الملبوس فألبستها اياها بعد أن نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فأبت فقلت هل لك فى الشراب فقالت نعم فتناولت أقداحا ثم قالت من يغنى لى فقلت لها أنا يا سيدتى فقالت لا أحب فقلت بعض جوارى قالت لا أريد فقلت غنى لنفسك قالت ولا أنا قلت فمن يغنيك قالت التمس من يغنى لى فخرجت طاعة لها الا أنى آيس من أن أجد أحدا فى مثل هذا الوقت فلم أزل حتى بلغت الشارع فاذا أنا بأعمى يختبط الأرض بعصا وهو يقول لاجزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوا وان سكت استخفوا بى فقلت أمغن أنت قال نعم قلت فهل لك أن تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدى فأخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها يا سيدتى أتيت بمغن أعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت على به فأدخلته وعزمت عليه فى الطعام فأكل

أكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاثة أقداح ثم قال لي من تكون قلت اسحق بن ابراهيم الموصلي قال لقد كنت أسمع بك والآن فرحت عناد منك فقلت ياسيدي فرحت بمن يسرك فقال غن يا اسحق فأخذت العود على سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما غنيت وانقضى الصوت قال يا اسحق قاربت أن تكون مغنيا فصغرت على نفسي وألقيت العود من يدي فقال ما عندك من يحسن الغناء قلت عندي جارية قال مرها فلتغن قلت تغني وأنت واثق بغنائها قال نعم فغنت قال ما صنعت شيأ فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذي عندنا جدنا به فان كان عندك شيء فتصدق به فقال علي بعود لم تمسه يد فأمرت الخادم فجاء بعود جديد فضرب في طريق لا أعرفها واندفع يغني هذه الأبيات

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف • حبيب بأوقات الزيارة عارف

وما راعنا الا السلام وقولها • أيدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزرا وقالت سر بيني وبينك ما وسعه صدرك ساعة وأودعته لهذا الرجل فحلفت لها ثم اعتذرت اليها وأخذت أقبل يديها وأدغدغ ثدييها وأعض خديها حتى ضحكت ثم التفت الى الأعمى وقلت غن يا سيدي فأخذ العود وغنى هذه الأبيات

• ألا ربما زرت الملاح وربما • لمست بكفي البنان المخضبا

ودغدغت رمان الصدور ولم أزل • أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها يا سيدتي فمن أعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال اني حاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وأبطأ فخرجنا في طلبه فلم نجده واذا الأبواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة فلا ندري أفي السماء صعد أم في الأرض هبط ثم علمت أنه ابليس وأنه قادلي ثم انصرف فتذكرت قول أبي نواس حيث قال

عجبت من ابليس في كبره • وخبث ما أضمر في نيته

تاه على آدم في سجدة • وصار قوادا لذريته

(ونظير ذلك مما يستظرف لأبي نواس) ما حكي عنه أنه قال ضجرت من ملازمة أمير المؤمنين هرون الرشيد حتى اني لم أجد فراغا الى نفسي فتوجه أمير المؤمنين الى الصرح ليبيت فيه ثم يعود فوجدت لروحي فرصة فدخلت داري وأغلقت

بابى وأحضرت شرابا وطلبت نفسى الخلوة فعند المساء واذا بالباب يطرق فخرجت واذا أنا بظبى من أولاد الاتراك مارأت عينى أحسن منه منظرا فسلم على وقال لى أتقبل ضيفا قلت ياسيدى ومن لى بذلك فدخل بيتى فطار عقلى عند دخوله ثم أخرج من تحت ثيابه سلاحية شراب ونقلا وشيأ من الدجاج ثم شرب وغنى شيأ لم أسمعه من غيره وقضيت مرادى منه مرارا الى أن مضى وقت من الليل وقد هام عقلى من الشراب ومن حسنه ومن تسليم نفسه الى بغير تقديم عوض ثم قال ياسيدى أريد الانصراف فقلت له ياسيدى متى خرجت أنت خرجت روحى من جسدى وكل شئ أملكه بين يديك وأنا أصير عبدك بعد هذا اليوم ولا أفارقك قال أصحيح ماتقول قلت نعم قال أنا محتاج الى مالك وان كنت صادقا فيما ادعيت من محبتك لى قم واحلق لحيتك وشاربك واقعد مثلى أمرد قال فحكم على السكر والعشق فما قدرت أن أخالفه فاجبته الى ذلك على انه يبيت عندى فعمد الى موسى وبل لحيتى وفى الحال أزالها وبقيت مثله أمرد ثم صار يضحك على وقال يا أبانواس كيف الشعر الذى ذكرت فيه آدم وابليس فانشدته قائلا

عجبت من ابليس فى كبره * وخبث ما أضمر فى نيته

تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

ثم ضحك ضحكا عاليا وصك على ساحل قفاى صكا فزعجا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك أتفعل بى هكذا ثم أردت التطلع اليه فما وجدت أحدا يجيبنى فقلت انه الملعون ابليس انتهى (وقال بعضهم)

قد جاءنى ليلا أبو مرة * ابليس يدعونى بلا ترجمان * وقال لى هل لك فى أمرد يهزمن أعطافه غصن بان * قلت نعم قال وفى خمرة * حبابها يحكى عقود الجمان

قلت نعم قال فنم آمنا * أنت رئيس الفسق هذا الزمان

وقال أبو نواس

وليلة طال سهادى بها * فزارنى ابليس عند الرقاد * وقال لى هل لك فى قحبة لبيبة تطرد عنك الرقاد * قلت نعم قال وفى قهوة * عتقها العاصر من عهد عاد قلت نعم قال وفى مطرب * اذا شدا يطرب منه الجماد * قلت نعم قال وفى شادن قد كحلت أجفانه بالسواد * قلت نعم قال وفى طفلة * فى وجنتيها الحسن ينقاد

قلت نعم قال فنم آمنا • يا كعبة الفسق وركن الفساد

وقال زين الدين عمر بن الوردى معارضا لذلك

غمت وابليس أتى • بحيلة منتدبه • فقال ماقولك فى
حشيشة منتخبه • فقلت لا قال ولا • خمرة كرم مذهبه
فقلت لا قال ولا • مليحة مطيبه • فقلت لا قال ولا
أغيد بالبدر اشتبه • فقلت لا قال ولا • آلة لهو مطربه
فقلت لا قال فنم • ما أنت الا حطبه

(وحضر) أبو نواس عند الرشيد ليلة أنس وكان أبو طوق حاضرا وكان أبو نواس مشغوفا بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس أخذ كل واحد مضجعا للنوم فخاف الخليفة من أبى نواس على أبى طوق فقال الخليفة لأبى طوق نم أنت على السرير وقال لأبى نواس أنام أنا وأنت أسفل السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك غير راض فى نفسه وتغافل الخليفة عن أبى نواس وأظهر النوم ثم انتبه فوجد أبا نواس فوق السرير بجنب أبى طوق يضمه ويعانقه فقال ما هذا يا أبا نواس فقال هزنى الشوق من أجل أبى طوق فتدرجت من أسفل الى فوق فقال له قاتلك الله انتهى من حلبة الكميت (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضى أبو الحسن التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة أن منارة وكان صاحب شرطة الرشيد قال رفع الى هرون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع فى البلد له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة فى بعض حجه فى سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وقد بايع للأمين والمأمون والمعتصم أولاده فدعانى وهو خال وقال انى دعوتك لأمر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف يكون ثم قص على خبر الاموى وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الخيول وأزحت علتك فى الزاد والنفقة والآلة وتضم اليك مائة واسلك البرية وهذا كتابى الى نائب دمشق وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل عليه أنت ومن معك لئلا يهرب وأنفذ الكتاب الى أمير دمشق ليكون مساعدا لك واقبضا عليه وجئنى

به وأجلت لذهابك ستا ولايابك ستا ويوما للقامك وهذا محمل تجعله فى شقة منه اذا قيدته وتقعد أنت فى الشقة الاخرى ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتينى به فى الثالث عشر يوما من شهر وجب فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها من أهله وولده وحاشيته وغلمانه وقدر نعمته والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه منذ يقع طرفك عليه حتى تأتينى به واياك أن يشكل عليك شئ من أمره انطلق قال منارة فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى أن وصلت الى دمشق فى أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طروقها ليلا فبت بظاهر البلد الى أن فتح بابها من غد فدخلت حتى أتيت باب الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معى عنى فقال هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم قال فلما صرت فى صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت أن الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بى فقلت أفيكم فلان قالوا نحن أولاده وهو فى الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت بأهلها موجا كبيرا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه واسترببت منه واشتد قلقى وخوفى من ان يتوارى الى أن رأيت شخصا بزى الحمام يمشى فى صحن الدار وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم على سلاما خفيفا وسألنى عن أمير المؤمنين واستقامة حضرته فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة وكل معنا فقلت مالى الى ذلك من سبيل فلم يعاودنى فأكل هو ومن معه ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا اليه بمائدة حسنة لم أر مثلها الا للخليفة فقال يا منارة ساعدنا على الاكل لا يزيد على ان يدعونى باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه فما عاودنى فأكل هو ومن معه وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله فى نفسه فوجدته يأكل أكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن ووجدتهم لا يعرفون شيأ من بين يديه قد وضع على المائدة الا نهبا غيره مالا أعظم وأحسن منه وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت الى الدار مالى

وغلماني وعدلوا بهم الى دار أخرى فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدي وليس بين يدي الاخس أوست غلمان وقرف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد فان امتنع من الشخوص لم أطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا احفظ الآن يلحقني أميرالبلد وجزعت جزعاً شديداً ورابني منه استخفافه وتهاونه بامري يدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الاكل ولا يسأل عما جئت به ويأكل مطمئناً وأنا مفكر في ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة وصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال ورأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال ما أقدمك يا منارة فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ودفعته اليه ففضه وقرأه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيماناً غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف ان لا يجتمع اثنان في موضع واحد وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى أن يكشف لهم أمراً يعتمدون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين بالمصير اليه ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحريم خيراً ومالي حاجة ان يصحبني أحد منكم هات قيودك يا منارة فدعوت بها وكانت في سفط ومد يده فقيدته وأمرت غلماني بحمله حتى صار في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل وليس معه أحد الى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي أترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى فقال مثل ذلك هذا لي فاشتد غيظي منه وقلت ألست تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك فريداً مقيداً مغلولاً ماتدري الى ما يصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد أن جئتك وأنت لا تفكر فيما جئت به وأنت ساكن القلب قليل التفكر لقد كنت عندي شيخاً فاضلاً فقال لي مجيباً انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك لقد ظننت أنك رجل كامل العقل وأنك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا لما عرفوك به فاذا عقلك

وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان أما قولك فى أمير المؤمنين وازعاجه وانزعاجه اياى الى بابه على صورتى هذه فانى على ثقة من الله عز وجل الذى بيده ناصية أمير المؤمنين ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا باذن الله عز وجل ولا ذنب لى عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمير المؤمنين أمرى وعرف سلامتى وصلاح نيتى سرحنى مكرما فان الحسدة والاعداء رمونى عنده بما ليس فى وتقولوا على الاقاويل ولم يستحل دمى ويخرج من ايذائى وازعاجى ويردنى مكرما ويقيمنى ببلاده معظما مبجلا وان كان قد سبق فى علم الله عز وجل أنه يبدو لى منه سوء وقد اقترب أجلى وكان سفك دمى على يده فلو اجتهدت الملائكة والانبياء وأهل الارض والسماء على صرف ذلك عنى ما استطاعوا فلم أتعجل الفكرة فيما فرغ الله منه وانى أحسن الظن بالله الذى خلق ورزق وأحيا وأمات وان الصبر والرضا والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ فهمك فانى لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى ثم أعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتنى قبل ستة فراسخ من الكوفة يتجسسون خبرى فحين رأونى رجعوا عنى متقدمين بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهيت الى الباب فى آخر النهار فحططت رحلى ودخلت على الرشيد وقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك يا منارة واياك أن تغفل منه عن لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور وما حدثتنى به نفسى من امتناعه والغضب يظهر فى وجه أمير المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموى من الصلاة والتفاته الى وسؤاله عن سبب قدومى ودفعى الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وأصحابه وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد وصرفه اياهم ومد رجليه فقيدته فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ما خاطبنى به عند توبيخى له لما ركبنا فى المحمل فقال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمرى لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده وائتنى به قال فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا أن رآه

حتى رأيت ماء الحياء يجول فى وجه الرشيد فدنا الاموى وسلم بالخلافة ووقف فرد
عليه الرشيد ردا جميلا وأمره بالجلوس فجلس وأقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله
ثم قال له بلغنا عنك فضل هيئة وأمور أحببنا معها أن نراك ونسمع كلامك ونحسن
اليك فاذكر حاجتك فاجاب الاموى جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال ليس لى عند أمير
المؤمنين الا حاجة واحدة فقال مقضية فما هى قال يا أمير المؤمنين تردنى الى بلدى
وأهلى وولدى قال نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك
فان مثلك لا يخرج الا ويحتاج الى شىء من هذا فقال يا أمير المؤمنين عمالك منصفون
وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتى فأمورى مستقيمة وكذلك أهل بلدى بالعدل
الشامل فى ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا
بأمر ان عرض لك فودعه الاموى فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من
وقتك وسر به راجعا كما سرته حتى اذا وصلت الى مجلسه الذى أخذته منه فودعه
وانصرف قال منارة فما زلت معه حتى انتهى الى محله ففرح به أهله وأعطانى عطاء
جزيلا وانصرفت والله أعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكى) أن
الخليفة هرون الرشيد قلق فى بعض الليالى قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر
البرمكى وقال له يا وزيرى ان صدرى ضيق ومرادى الليلة التفرج فى شوارع بغداد
وننظر فى مصالح العباد بشرط أن لا يعرفنا أحد من الناس ونتزيا بزى التجار
الاكياس فقال له الوزير السمع والطاعة فقاموا فى الوقت والساعة وقلعوا
ما عليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار الخليفة والوزير جعفر
ومسرور السياف الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا
بالامر المقدر شيخا قاعدا فى زورق فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا يا شيخ نشتهى
من فضلك واحسانك أن تفرجنا الليلة فى مركبك وخذ هذين الدينارين أجرتك
انتفع بهما فقال لهم الشيخ ومن يقدر على الفرجة والخليفة هرون الرشيد ينزل
كل ليلة فى حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه مناد ينادى معاشر الناس كافة جيد وردىء
شيخ وصبى خاص وعام عبد وغلام كل من نزل فى مركب بالليل وشق الدجلة ضربت
عنقه أو يشنق على صارى مركبه وكأنكم الساعة بالحراقة وهى مقبلة فقال له
الخليفة هرون الرشيد وجعفر البرمكى يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبوا



من هذه الاقبية الى أن تروح الحراقة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والله المستعان فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالحراقة قد أقبلت من كبد الدجلة وفيها الشموع والمشاعل فقال لهم الشيخ أما قلت لكم يا ستار لا تكشف الاستار فقال الخليفة هرون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل بنا يا شيخ فى قبو من الاقبية حتى تمضى هذه الحراقة فدخل الى قبو ووضع عليهم مئزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد أقبلت والشمع يوقد فيها واذا فى مقدم الحراقة مشاعلى بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود القاقلى وعلى المشاعلى قباء أطلس أحمر بطراز مزركش أصفر وعلى رأسه شاش موصلى وعلى كتفيه مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة من العود القاقلى وهو يوقد به عوض الحطب ومشاعلى آخر فى مؤخر الحراقة مثله ومائتا مملوك واقفون ميمنة وميسرة وكرسى منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كانه مسرور بسيف مشهور وعشرون نديما فقال الخليفة يا جعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال لعل أن يكون هذا أحد أولادى اما المأمون أو محمد الامين فلما وصلت الحراقة اليهم واذا بالمشاعلى ينادى معاشر الناس كافة الخاص والعام والجيد والردىء والعبد والغلام جهاوات وغير جهاوات قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج فى الدجلة أو فتح طاقته حل ماله وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب ، قال فتأمل الخليفة هرون الرشيد فى الشاب وهو جالس على كرسى من الذهب قد كمل بالحسن والجمال والبهاء والكمال قد زان المنصب فلما تأمله هرون الرشيد التفت الى الوزير وقال يا وزير قال له لبيك يا أمير المؤمنين قال والله ما أبقى شيأ من شكل الخلافة وهذا الذى بين يديه كانه أنت يا جعفر لا محالة والخادم الذى على رأسه كانه مسرور وهذا وهؤلاء الندماء كانهم ندمائى وقد حار عقلى فى هذا الامر فقال له الوزير وأنا والله يا أمير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى أن غابت عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بالشختور الذى فيه الجماعة من تحت القبوة وقال الحمد لله على السلامة الذى لم يصادفنا فقال له الخليفة يا شيخ وهذا الخليفة ينزل كل ليلة فى الدجلة قال نعم يا سيدى له على هذه الحالة سنة كاملة فقال له الخليفة يا شيخ

نشتهى من فضلك واحسانك أن تقف لنا ليلة غد فى هذا المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن نازلون فى الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة ثم ان الخليفة وجعفرا ومسرورا توجهوا من عند الشيخ المراكبي الى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد فى مرتبته ودخلت الامراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناد قال الخليفة هرون الرشيد لوزيره يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثانى فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الشختور لهم فى الانتظار فنزلوا عنده فى المركب فلما استقروا مع الشيخ المراكبي واذا بالخليفة الثانى فى الحراقة وقد أقبلت عليهم فتأملوها واذا فيها مائتا مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية تنادى على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شئ لو سمعت به ما صدقت ولكن رأيت هذا عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الشختور يا شيخ هذه عشرة دنانير فسر بنا فى مساواتهم فانهم فى النور ونحن فى الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فأخذ الشيخ العشرة دنانير وأطلق الشختور فى مساواتهم وصار فى ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين فى أثرهم الى آخر البساتين واذا بزربية بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين واقفين ومعهما بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة وسار بين الندماء وزعقت المشاعلية والجاوبشية واشتغلت الغاشية وطلع هرون الرشيد وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة أنفار لبسهم لبس التجار وهم غرباء فأنكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم وأحضروهم بين يدى الخليفة الثانى فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذى جاء بكم فى مثل هذا الوقت قالوا يا مولانا اليوم كان قدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد أقبلتم وجاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين أيديكم وهذا خبرنا فقال لهم الخليفة الثانى طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم ثم التفت الى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا

ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم سار والى أن وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ماحواه سلطان قصر قام من التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وحصر عبدانية ومخدات اسكندرانية وستر مسبول وفرش تذهل العقول وعلى عتبة الباب مكتوب هذان البيتان

قصر عليه تحية وسلام • نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت • فتحيرت فى نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانى الى القصر والجماعة فى خدمته الى أن جلس على كرسى من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسى بشخانة من الحرير الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقيصر مزركشة بالذهب الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل رباطاتها من الحرير الاصفر هذا وقد جلس الندماء فى مراتبهم وصاحب سيف النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط وأكلوا ورفعوا الخوان ولأيديهم غسلوا وأحضرت آلة المدام ووضعت الطاسات والاوانى وصفت الاباريق والكاسات والقنانى ودار الدور الى أن وصل الى الخليفة هرون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاى له مدة ماشرب فقال الشاب عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك على بشراب التفاح ففى الحال أحضر فقدم بين يدى هرون الرشيد وقال كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون فى انشراح وتعاطى أقداح الى أن تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره والله ياوزير ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فياليت شعرى من يكون هذا الشاب فبينما هما يتحدثان بلطافة اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يسارر الخليفة فقال المسارة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة الا أن رفيقى هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت الاجناد فما رأيت أحسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا أن أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثانى هذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب

الوشايح وخلفه جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهنود وشدته وحنت اليه بعد أن ضربت أربعة وعشرين طريقة عليه فاذهلت العقول وعادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق • يخبر عني أنني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب • وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم أكتم الحب الذي قد أذابني • وقلبي قريح والدموع سوابق
وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى • ولكن قضا الرحمن في الخلق سابق

قال فلما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فاسبلت البشخانة وأتي ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية أحسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وأنشدت تقول

كيف اصطباري ونار العشق في كبدي • والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش أسر به • وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل وأسبلت عليه البشخانة على العادة وأتي ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها واستوى جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح الباب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود يذهل الاسود فغنت وأنشدت تقول

أقصروا هجركم وقلوا جفاكم • ففؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا • ذا غرام متيما في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد • يتمنى من الاله رضاكم
يا بدورا محلكم في فؤادي • كيف أختار في الانام سواكم

قال فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فأرخوا عليه البشخانة وأتوا ببدلة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل

القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسي وأخذت العود وغنت تقول

ترى ينصرم حال التهاجر والقلى • ويرجع ما قد انقضى لي أولا
أيام كنا والديار تلمنا • في طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا • من بعدها تيك المنازل والحلا
أتروم منى ياعذولي سلوة • وأرى بقلبي مايطيع العذلا
فدع الملام وخلني بصبابتي • القلب من أنس المحبة ماخلا
ياسادة نقضوا العهود وبدلوا • لاتحسبوا قلبي لبعدكم سلا

قال فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ماعليه من الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى والحيل فأرادوا أن يرخوا عليه البشخانة على العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاحت من هرون الرشيد التفاتة فنظر على أجناب الشاب أثر مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد لجعفر انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عند أحد منه خبر هل رأيت ماعلى جنبيه من الاثر وقد أسبلت البشخانة عليه على العادة وأتى ببدلة غيرها فلبسها وقد أفاق من غشيته فاستوى جالسا على العادة مع الندماء فحانت منه التفاتة فوجد جعفرا والخليفة يتحدثان فقال لهما ما الخبر يافتيان فقال جعفر يامولاي خير لاشك ولا خفاء ان رفيقي هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب الملوك والاخيار وقال ان الذي حصل من مولانا الخليفة في هذه الليلة اسراف عظيم لم أر أحدا فعل هذا الفعل في هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شيء زائد في العيار فقال الشاب ياهذا المال مالي والقماش قماشي وهذا من بعض انعامي على الخدم والحواشي فان كل بدلة شققتها هي لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم أن العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فأنشد عند ذلك الوزير جعفر وقال

بنت المكارم وسط كفك منزلا • فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم أغلقت أبوابها • يوما فأنت لقفلها مفتاح

قال فلما سمع الشاب من الوزير جعفر ذلك رسم له بألف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم شراب الراح فقال الرشيد ياجعفر اسأله عن الضرب الذي

رأيناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول فى جوابه فقال الوزير يامولاى لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر أجمل فقال وحياة رأسى وتربة العباس ان لم تسأله أخمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال مالك مع رفيقك وما الخبر فقال خير يامولانا فقال سألتك بالله الا أخبرتنى بخبره ولا تكتم عنى شيأ من أمره فقال يامولاى انه أبصر على جنبيك أثر سياط فتعجب من ذلك غاية العجب وقال بالله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم ما السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم فنعم اعلموا أن حديثى عجيب وأمرى غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تأوه وأن واشتكى وبكى وأنشد

حديثى عجيب حاز كل العجائب * وحق الهوى قد عرف بالمواهب
فان شئتموا أن تسمعوا الى فانصتوا * ويطرب هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولى ففيه اشارة * وان كلامى صادق غير كاذب
لانى قتيل من غرام ولوعة * وقاتلى فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلا وخد مورد * ويقتلنى منها قسى الحواجب
وقد حس قلبى ان فيكم امامنا * خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكمو يدعى الوزير بجعفر * حقيقة يدعى صاحبا وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة * فان كان هذا القول حقا بصائب
فقد نلت ما أرجوه على كل حالة * وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر أنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذى أعرفكم به انى ما أنا أمير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ ما أريده من أبناء المدينة واسمى على بن محمد الجوهرى وان أبى كان من الاعيان ومات وخلف لى أموالا لا تأكلها النيران من ذهب وفضه ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرذ وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجوار وغلمان فلما كان فى بعض الايام وأنا جالس فى حانوتى وحولى الحشم والخدم واذا أنا بجارية قد أقبلت على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كأنهن الاقمار ونزلت على دكانى وجلست وقالت أنت على بن محمد الجوهرى فقلت لها نعم وها أنا مملوكك وعبدك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلى فقلت لها يا ستى الذى عندى

يحضر بين يديك فان أعجبك شئ كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شئ منه فبسوء حظى وكان عندى مائة عقد جوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ منها وقالت أريد أحسن مما رأيت وكان عندى عقد صغير شراؤه على والدى بمائة ألف دينار لم يوجد مثله عند أحد السلاطين الكبار فقلت ياسيدتى بقى عندى عقد الفصوص والجواهر الذى لم يملكه أحد من الاصاغر والاكابر فقالت أرنى اياه فلما رأته قالت هذا الذى طول عمرى أتمناه ثم قالت بكم ثمنه فى الاسعار فقلت شراؤه على والدى بمائة ألف دينار فقالت ولك خمسة آلاف زائدة فقلت لها ياسيدتى العقد وصاحبه فى الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لابد من الفائدة ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها بعجلة وركبت البغلة بسرعة وقالت ياسيدى نور الدين باسم الله تكن صحبتنا لتأخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معهن فى أمان الى أن وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجيب هذه الابيات

ألا يادار لا يدخلك حزن • ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف • اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرت بجلوسى الى أن يأتى الصيرفى فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى أدخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى تقول لك سيدتى ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت فدخلت وجلست حيث أمرتنى واذا بكرسى من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت منى العقد وقد أسفرت عن وجه كأنه دائرة القمر والعقد فى عنقها فاندهش عقلى وحار ذهنى ولبى من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتنى قامت من على الكرسى وسعت نحوى وقالت يانور الدين هل رأيت جميلة مثلى فقلت ياسيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت ياعلى اعلم انى أحبك وما صدقت بك الالما صرت عندى ثم انها طوقت على وعانقتنى فقبلتها وقبلتنى ثم

جذبتني وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني اني أريد أن أهم بها قالت يا علي أتريد أن تجتمع بي في الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنا مني أحد ولست مجهولة في البلد تعلم من أنا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت أنا الست دنيا بنت يحيي بن خالد البرمكي وأخي جعفر فلما سمعت منها ذلك جمعت خاطري عنها وقلت يا سيدتي مالي ذنب في التهجم عليك أنت التي أطمعتني في احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولابد من الاحسان اليك فان أمري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد ان أكون لك وتكون لي ثم انها دعت بالقاضي والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد مهري وأنا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضي حمد الله تعالى وأثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد أن أعطت للقاضي شيأ ماله حساب وأحضرت المدام وأحضرت الاقداح باحسن نظام فلما شعشعت الخمرة في رؤسنا أمرت جارية عودية أن تغني فأنشأت تقول

قلبي وآمالي بباب رجاكمو • لا أبتغي في الكون غير رضاكمو

يا جيرة جاروا علي ببعدهم • حنوا علينا وارحموا مضناكمو

حاشاكمو يا سادتي حاشاكمو • صبا معنى مغرما بهواكمو

بالله جودوا وارحموا المتيم • لا يستمع فيكم حديث سواكمو

مرمى اشتياقي فوق طول رضاكمو • فاذا شجاه حسنكم ناجاكمو

قال فاطربتنا الجارية بحسن غنائها ولم تزل الجواري يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى أن غنت عشر جوار فعند ذلك أخذت العود الست دنيا وأنشدت تقول

أقسم بلين قوامك المياس • اني لنار الهجر منك أقاسي

فارحم لصب في هواك متيم • يا بدر تم أنت خير الناس

أنعم بوصلك كم أبيت بليلة • اجلو جمالك في ضياء الكاس

ما بين ورد جمعت ألوانه • مع نرجس أيضا وحسن الآس

قال الشاب ثم اني أخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه الابيات

سبحان رب جميع الحسن أعطاك • حتى بقيت أنا من بعض أسراك

يا من لها ناظر تسبي الانام به • خذي الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار في خديك قد جمعا • والورد جوري نبت وسط خداك
أنت الغرام لقلبي والنعيم له • فما أمرك في قلبي وأحلاك

قال فلما سمعت مني ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجواري وقمنا الى أحسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنتا بكرا بختم ربها ففرحت بي وفرحت بها فرحا لم أجد في عمري ليلة أطيب منها وفيها أنشدت أقول

يا ليل دم لي لا أريد صباحا • يكفي بوجه معانقي مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدي • وجعلت كفي للنام مباحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا • متعانقين فلا نريد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وأنت اقعد على هذا السرير الى أن أرجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتني أني لا أنتقل من موضعي فاخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخواني ما لحقت تخرج من رأس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وأي عجوز وقالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشمائلك وطيب غنائك فقلت والله على عيني انني ما أقوم من مقامي حتى تأتي الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتي اليها والعجوز أمامي الى أن أوصلتني الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين أنت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لي شيأ حتى أسمعك فقلت السمع والطاعة فأتتني بعود فغنيت عليه وأنشدت أقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب • وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما في الركب من ذمت حمولهم • الا وكان له في الظعن محبوب
أستودع الله لي في حيكم قمرا • يهواه قلبي وعن عيني محجوب
يرضى ويغضب ما أحلى تدلله • وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطيب أنفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل أن تجى اليه السث دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت العجوز أمامى الى أن وصلتنى الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها وصرت أكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها ورفستنى فرمتنى من على السرير وقالت يانور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت الى الست زبيدة ووالله لولا خوفى من الهتيكة والفضيحة لخربت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها ياصواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى وأراد أن يضرب رقبتى فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها ياستنا ماهو بأول من أخطأ وما عرف خلقك وأنت ما تبغضينه ومافعل ذنبا يوجب أن تقتليه فقالت والله لابد أن أورثه فيه أثرا ثم انها أمرت بضربى فضربت على أضلاعى الضرب الذى رأيتموه وأمرت باخراجى فاخرجونى وأبعدونى عن القصر ورمونى ورجعوا وتركونى فلممت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى أن وصلت الى منزلى وأحضرت جراحا وأريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام وجئت الى الدكان وأخذت جميع مافيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت أربعمائة مملوك ماجمعهم أحد من الملوك يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بألف ومائتين من الذهب العين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى وظيفته وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلامهلة ولى على هذه الحالة سنة كاملة ولم أسمع لها بخبر ولا وقفت لها على أثر ثم انه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها • ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كأنها البدر فى تكوين خلقتها • سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لى الا محبتها • فكيف حال الذى قد بات ناعيها
وصيرتنى حزينا ساهيا دنفا • والقلب قد حار منى فى معانيها

قال فلما سمع هرون الرشيد كلام الشاب وما أبداه من الخطاب تعجب غاية العجب

وقال سبحان من جعل لكل شئ سببا ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف وأضمر الرشيد للشاب الانصاف وأن يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين والى قصر الخلافه طالبين ولما استقر بهم فى المنزل الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزير على بالشاب فخرج اليه فى الحشم والخدم وسار الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامى حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة ورأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعاله بدوام العز وأثنى عليه وقال عليك السلام يا أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك وأنشد يقول

لازال بابك كعبة مقصودة • وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد باسرها • هذا المقام وأنت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام وأظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه وأجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين أريد أن تحدثنى بحديثك الليلة يا مسكين فانه من أعجب الامور فقال الشاب العفو يا أمير المؤمنين أعطنى منديل الامان ليهدأ روعى ويطمئن قلبى فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب يحدث بالذى جرى له من أوله الى آخره فعلم الخليفة من غير اطالة أن الصبى عاشق لامحالة فقال الخليفة أتحب أن أردها اليك يا مسكين قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشد

ان رمت احسانا فخذا وقته • أو رمت معروفا فهذا حينه

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر أختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فاحضرها فى الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها أتعرفين هذا من فقالت أين للنساء معرفة بالرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا وأنا أستغفر الله مما جرى

وأسأل من فيض الفضل العفو عنى فضحك الخليفة وأحضر القاضى والشهود
وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود وأكمد العدو والحسود وجعله نديمه
وزاد تكريمه وعاش بقية عمره فى أهنأ عيش ونعمة يجالس الخليفة فى الليل والنهار
تؤانسه الست دنيا ذات الفخار وهذا ما انتهى الينا من التلخيص والله أعلم
(ويحكى) أن جعفر البرمكى نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغنى أنك اشتريت
الجارية الفلانية ولى مدة أطلبها فانها بديعة الجمال ولى شوق زائد اليها فبعنيها قال
ليس على فيها بيع قال هبنيها قال ولا أهبها فقال الرشيد زبيدة طالق منى ثلاثا ان لم
تبعنيها أو تهبنيها وقال جعفر زوجتى طالق منى ثلاثا ان بعتها أو وهبتها ثم أفاقا من
نشوتهما وعلما أنهما وقعا فى أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه
واقعة ليس لها غير أبى يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا
وقال ما طلبت فى هذا الوقت الا لأمر حدث فى الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته
وقال لغلامه اصحب معك المخلاة واجعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة
ودخلت فضع بين يدى الدابة شيأ منه تشتغل به الى حين خروجى فانها لم تستوف
علفها فى هذه الليلة فقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له وأجلسه على
سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك الا لأمر مهم وهو كذا
وكذا وقد عجزنا عن تدبير الحيلة فقال يا أمير المؤمنين هذا من أسهل ما يكون
يا جعفر بع أمير المؤمنين نصفها وهبه نصفها تبرآ من يمينكما فسر بذلك أمير
المؤمنين وفعلا فقال الرشيد أحضر الجارية فى هذا الوقت فانى شديد الشوق اليها
فأحضرت فقال للقاضى أبى يوسف أريد وطأها فى هذا الوقت ولا أطيق الصبر الى
مضى مدة الاستبراء فانظر لى الحيلة فى ذلك فقال أبو يوسف ائتونى بمملوك من
مماليك أمير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فأحضر مملوك فقال أبو يوسف يا أمير
المؤمنين ائذن لى أن أزوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها فى الحال من
غير استبراء فأعجب الرشيد ذلك أكثر من الاول فقال أذنت لك فأوجب القاضى
النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال له هذه صارت لى زوجة وأنا
لا أطلقها فردد عليه القول فأبى وضاق صدر الخليفة لذلك وقال قد اشتد الامر
أعظم مما كان فقال القاضى أبو يوسف يا أمير المؤمنين رغبه بالمال فقال طلقها

وللثمائة دينار قال لا أفعل قال مائتا دينار قال لا أفعل الى أن عرضوا عليه ألف دينار وهو يمتنع وقال للقاضي الطلاق بيدي أم بيد أمير المؤمنين أم بيدك قال بل بيدك أنت قال والله لا أفعل أبدا فاشتد غضب أمير المؤمنين فقال القاضي يا أمير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين أعتق الجارية ثم ملك هذا العبد للجارية قال أعتقتها وملكته لها فقال لها القاضي قولي قبلت فقالت قبلت فقال القاضي حكمت بالتفريق بينكما لانه دخل في ملكها فانفسخ النكاح فقام أمير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا في زماني واستدعى بأطباق الذهب فأفرغت بين يديه وقال للقاضي هل معك شئ توعيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فلئت له ذهبا فأخذها وانصرف فلما أصبح قال للخلانه انظروا الى من تعلم العلم فليتعلمه هكذا فاني أعطيت هذا المال العظيم في مسألتين أو ثلاث فانظر أيها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها ادلال الوزير على قلب أمير المؤمنين وحلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله أرواحهم أجمعين ولكن مسئلة الاستبراء لم تتخرج الا على مذهب ابي حنيفة تخرجها أبو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفي المذهب والله أعلم انتهى من حلبة الكميت

(ومن كلام ابراهيم الموصلي رحمه الله تعالى)

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فياهجر ليلى قد بلغت بي المدى * وزدت على ماليس يبلغه الهجر
وياحبها زدني جوى كل ليلة * وياسلوة الايام موعدك الحشر
واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

(ومن الحكايات اللطيفة) أن بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتفوح منه شمائل الفطنة فدنا منه وسأله مسائل فأجابه عن جميعها بأحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتني عن أشياء فأجبتك واني سائلك سؤالا واحدا قال وما هو قال متى يجد النائم لذة النوم فتفكر الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول في النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد

النوم فقال المجنون أتوجد لذته وقد انقضى فضير الملك وزاد اعجابه وقال لعمري ان هذا لا يحصل من عقلاء كثير فأولى أن يكون نديمي في مثل هذا اليوم وأمر أن ينصب له تخت بازاء شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال أيها الملك أنت شربت هذا لتصير مثلي فأنا أشربه لأصير مثل من فاتعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته والله أعلم • وهذه الحكاية لها بقية أعرضنا عنها وهذه على سبيل الاختصار أيضا (حكى والله أعلم بغيبه وأحكم) أن الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال أريد منك أن تزيل ما بقلبي من الضجر فقال الوزير يا أمير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله أشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وأنت قادر عليها فقال الرشيد وما هي يا جعفر فقال له قم بنا الآن حتى نطلع فوق سطح هذا القصر ونتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كأنما حسن السماء وزرقها • قد رقت فيها أفانين الصور
فكأنما البدر حين لاح لنا • في بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تلتفت نفسي الى شيء من ذلك فقال يا أمير المؤمنين افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار واسمع صوت تغريد الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع الناعورة التي كأنها أنين محب فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة حنت وغنت وقد غدت • تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها • تغني له طول الزمان ويشرب

واما أن تنام يا أمير المؤمنين الى أن يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تلتفت نفسي الى شيء من ذلك فقال يا أمير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى تتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالياً وهذا يقول دوبيت وهذا يعمل كيت وكيت فقال الرشيد ما تلتفت نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر قم يا أمير المؤمنين حتى تنزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات وتتفرج على حسن ألوانها ما بين أدهم كالليل اذا أظلم وأشقر وأشهب وكميت وأحمر

وأبيض وأخضر وأبلق وأصفر وألوان تحير العقول فقال الرشيد ما تاقت نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا أمير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة الى مغنية الى راقصة الى سنطيرية أحضر الجميع وأحضر العقار المروق فلعل أن يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا أمير المؤمنين ما بقي الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد عجزت عن ازالة همّ مولانا فقال يا جعفر أما سمعت قول ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا أحلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرج أمتي في ثلاث أن يرى بعينه شيأ ما رآه أو يسمع شيأ ما سمعه أو يطأ مكانا ما وطئه فيتفق يا جعفر أن يكون في بغداد مكان ما وطئناه أو شيء ما سمعناه أو موضع ما رأيناه فقال جعفر أتأذن لي يا أمير المؤمنين ان اطلع الى مجلس النوبة وأنظر أحدا من المسافرين أحضره بين يدي أمير المؤمنين لعله أن يحدثك بحديث ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ أبي الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى أمير المؤمنين سلم وأحسن وترجم فأبلغ ثم قال يا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أطال الله بقاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك لا أخمدت لك نار ولا اغيظ لك جار ثم أنشد يقول

دام لك العز والبقاء ❊ ما اختلف الصبح والمساء

ودمت ما دامت الليالي ❊ بمدة ما لها انقضاء

الناس ناس بكل أرض ❊ وأنت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال له اجلس يا أبا الحسن وحدثنا بحديث عجيب مليح لم نسمعه قط فقال الشيخ يا أمير المؤمنين أحدثك بشيء سمعته بأذني أو بشيء رأيته بعيني قال الرشيد يا شيخ أبو الحسن الذي تراه العين أحسن من الذي تسمعه الاذن فقال الشيخ يا أمير المؤمنين افرغ لي من ثلاثة أشياء منك فقال ما الثلاثة فقال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا أبا الحسن فقال يا أمير المؤمنين لي عادة أني أسافر في كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزيني وأقعد عنده أحدثه الاسمار وأورد له الاخبار وأنشده الاشعار ولي عليه رسم الفي دينار آخذها

وأعود الى بغداد فاتفق لى فى سنة من السنين أنى سافرت الى البصرة على عادتى ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثانى والثالث فركب الى الصيد وتركنى فى منزله وأوصى أرباب دولته بخدمتى وأكرامى الى أن يعود وأوصى الطباخ الذى له أن لا يطعمنى الا الاشيا تشتهيه نفسى فاشتهيت السمك فقلت للطباخ تعمل من السمك عدة ألوان فأكلت وطاب لى الأكل حتى ثقل على فؤادى فقلت ما يصرف عنى هذا الا المشى ولى عدة أسفار الى البصرة ما أعرف فيها مكانا وأريد اليوم أجعلها حاجة وفرجة ثم انى نزلت أتمشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من السقا لا تطيب نفسى لانه يشرب منه أصحاب الامراض وكبرت نفسى على أن أحملها الى شاطئ الدجلة وقلت مالى الا ان أقصد بعض دور المحتشمين وأطلب منها شربة من ماء فاتيت الى درب وفى ذلك الدرب خمسة دور دارا ن مقابلتان لدارين ودار صدرانية قد قامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدثر مكتوب عليه هذه الابيات

ألا يا دار لا يدخلك حزن • ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف • اذا ماضاق بالضيف المكان

قال فقلت فى نفسى من هذه الدار أشرب الماء فاتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد نحيف وقائلا يقول

بالله ربكما عوجا على سكنى • وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضابى وقولا فى حديثكما • ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا فى ملاطفة • ماضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما فى وجهه غضب • فغالطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت يا حبذا ان كان قائل هذا الصوت شخصا صورته على قدر صوته واحتشمت ثم انى قويت قلبى ورفعت الستر ودخلت الدهليز الى أن انتهيت الى آخره وسددت طرفى واذا أنا بدار قد أقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة

ورأيت فى صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروانا وفى ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية ناعمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة أشهر من علم تربيه العجم على أكتاف الخدم بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان أقبلت فتنت وان ولت قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت • فى قالب الحسن لا طول ولا قصر

جرى بها الشحم حتى دار أعكنها • على القباطى فلا سهر ولا غور

كأنها أفرغت من ماء لؤلؤة • فى كل جارحة من حسنها قمر

الا أن الجارية يا أمير المؤمنين قد حكمت عليها يد الأيام ونزلت بها جميع الاسقام وعند رأسها طبيب وهو يجس يدها ويقول ياست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد ولا حمى ولا شئ تشتكيه أكثر من سهر الليل وجريان الدمع لعل الست فى قلبها هوى من أحد فلما سمعت كلام الطبيب أنشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت • مدامعى بالذى أخفى من الالم

فان أبح أفتضح من غير منفعة • وان كتمت فدمعى غير منكتم

لكن الى الله أشكو ما أكابده • من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الى وقالت من أين ياشيخ فقلت لها من بغداد حلنى العطش الى أن أتيت الى هنا فقالت لعل أن يكون على يدك فرجى فأنا أكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيها له فان رددت على الجواب فأنا أعطى لك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت وهى تقول أما بعد يعجز لسانى ويكل جنانى عن بث الاشواق ولكن أسأل الكريم الخلاق أن يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وأنا القائلة حيث أقول

سرورى من الدنيا لقاكم وقربكم • وحبكم فرض ومامنكم بد

ولى شاهد دمعى اذا ماذكرتكم • جرى فوق خدى لا يطاق له رد

اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت • وجدت لمسراها على كبدى برد

فوالله ما أحببت ما عشت غيركم * ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما أمر فراقكم * فلا كان منكم ما جرى آخر عهد

أما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في تحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغى الى قائل قد غلبتها أيدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن أسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق أن يمن علينا بالتلاق وأنشدت تقول

أحبة قلبي وان جرتمو * على فكل المنى أنتمو
رحلتم وفي القلب خلفتم * لهيبا فهلا ترفقتمو
وأودعتمو يوم ودعتمو * باحشاي نارا وأضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا * على شؤم بختي تعلمتمو

فألف ألف لا أوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ما حن الغريب الى الأوطان وغرد حمام الأيك على البان فرحم الله من قرأ كتابي وتعطف برد جوابي وأنشدت تقول

أحبابنا ما رقا دمعي لفرقتكم * يوم الفراق ولا كفت غواديه
بنتم فلم يبق لي من بعد كم جلد * ولا فؤاد ولا صبر أرجيه
فكم أمني فؤادي بالهوى كذبا * ولست أول من بانت غواشيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد أن نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فأخذته وأتيت الى دار الامير عمرو فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة أنتظره واذا به أقبل وهو راكب على حصان أشقر من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من أولاد الابجر الذي كان لعنتران طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير على ظهره كأنه البدر في منزلته والمماليك قد أحدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار أخضر فوق خد أحمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن معشر

قمر تكامل في نهاية حسنه * مثل القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع من ضياء جبينه * والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما * حسن البرية كلها من عنده

قال أبو الحسن فما أمهلته دون أن قبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقني وأخذ بيدي وأدخلني الدار وأنشد يقول

ما أظن الزمان يأتي بهذا • غير أني رأيته في مناهي

قال فلما جلس على حافة البركة أقبل على يحدثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين أيدينا واذا عليها من ألوان الطعام ما درج وطار في الأمصار وتناكح في الأوكار من قطا وسمان وأفراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وأفراخ رضع وبعلبكات السكر فقال لي بسم الله يا شيخ أبو الحسن فقلت لا والله يا مولاي ما أكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا أبا الحسن كان هذا من الأول أين الكتاب الذي للست بدور فقلت يا سيدي وماهي الست بدور فقال التي جئت من عندها تطلب شربة من الماء منها وجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ماهو كيت وكيت فقلت يا مولاي أكنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا فلاي شئ كتبت الكتاب فقلت هل جاء أحد من عندها وأعلمك فقال انه لا يجسر أحد من غلمانها يقابلني فقلت ولا راح أحد من عندك اليها فقال هي أخس وأحقر من أن يمضي اليها أحد من عندي فقلت يا سيدي الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحي ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عاقل أما سمعت قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون • ترى مالا يراه الناظرونا

وأجنحة تطير بغير ريش • الى ملكوت رب العالمينا

فقلت صدقت يا مولاي ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم بصق فيه وداسه برجله ورماه في البركة فصعب على فلما علم مني ذلك قال لم غيظك أقعد الليلة عندي كل واشرب وخذ مني الخمسمائة دينار التي وعدتك بها الست بدور وأنا أحب اليك منها وأنشد يقول

رأيت شاة وذئبا وهي ماسكة • باذنه وهو منقاد لها سارى

فقلت أعجوبة ثم التفت أرى • مابين نابيه ملقى نصف دينار

فقلت للشاة ماذا الالف بينكما • والذئب يسطو بانياب وأظفار

تبسمت ثم قالت وهي ضاحكة • بالتبر يكسر ذاك الضيغم الضاري

قال فلما سمعت كلامه يا أمير المؤمنين تقدمت وأكلت بحسب الكفاية والنهاية

ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين أيدينا البواطي والسلاحيات فتناول الأمير عمرو وشرب وسقاني وأنا أحدثه وأنادمه الى أن قرب الغروب فقال يا أبا الحسن ما لذة الأمير اذا شرب الى المساء من غير غناء فقلت يقال الشراب بلا طرب ولا سماع الدن أولى به فقال لي قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحضيرة تنقط بالذهب واللازورد العجيب وهي من زخرفة قد صبقت أزهارها وضحكت سلاحيتها وصفت بواطيها ورفعت أقداحها فجلس الامير عمرو وأجلسني بجانبه وقدمت بين أيدينا الشموع وأسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحظيرة مليحة ثم قلت يا مولاي قد تقدم القول ان الشراب بلا سماع الدن أولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاث جوار قد أقبلن كأنهن الأقمار الواحدة تحمل عودا والثانية تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها وأصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بمزمارها فخيل لي ان المجلس الذي نحن فيه يرقص بنا ثم ان الدفية غنت تقول

أحبابنا انني من يوم فرقتكم ● على فراش الضنى مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم ● عسى يفيق من الاسقام مانفعا

فوالله يا أمير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى وأنشدت تقول

أمؤنس طرفي لا خلا منك ناظري ● وجامع شملي لا خلا منك مجلسي
ويا ساكنا قلبي ومافيه غيره ● يحل فما استوحشت فيه لمؤنسي
وبالله يا عين الورى من ملاحة ● تصدق على صب من الصبر مفلس
أنلني الرضا حتى أغيظ به العدا ● ويا موحشي من بعد ماكان مؤنسي
رضاك الذي ان نلته نلت رفعة ● وألبسني في الناس أشرف ملبس

قال والله يا أمير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية نحو الدفية وقالت لها يا فلانة أتحسني أن تقولي مثل هذا فقالت الدفية أنا أحفظ أبياتا ما أظن أنك تحفظين لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا فقالت العودية هات ماعندك فنقرت الدفية على دفها بأناملها ورفعت صوتها وهي تقول

كرروردد ذكرهم في مسمعي * فهم الشفا لتألمي وتوجعي
أقصر بعذلك ياعذول فان لي * قلبا لعذلك لايفيق ولايعي

فقالت لها العودية أنا أحفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هات فضربت العود طريقة من اثنين واثنين وأربعة وثمانية وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

ان لم أسل وادي الأسيل بأدمعي * اعلم بأني في الصبابة مدعي
ياسعد ان جئت الغوير ورأيت * عيناك بان المنحني فلترجع
وخذ الحذار من الغزال المختفي * واحذر بصيدك لحظ ذات البرقع

قال والله ياأمير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام بعضنا ورقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غني لي عن الذي بقلبي وحدي فعندها ساوت عودها وقالت

ما كنت أول رامق صبا صبا * نحو التصابي وهو في عشر الصبا
فعلام يعذلني العذول على البكا * لولا الغرام لها غدوت معذبا
حكم الهوى بحكمه في مهجتي * ولقد غدا قلبي به متقلبا
يالرجال خبا الهوى بحشاشتي * نارا فما تخبو على ذاك الخبا
ولقد سبى قلبي غزال لو رأت * بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الغرام فقال لي * مهلا رويدا أين مني تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع على الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يا مولاي انه قد نام سيدي فان اخترت ان تنام فقم نم في مرقدك وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما أصبحت قمت وسألت عن الامير عمرو فقال بعض الجواري انه قد سرح الى الصيد والقنص فأخذت شاشا لالبسه فرأيت تحته كيسا فيه ألف دينار فأخذته وأتيت الى الست بدور واذا بها واقفة خلف الباب تنتظر وهي تقول

يارسولي الى الحبيب اعتذرلي * فلعل الحبيب يقبل عذري
ثم قل للحبيب عني بلطف * أي ذنب جرى فأوجب هجري

فلما رأتني قالت ياشيخ أفتح أم شعير فقلت لا والله ماهو الا زوان والله مارضي يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى البصرة فيها امائة دينار وقالت اذهب ياأبا الحسن

مامضى الليل وأتى النهار على شئ الا وأزاله وغيره ويغير الله ما فى القلوب ثم انها
أغلقت الباب فى وجهى ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزينبى
فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده أياما وأخذت رسمى وعدت الى بغداد ثم
انى فى السنة الثانية سافرت الى البصرة على ماجرت العادة به ومضيت الى الامير
عمرو بن جبير الشيبانى لاتمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار
متغيرة الآثار والعبيد لابسين السواد فلما رأيت ذلك بكيت وأنشدت أقول

يادار أين ترحل السكان ۞ ومرت بهم من بعدها الاظعان
بالامس كان بك الضياء مع الهنا ۞ واليوم فى عرصاتك الغربان

فسمعنى بعض الغلمان فظهر لى وقال من ذا الذى يبكى على ديارنا ويندب منازلنا
كفى بنا ماعندنا فقلت له ياعبد الخيران صاحب هذه الدار كان من أصدق الناس
الى فما فعل به الزمان فقال لى الغلام يامولاى هو فى قيد الحياة وهو يطلب الموت
فلا يجده فقلت له بالله عليك خذلى الطريق فقال لى الغلام يامولاى من أقول
فقلت قل الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقى المسامر قال فعبر الغلام وغاب ساعة
وعاد وقال لى بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمرا نائما وعند رأسه طبيب
وهو يجس يده ويقول له يامولاى الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا
حمى ولا تشتكى غير سهر الليل وجريان الدمع لايكون المولى الا مسحورا فلما سمع
الامير عمرو كلام الطبيب بكى وأنشد يقول

قال الطبيب لقومى حين جس يدى ۞ هذا فتاكم ورب البيت مسحور
فقلت ويحك قد قاربت فى صفتى ۞ عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كاغدا فيه بعض دنانير فأخذها الطبيب وانصرف ثم التفت الامير عمرو
الى وقال ياشيخ أبو الحسن أما تنظر الى هذا الحال الذى وقعت فيه فقلت له حاشاك
من الاسواء ماسبب ذلك قال ماأعرف له سببا الا أن هجر الست بدور قد قتلنى
وجبها أضنى فؤادى فقلت يامولاى بالعام الماضى تركتك أميرا واليوم أتيت لقيتك
أسيرا فما السبب فقال الامير عمرو ياشيخ انى فى ليلة من الليالى ركبت فى الشط
وقد شحنت مركبى من سائر الازهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام
وأوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا فى البسط وبقينا فى لعب

وضحك الى ثلث الليـل الأول واذا قد أقبل من صـدر الشط مركب وهى تغرب بالطارات والدفوف وتضئ كضوء الشمس وفيها وهج عظـيم فقلت للملاح قدم بنا حتى نتفرج وننظر أينا أحسن تعبيةً مركبنا أو هذه المركب فمددت عينى فرأيت صاحبتى الست بدور وهى بين جوار بها وغلمانها تلعب وتضحك وهى مثـل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عينى عليها كأنما رمت فى قلبى جمرة نار فقلت فى نفسى مافارقت هـذا الوجـه المليح بذنب ثم انى تذكرت العهـد القـديم الذى كان بيننا فلم أقـدر صبرا فـمددت يدى وأخـذت تفاحة ورميتها الى الست بدور فالتفتت فرأتنى فقالت للملاح ارجـع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة تنشرح فأرسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها قسمتنى أضرمت النار فى قلبى ثم قلت لنفسى أنت كنت المطلوب فصرت الطالب فلم يهنأ لى عيش فى هذه الليـلة وقلت للملاح ارجـع الى الشط ثم انى نزلت ومضيت الى منزلى وماذقت طعم المنام فلما أصبحت لم يقر لى قرار وصرت أترقب أن يأتى أحـد من عنـدها ثلاثة أيام فلم آت أحد فبعثت من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم فكتبت لها بعد ذلك ألف كتاب فلم ترد لى جوابا وقـد رميت روحى على كل كبير فى البصرة فيد خلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولى مدة أنتظرك ياشيخ أبو الحسن حتى أبعث معك كتابا وأنا أحلف لك ان هى ردت لك جوابه أعطيتـك ألف دينار وان لم ترد جوابه أعطيتـك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة وقرطاس وكتب فى أول الـكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكوا اليك الصبابة ويسألك بالله أن تردى جوابه أما بعـد فانه يعجز لسانى ويكل جنانى مما أنا فيـه من طول السهر ودوام الفكر وبكى لبكائى صم الحجر فألف ألف لا أوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولنى اياه فأخـذته وأتيت به الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الأولى عليه ستر مرخى وبواب وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالأمس خاليا من الأصحاب واليوم عليـه خادم وبواب ثم انى تقدمت الى الخادم وقلت له قم ياولدى ادخل واستأذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقى قـد أتى ويطلب التمثـل بين يديك فغاب الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز فسمعت الست بدور وهى تقول

ولأصبرن على الزمان وجوره • حتى يعود كما أريد وأشتهي

قال فلما دخلت رأيتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كأنه عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات

آقبلت فى غلالة زرقاء • لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلالة آلتى • قمر الصيف فى ليالى الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا • أو برقعا للوجه مثل الرداء
أو قميصا من الحرير خفيفا • لاصقا للفؤاد والاحشاء
ضربتنى بخنجر العشق حتى • صرت ملقى مختضبا بدمائى
تركتنى على الطريق ونادت • من يصلى على قتيل هوائى

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجار يتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ماكان عليها وجلست ثم أمرت باحضار المائدة وقالت بسم الله كل يا أبا الحسن فقلت لا والله لا أكلت لك طعاما ولا شربت عندك مدا ماحتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الأول لكن والله قد وقعت من عيتابر واحلك الى الأسير عمرو قبل مجيئك الينا فقلت لها أنا مارحت فقالت تكون شيخا وتكذب أنت ماعبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالأمارة قال لك ان رددت الجواب أعطيتك ألف دينار وان لم تردلى الجواب أعطيتك مائة دينار فقلت باستى من أعلمك بهذا فقالت أليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون • ترى مالا يراه الناظرونا

وأنا ياشيخ أبو الحسن أعشق منه وأرى أكثر مما يراه فقلت صدقت يامولاتى كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته وبصقت عليه وداسته ورمته فى البركة فلما رأيت ذلك قلت فى نفسى هذا ابتداك وقرض الدين لابد له من وفاء الا أنه حصل لى بعض غيظ على الالف دينارا التى تفوتنى فنظرت الى وعرفت منى ذلك فقالت ياشيخ أبو الحسن مم غيظك ان كان وعدك بألف دينار فبت الليلة عندى وكل واشرب والتذ واطرب وخذ لك غدا منى ألف دينار وامض

فى وداعة الله فقلت ياسيدتى يكاد الامير عمرو أن يموت فقالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فأكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت ياشيخ أتعرف لعب الشطرنج قلت ماألعب الا على الحكم والرضا فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين أيدينا ولعبت معها الدست الاول فغلبتنى فأمرت الجوارى أن يرمونى فى البركة فسكونى ورمونى فى البركة وضحكت على ساعة ثم أخرجونى وقد ابتلت جميع حوائجى فلما رأتنى على تلك الحالة أمرت ببدلة من القماش من أفخر الملبوس فلبستها فقالت أتلعب أيضا على الحكم والرضا قلت نعم فلعبنا فتغافلت عليها وأتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة وأشغلتها وسرقت القطع الى أن غلبتها وتحكمت فيها وقلت أريد الألف دينار وجواب الكتاب فأعطتنى الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس ثم انها أطرقت ساعة ورفعت رأسها وكتبت تقول

ألا يا عمرو كم هذا العناء • وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الى تشكو ما تلاقى • من الاسقام اذ نزل القضاء
فسقم لا يزال بطول دهر • وداء ماله أبدا دواء
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما • لساعدناك اذ نزل البلاء
فعش صبا وموت كمدا حزينا • فواحدة بواحدة جزاء

فلما فرغت ناولتنى الورقة فقرأتها فقلت ياستى بالله عليك لا تفعلى وارحمى الامير عمرا واكتبى له غير هذا فقالت ياشيخ أبو الحسن أنت رسول والا فضولى فقلت لها رسول وفضولى وطفيلى ويعظ القطط ويحلف أنه ما يبيت الا فى الوسط ويفنى بليت بكم قال فضحكت من كلامى وقالت حكمتك فى نفسى فقلت ياستى بدور أين تلك المحبة التى كنت تحبينها للامير عمرو فلو أبصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسى من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت أخبرنى عن أقوى شئ به من المرض فقلت ياسيدتى ما أقدر أصف لك بعض ما فيه من ألم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز على ما وصفت لى عنه وروحى لروحه الفداء فالحمد لله الذى جعل اجتماعنا على يديك ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت فى أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم انها ابتدأت تنشد وتقول

وصل الكتاب فلا عدمت أناملا • عنيت به حتى تضوع طيبا
ففضضته وقرأته فوجدته • نخفى أوجاع القلوب طبيبا
فكأن موسى قد أعيد لأمه • أو ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهى أن شوقها شديد وغرامها ما عليه من مزيد ومأمولها من الحميد المجيد أن يجمع شملها بك قبل أن تريد وأقول

أشتاقكم حتى اذا نهض الهوى • لمقامكم قعدت بي الايام
والله انى لو وصفت صبابتى • فنى المداد وقلت الاقلام

ثم انها نثرت فيها فتات المسك والطيب وطوتها وحققتها وناولتنى اياها فأخذتها وقمت مسرعا وانا فرحان الى أن أتيت دار الامير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حومت كتب المحبة بيننا • أسحر أم القرطاس أصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآنى قال لى افتح ام شعير فقلت له فتح مغربل ليس فيه كدر ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه فلما فهم معناه تهلل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور على حتى انه • من عظم ماقد سرنى أبكانى
ياعين قد صار البكا لك عادة • تبكين فى فرح وفى أحزان

فلما فرغ من البكاء قال لى ياشيخ ما أظن الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل أن تكون صنعت هذا الكتاب من عندك فقلت يامولاى والله ما صنعته ولا كتبته بل هو خطها بيدها فبينما هو يخاطبنى اذ هى عبرت علينا وهى تخطر فى قوامها وهى تنشد وتقول

تزوركم لا نأخذ كم بجفوتكم • ان الكريم اذا لم يستزر زارا

فلما رآها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية فقمت على أن أخلى لهما المكان فقالت الست بدور الى اين تروح ياشيخ قلت اخلى لكما المكان لانكما ما اجتمعتما من مدة سنة كاملة فقالت لا تفارقنى من الساعة الى الصباح فقام الامير عمرو وأخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وامر بازالة كل شئ كان عليه من آلة الحزن ورش له بالماء فغسلنا يديه وغسلنا ايدينا وانتقلنا الى مجلس الشراب وبتنا فى لذة ورأيت الماوية تدب فى وجه الامير عمرو فلما أصبحت قالت ياشيخ أبا الحسن

امض واتئنا بالقاضي والشهود فلم يكن بأسرع مما أحضرتهم فقالت الست بدور القاضي اكتب كتابي على الامير عمرو وقد وليت الشيخ أبا الحسن عقد النكاح فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما فرسم الامير عمرو للقاضي بألف دينار وللشهود بمائتي دينار وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع الناس ووضع بين أيديهم الموائد وأطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو فلما وقفوا على المنصة قلت ما تصلح الا له ولا يصلح الا لها ولو رآها غيره لزلزلت الارض زلزالها ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يامولاي المثل يقول العصفور يتقلى والصياد يتقلى وأنتم تقولون واطرباه وأنا أقول واحزناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك هذا قلت ياسيدتي الامير عمرو وعدني بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت الست بدور صدق الشيخ أعطه الذي وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه أعط الشيخ أبا الحسن ألفا وخمسمائة دينار يستحق والله أكثر من ذلك فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولني اياه وأعطتني الست بدور مثله ثم اني ودعتهم وخرجت الى أن أتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبي وقعدت عنده على عادتي وأخذت رسمي الذي لي عليه في كل سنة وعدت الى بغداد فما رأيت سنة أبرك علي منها حصل لي فيها أربعة آلاف دينار * وهذا جملة الحديث فتعجب الخليفة وقال ما قصرت ياشيخ أبو الحسن خذ من جعفر ألف دينار لانك أنت الذي أزلت عني ما بقلبي فقال جعفر من عند أمير المؤمنين ألف دينار لانه هو الذي أزال عنه ما كان يجده فقال أبو الحسن صدق الوزير أبقاه الله تعالى ثم انه قبض الالفي دينار ومضى الى منزله والله أعلم (قال) أبو القاسم عبد الملك بن بدورن في شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكي هو جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك والبرمك هو الذي يعمر بيت النور وهو بيت النار وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولده خالد فلما كبر صار وزيرا لابي السفاح بعد أبي سلمة الخلال * وقتل هرون الرشيد جعفرا سنة سبع وثمانين ومائة وكان قد بلغ من الرشيد مالا يبلغه وزير من خليفة قبله حتى كان يجلس معه في حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان على ما ذكره المخبرون حتى بلغ عنده أن يحكم عليه فيما شاء من أمر ماله وولده (فمن ذلك) ما حكاه ابن المهدي عم الرشيد وهو ابراهيم المعروف بابن

شكلة وكانت شكلة أمة سوداء وقد ذكر ان ابراهيم كان أسود شديد السواد وكان
من الطبقة العليا فى صنعة العود قال قال لى جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا فبكر لى
فلما كان الغد مشيت اليه بكرة فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار أحضر حجاما
فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا ثم خلع الينا ثياب المنادمة وقال جعفر لخادمه
لا يدخل علينا أحد الا عبد القهرمانى فنسى الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك بن
صالح الهاشمى وكان رجلا من بنى هاشم ذا ملاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة
ذكر ورزانة وديانة فظن الحاجب أنه الذى أمره بادخاله عليهما فلما رآه جعفر تغير
لونه فقال له عبد الملك بن صالح لما رآهم على تلك الحالة وظهر له أنهم احتشموه أراد
أن يرفع خجله وخجلهم عنا وكنه لهم فى فعلهم فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم
فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب فلما بلغ ثلاثا قال الساقى
اخفف عنى فانى ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها
مقدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها لك مكافأة لما صنعت قال بلى ان أمير المؤمنين
على غاضب فسله الرضا عنى قال قد رضى عنك أمير المؤمنين قال على أربعة آلاف
دينار قال هى لك حاضرة من مال أمير المؤمنين قال وابنى ابراهيم أريد أن أشد ظهره
بصهر من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته عائشة قال وأحب أن
تخفق الالوية على رأسه قال نعم قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال ابراهيم بن المهدى
فانصرف عبد الملك بن صالح وأنا أتعجب من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير
استئذان فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث أن دعا
بأبى يوسف القاضى ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت
البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فاشار الى فلما
سار الى منزله ونزلت بنزوله التفت الى وقال لعل قلبك معلق بامر عبد الملك بن صالح
فاحببت معرفة خبره قلت نعم قال انى لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه
وابتدأت القصة من أولها الى آخرها كما كانت قال الرشيد أحسن والله أحسن
والله ثم قال ما صنعت فاخبرته عما سأل وعما أجبته فى ذلك فقال أحسنت وخرج
ابراهيم واليا على مصر فى يومه والله تعالى أعلم (قال) ابراهيم بن اسحق كنت منقطعا
الى البرامكة فبينما أنا ذات يوم بمنزلى واذا ببابى يدق فخرج غلامى وعاد وقال لى على

الباب فتى جميل يستأذن فاذنت له فدخل شاب عليه أثر السقم فقال لى مدة أحاول لقاءك ولى اليك حاجة فقلت وما هى فأخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدى وقال أسألك أن تقبلها منى وتصنع لى لحنا فى بيتين قلتهما فقلت أنشدنيهما فقال

بالله يا طرفى الجانى على كبدى • لتطفئن بدمعى لوعة الحزن
لالا أبوحن حتى تنزلى سكنى • فلا أراه ولو أدرجت فى كفنى

قال فصنعت لهما لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمى عليه حتى انى ظننت أنه مات ثم أفاق وقال أعده فناشدته الله وقلت أخشى أن تموت فقال ليت ذلك وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته وأعدته فصعق صعقة أشد من الأولى فلم أشك فى موته وما زلت أنضح عليه من ماء الورد حتى أفاق ثم جلس فحمدت الله على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه وقلت خذ مالك وانصرف عنى فقال لا حاجة لى بها ولك مثلها ان أعدته فشرهت نفسى فقلت أعيده ولكن بثلاثة شروط أولها تقيم عندى تأكل من طعامى حتى تتقوى نفسك الثانى أن تشرب من الشراب ما يمسك قلبك الثالث أن تحدثنى بحديثك ففعل ذلك ثم قال انى رجل من أهل المدينة خرجت متنزها وقد سال المطر فى العقيق مع اخوانى فرأيت فتاة مع فتيات كأنها غصن جلله الندى تنظر بعينين ما ارتد طرفهما الا بنفس ملاحظهما فأظللن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد رمت بقلبى جراحا بطيئة الاندمال فعدت أتنسم أخبارها فلم أجد أحدا يرشدنى اليها فجعلت أتتبعها فى الأسواق فلم أقع لها على خبر ومرضت أسى وحكيت قصتى لذات قرابة لى فقالت لا بأس عليك هذه أيام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ وأنا أخرج معك فافعل مرادك قال فاطمأنت نفسى بذلك الى أن سال العقيق وخرج الناس ينظرون فخرجت مع اخوتى وقرابتى فجلسنا فى مجلسنا بعينه فما التقينا الا والنسوة كفرسى رهان فقلت لذات قرابتى قولى لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل لقد أحسن من قال

رمتنى بسهم أقصد القلب وانثنت • وقد غادرت جرحا به وندوبا

قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولى له وقد أحسن من أجابه

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا • ترى فرجا يشفى القلوب قريبا

قال فأمسكت عن الكلام خوف الفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامى فتتبعتها

قريبتي حتى عرفت منزلها ورجعت فأخذتني وسرنا اليها حتى اجتمعنا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها أبوها فلم أزل مجتهدا في لقائها فلم أقدر وشكوت ذلك الى أبي فجمع أهلنا ومضى الى أبيها راغبا في خطبتها فقال لو بدا له ذلك قبل أن يفضحها لفعلت ولكنه أشهرها فما كنت لاحقق قول الناس قال ابراهيم فأعدت عليه الصوت وعرفني منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى وحضرت على عادتي فغنيته شعر الفتى فطرب وشرب أقداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فأمر في بالركوب اليه وأن أجعله على ثقة من بلوغ أربه فمضيت اليه وأحضرته فاستعادا الحديث فحدثه فقال هي في ذمتي حتى أزوجك اياها فطابت نفسه وأقام معنا فلما أصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وأمر أن يحضر اجميعا واستعادا الصوت وشرب عليه فأمر بكتب كتاب الى عامل الحجاز باحضار المرأة وأهلها والدها مجلين الى حضرته والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمض الا يسير حتى حضروا فأشار الرشيد بايصال الرجل اليه فحضر وأمره بتزويج ابنته من الفتى وأعطاه ألف دينار ونقلت الى أهله ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى بأهله الى المدينة فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين (حكاية أجنبية) مما اتفق أن الوزير أبا عامر أحمد بن مروان كان قد أهدى له غلام من النصارى لا تقع العيون على أحسن منه فلمحه الملك الناصر فقال له أنى لك هذا قال هو من عند الله فقال تحفونا بالنجوم وتستأثرون بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل في هدية بعثها اليه مع الغلام وقال له كن داخلا في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه هذه الابيات

أمولاى هذا البدر سار لافقكم • وللافق أولى بالبدور من الارض

أراضيكم بالنفس وهى نفيسة • ولم أرقبلى من بمهجته يرضى

قال فحسن ذلك عند الناصر وأتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعد ذلك أهديت للوزير جارية من أجمل نساء الدنيا فخاف أن ينهى ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل في هدية أعظم من الأولى وأرسلها مع الجارية وكتب معها هذه الابيات

أمولاى هذى الشمس والبدر أولا • تقدم كيلا يلتقى القمران

فوان لعمرى بالسعادة ناطق • فدم معهما فى كوثر وجنان
فمالهما والله فى الحسن ثالث • ومالك فى ملك البرية ثانى

قال فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض أعدائه عند الناصر ان عنده بقية من حب الغلام وأنه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول اليه فقال الناصر للواشى لا تحرك به لسانك والا طار رأسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها يا مولاى تعلم انك كنت لى على الانفراد ولم أزل معك فى نعيم وأنا وان كنت عند السلطان مشاركا فى منزله محاذرا ما يبدو من سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه ثم بعثها مع غلام صغير وأوصاه أن يقول هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها أبو عامر واستخبر الخادم أحس بالمكيدة فكتب على ظهر الورقة يقول

أمن بعد احكام التجارب ينبغى • لدى سقوط العير فى غابة الاسد
ولا أنا ممن يغلب الحب عقله • ولا جاهل ما يدعيه أولوا الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا • وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واش فيه بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلى بالهوى غير مشترك

(وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد)

والقصة فى ذلك على مارواه ابراهيم بن اسحق عن أبى ثور زاهر بن صقلاب قال بلغنى أنه كان لهرون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكى فقال له يوما لا يطيب لى ذلك الا بحضر أختى ميمونة ولكن لا يجوز الا ان كتبت لك عليها لاباحة النظر من غير أن تقربها فاتفقا على ذلك وعقدله عليها ثم أحضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا أنه زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكى امرأة تزين له الجوارى كل ليلة فجاءت ميمونة لها وأرشتها بمال فزينتها له وأدخلتها عليه فظن أنها جارية فواقعها فلما أصبحوا قالت له أنا ميمونة وقد كنت أسألك أن تساعدنى على مودتك فتأبى فلما أيست منك احتلت عليك بما رأيت فى هذه الليلة وان لم تواظب لا كونن سببا فى سلب نعمتك وهل أنت الا زوجى فقال لها جعفر ويحك أهلكتينى وأهلكت نفسك وكان كما قال ولم يزرها حتى ظهر أمرها للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكة

وهذا ابتداء الحديث قال المبرد قال أبو عبد الله المارستانى عن يحيى بن أكثم القاضى
قال سألت اسمعيل بن يحيى الهاشمى عن سبب زوال نعمة البرامكة قال نعم أعرف
صحة الخبر وباطن القصة كان سبب ذلك انى كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا
الى الصيد فبينما نحن نسير اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لى يا اسمعيل لمن
هذا فقلت هو لاخيك جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من معه فى موكبه فاذا
هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذى فيه جعفر فلم يره فقال يا اسمعيل ما فعل
جعفر وموكبه فقلت يا سيدى قد مضى أخوك فى طريق ولم يعلم بموضعك فقال
ما رآنا أهلا أن يزيننا بموكبه ويجملنا بجيشه فقلت العفو يا أمير المؤمنين لو علم
بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت بما حضرلى من الكلام ثم سرنا
حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة حسنة وكان الطريق يدور عليها
فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى البيدر والى كثرة الغلال فيه
والمواشى ويسار أهلها فالتفت الى وقال يا اسمعيل لمن هذه الضيعة قلت لاخيك
جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم يزل يمر بكل ضيعة أعمر من
الاخرى وكلام وسألنى عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى حتى سرنا ووصلنا الى المدينة
فلما أردت وداعه والانصراف الى منزله نظر الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما أراد
فتفرقوا وبقيت أنا وهو فقال يا اسمعيل قلت لبيك يا أمير المؤمنين فقال انظر الى
البرامكة اغنيناهم وأفقرنا أولادنا وأغفلنا أمرهم فقلت فى نفسى بلية والله ثم
قلت لماذا يا أمير المؤمنين قال نظرت لهؤلاء وغفلت عن هؤلاء لانى لا أعرف لاحد
من أولادى ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة
فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذا الطريق فى سائر البلدان فقلت يا أمير
المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات وأموالهم وكل ما عملكون لك
فنظر الى نظرة جبار عنيد ثم قال ما عد البرامكة بنى هاشم الا عبيدهم وأنهم هم
الدولة وأن لا نعمة لبنى العباس الا والبرامكة أنعموا عليهم بها فقلت أمير
المؤمنين أبصر من غيره بخدمه ومواليه فقال والله يا اسمعيل انك لتعلم انى قلت
هذا وكأنى أراك أن تعلمهم بكلامى فتتخذ ذلك عندهم يدا وانى آمرك أن تكتم
هذا الامر فانه ما علم به أحد غيرك ومتى بلغهم شئ مما جرى علمت أنه ما أفشاه الا أنت

فقلت يا أمير المؤمنين أعوذ بالله أن يكون مثلى يفشى سرك قال وكان هذا القول
أول ما ظهر من أمر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا فى ايقاع الحيلة عليهم
فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان فى محل يشرف على الدجلة من
شرقى مدينة باب السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب الغربى وكانت المواكب
من جميع الاصناف من قائد وأمير وعامل يردون فى كل يوم الى قصر جعفر فالتفت
الى وقال يا اسمعيل هذا ما كنا فيه بالامس أنظركم على باب جعفر من الجيوش
والغلمان والمواكب وأنا ما على باب دارى أحد فقلت يا أمير المؤمنين ناشدتك الله
أن لا تعلق نفسك بشئ من هذا وان جعفرا انما هو عبدك وخادمك ووزيرك
وصاحب جنودك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من يكون انما بابه باب من
أبوابك فقال يا اسمعيل انظر الى دوابهم ألست ترى أعجازهم الى قصرى وتروث
بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخفاف بعينه والله لا أصبر على ذلك ثم
غضب غضبا شديدا وامتلأ غيظا فأمسكت عن الكلام وقلت والله هذا قضاء
من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته فى الانصراف ورجعت الى منزلى
فلقينى جعفر فى الطريق يريد الرشيد فتواريت عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم
عليه فأجلسه عن يمينه وأكرمه غاية الاكرام وبش فى وجهه وحادثه ساعة ووهب
له خادما من خاصة خدمه وأنبلهم وأوضحهم وجها وأكملهم ظرفا كاتبا حاسبا لبيبا
فسر جعفر سرورا كاملا ووقع فى قلبه أجل موقع وكان دسيسا عليه وبلية لديه
يرفع أخباره الى الرشيد ويحصى عليه أنفاسه ساعة بساعة ووقتا بوقت فخلا به
جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من أجله عن الناس فلما كان بعد ثلاثة أيام صرت
الى جعفر فسلمت عليه فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيرى وذلك الخادم واقف
وعلمت أن الخادم يحصى علينا أخبارنا فقلت أيها الوزير نصيحة أفتأذن لى فى
الكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب
لها قبل هذا الكلام بأيام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكرا بالنهروان وضرب
الناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر فقلت يا سيدى أنت عازم على الخروج
الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعك
لولد أمير المؤمنين لكان أحظى لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك نظر الى مغضبا وقال

والله يا اسمعيل ما أكل الخبز ابن محمد أو قال صاحبك الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا أما كفى أني تركته لا يهتم بأمر شئ من أمر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملأت بيوت أمواله أموالا ولا زلت للامور الجليلة أدبرها حتى عدمته الى ما ادخرته واخترته لولدي وعقبي من بعدي وداخله حسد بني هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع والله لئن سألني شيأ من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله ياسيدي ما كان مما ظننت شئ ولا تكلم أمير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلي ولم أركب اليه ولا الى الرشيد لاني صرت بينهما في حال تهمة وقلت في نفسي هذا الخليفة وهذا وزيره وأي شئ لي بالدخول بينهما ولا شك في زوال نعمة البرامكة وان أمورهم قد انثلمت قال وحدثني خادم أم جعفر ان الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد بما كان بيني وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما قرأ الكتاب وفهم الخبر احتجب ثلاثة أيام متفكرا في ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل في اليوم الرابع على زبيدة فخلا بها وشكا لها ما في قلبه وأطلعها على الكتاب الذي رفعه اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة فلما تمكنت الحجة عليه بالغت في المكر بهم واجتهدت في هلاكهم وكان الرشيد يتبرك بمشورتها فقال أشيري علي برأيك الموافق الرشيد فاني خائف أن يخرج الامر من يدي ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها فقالت يا أمير المؤمنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق فان كنت قد أفقت من سكرتك وتخلصت من غرقك أخبرتك بما هو أصعب عليك وأعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولي أسمع منك فقالت ان هذا الامر أخفاه عنك وزيرك وهو أصعب مما أنت فيه واقبح واشنع فقال لها ويحك وما هو فقالت أنا أجل من أن أخاطبك به ولكن تحضر أرجوان الخادم وتشدد عليه وتوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد أحل جعفر المحلال لم يحله أخاه ولا أباه وأمره أن يدخل على الحريم في السفر والحضر وأبرز اليه جواريه واخواته وبناته لانه كان بينهما رضاع سوى امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا دخل عليها ولا قضى لها حاجة ولا هي أيضا تستقضيه حاجة فلما فسد قلب الرشيد وعزم على هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة

فخطت على جعفر وكان جعفر يدخل الحريم فى غياب الرشيد ويقضى حوائجهن
لانهن لا يستترن منه وكان ذلك بأمر الرشيد ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر قال
فخرج الرشيد واستدعى بارجوان الخادم وأحضر السيف والنطع وقال برئت
من المنصور ان لم تصدقنى فى حديث جعفر لاقتلنك فقال الأمان يا أمير المؤمنين
قال نعم لك الأمان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك فى أختك ميمونة وقد دخل بها
منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين احدهم له ست سنين والآخر له خمس
سنين والثالث عاش سنتين ومات قريبا والاثنان قد انفذهما الى مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم وهى حامل بالرابع وأنت اذنت له بالدخول على أهل
بيتك وأمرتنى أن لا أمنعه فى أى وقت شاء ليلا أو نهارا قال أمرتك ان لا تحجبه
فحين حدثت هذه الحادثة لم لا أخبرتنى أول مرة ثم أمر بضرب عنقه وقام من
وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها أرأيت ما عاملنى به جعفر وما ارتكب
من هتك سترى ونكس رأسى وفضحنى بين العرب والعجم فقالت هذه شهوتك
واردتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب طيب الرائحة جبار فى نفسه
أدخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهى أحسن منه وجها وأنظف منه
ثوبا وأطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلا قط غيره فهذا جزاء من جمع بين النار
والحطب فخرج من عندها مكروبا فدعا بخادمه مسرور وكان قاسى القلب فظا
غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كانت الليلة بعد العتمة فأتنى
بعشرة من الفعلاء اجلاد ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة جاء مسرور
ومعه الفعلاء والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى أتى المقصورة التى فيها
اخته فنظر اليها وهى حامل فلم يكلمها بشئ ولم يعاتبها على ما فعلت وأمر الخادمين
بادخالها فى صندوق كبير فى مقصورتها بعد قتلها ووضعها بحليها وثيابها كما هى
وقفل عليها وقد علمت أنها بعد قتل أرجوان لاحقة به فلما علم انه استوثق بها دعا
بالفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو
قاعد على كرسى ثم قال واحسبكم هاتوا الصندوق فدلوه فى تلك الحفرة ثم قال ردوا
التراب عليه ففعلوا وسووا الموضع كما كان ثم أخرجهم وقفل الباب وأخذ المفتاح
معه وجلس فى موضعه والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ هؤلاء

القوم وأعطاهم أجرتهم فأخذهم مسرور وجعلهم فى جواليق وخيط عليهم بعد أن ثقلهم بالصخر والحصى ورماهم فى وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور فعلت ما أمرتك به قال وفيت القوم أجورهم فدفع اليه مفتاح البيت وقال احفظه حتى أسألك عنه وامض الآن فانصب فى وسط المحل القبة التركية ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم أحد ما يريد فلما جلس فى مجلسه وكان يوم الخميس يوم موكب جعفر قال يا مسرور لا تتباعد عنى ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه السلام أحسن رد ورحب به وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته وكانت مرتبته أقرب المراتب الى أمير المؤمنين ثم حدثه ساعة وضاحكه فأخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحى فقرأها عليه وأمر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استأذنه جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات ونصف وأخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر فى نجمه فقال يا أخى هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا أرى الا أنه يحدث فيها حدث ولكن تصلى الجمعة وترحل فى سعودك وتبيت فى النهروان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار فانه أصلح من اليوم فارضى جعفر بما قاله الرشيد حتى أخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام وأخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه وقال والله صدقت يا أمير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رأيت نجما أشد احتراقا ولا أضيق مجرى من البرج فى مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويجلونه الى أن وصل الى قصره فى جيش عظيم وأمر ونهى وانصرف الناس فلم يستقر به المجلس حتى بعث اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وائتنى به الساعة وقل له وردت كتب من خراسان فاذا دخل الباب الاول أوقف الجند واذا دخل الباب الثانى أوقف الغلمان واذا دخل الباب الثالث فلا تدع أحدا يدخل معه من غلمانه بل يدخله وحده فاذا دخل فى صحن الدار فمل به الى القبة التركية التى أمرتك بنصبها فاضرب عنقه وائتنى برأسه ولا توقف أحدا من خلق الله على ما أمرتك به ولا تراجعنى فى أمره وان لم تفعل

أمرت من يضرب عنقك و يأتيني برأسك ورأسه جملة وفى دون هذا كفاية وأنت
أعلم وتبادر قبل أن يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر
فدخل عليه وقد نزع ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدى أجب أمير المؤمنين
قال فانزعج وارتاع منه وقال ويلك يا مسرور وأنا فى هذه الساعة خرجت من عنده
فما الخبر قال وردت كتب من خراسان يحتاج أن تقرأها فطابت نفسه ودعا
بثيابه فلبسها وتقلد بسيفه وذهب معه فلما دخل من الباب الاول أوقف الجند
وفى الثانى أوقف الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير أحدا من
غلمانه ولا الخادم الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما
صار بازاء تلك القبة المضروبة فى صحن الدار مال به اليها وأنزله عن دابته وأدخله
القبة فلم ير فيها أحدا وفى رواية رأى فيها سيفا ونطعا فحس بالبلاء وقال لمسرور
يا أخى ما الخبر فقال له مسرور أنا الساعة أخوك وفى منزلك تقول لى ويلك أتدرى
ما القضية وما كان الله ليهملك ولا ليغفلك فقد أمرنى أمير المؤمنين بضرب عنقك
وحمل رأسك اليه الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدى مسرور ورجليه ويقول
يا أخى يا مسرور قد علمت كرامتى لك دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك
عندى مقضية فى سائر الاوقات وأنت تعرف موضعى ومحلى من أمير المؤمنين وما
يوحيه الى من الاسرار ولعل أن يكون بلغوه عنى باطلا وهذه مائة ألف دينار منى
لك أحضرها لك الساعة قبل أن أقوم من موضعى هذا وخلنى أهيم على وجهى فقال
لا سبيل الى ذلك أبدا قال فاحملنى اليه وأوقفنى بين يديه فلعله اذا وقع نظره على تدركه
الرحمة فيصفح عنى قال مالى سبيل الى ذلك أبدا ولا يمكننى مراجعته وقد علمت أنه
لا سبيل الى الحياة أبدا قال فتوقف عنى ساعة وارجع اليه وقل له قد فرغت مما
أمرتنى به واسمع ما يقول وعد فافعل ما تريد فان فعلت ذلك وحصلت لى السلامة
فانى أشهد الله وملائكته انى أشاطرك فى نعمتى مما ملكته يدى وأجعلك أمير
الجيش وأملكك أمر الدنيا ولم يزل به وهو يبكى حتى طمع فى الحياة قال له مسرور
انما يكون ذلك وحل سيفه ومنطقته وأخذهما ووكل به أربعين غلاما من
السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدى الرشيد وهو جالس يقطر
غضبا وفى يده القضيب الولع ينكت به فى الارض فلما رآه قال له ثكلتك أمك

مافعلت فى أمر جعفر فقال ياأمير المؤمنين قد أنفذت أمرك فيه فقال فأين رأسه
فقال فى القبة قال فأتنى برأسه الساعة فرجع مسرور وجعفر يصلى وقد ركع
ركعة فلم يمهله أن يصلى الثانية حتى سل سيفه الذى أخذه منه وضرب عنقه وأخذ
رأسه بلحيته فطرحه بين يدى أمير المؤمنين وهو يشخب دما فتنفس الصعداء
وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت فى الارض أثر كل كلمة ويقرع أسنانه بالقضيب
ويخاطبه ويقول ياجعفر ألم أحلك محل نفسى ياجعفر ما كافأتنى ولا عرفت حقى ولا
حفظت عهدى ولا ذكرت نعمتى ولا نظرت فى عواقب الامور ولا تفكرت فى
صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف أحوالها ياجعفر خنتنى فى أهلى
وفضحتنى بين العرب والعجم ياجعفر أسأت الى والى نفسك ولا تفكرت فى عاقبة
أمرك قال مسرور وأنا واقف بين يديه وهو ينكت فى الارض فى كل كلمة ولم يزل
كذلك الى أن أذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى
بالناس جماعة ثم التفت بوجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على أبيه وأخيه
وجميع أولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح ما فيه ووجه مسرورا الى
المعسكر فأخذوا جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما أصبح يوم
السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف انسان وترك من بقى منهم
لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم فى البلاد ولم يقدر أحد منهم على كسرة خبز وحبس
أباه يحيى وأخاه الفضل فى مطمورة وأمر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد
ثم بعث الى خراسان أن يوطن بلادها وأمر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر
واستقرت له الامور وأحضر على بن عيسى بن ماهان فولاه خراسان فوجه الى
مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بالصبيين ولدى جعفر من أخته ميمونة فادخلا
عليه فى بيته فلما رآهما أعجب بهما وكانا فى نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما
فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفى ألفاظهما عذوبة وبلاغة فقال
لكبيرهما ما اسمك ياقرة عينى قال الحسن وقال للصغير ما اسمك ياحبيبى قال الحسين
فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز على حسنكما وجمالكما لا رحم الله من
ظلمكما ولم يدر ياما براد بهما ثم قال يامسرور ما فعلت بالمفتاح الذى دفعته لك
وأمرتك بحفظه قال هو حاضر ياأمير المؤمنين قال فائتنى به ثم دعا بجماعة من الغلمان

والخدم وأمرهم أن يحفروا في البيت حفرة عميقة ودعا مسرورا وأمره بقتلهما ودفنهما مع أمهما في تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكي بكاء شديدا حتى ظننت أنه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وأمر أن لا تذكر البرامكة في مجلس ولا يستعان بمن بقي منهم في المدينة أبدا فخرجوا على وجوههم في البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه فيها خطاب وأبيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان صاحب السر عملها فبعث اليه فسأله عنها فقال يا أمير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا أعلم من طرحها فأخذتها وطرحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في الوقت بالفضل بن يحيى وضربه سياطا حتى كاد أن يهلكه وزاد في حديده وأغلاله ثم استدعى بيحيى وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده وأغلاله أيضا وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد يستعطفه ويسأله أن يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين من عبد أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وخانه الزمان وأناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب كأس الموت مترعة وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرى فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا أمير المؤمنين قد أصابتني مصيبتا الحال والمال أما المال فان ذلك منك ولك وكان في يدي عارية منك ولا بأس برد العواري الى أهلها وأما المصيبة بجعفر فبجرمه وجرائه وعاقبته بما استحق من أمرك وكان جزاؤه فوق ما استحق وأما الفقير فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست أعتذر ولكن أقر وقد رجوت أن أفوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي ذلك ما يكتفي به أمير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم أنشأ يقول

قل للخليفة ذي الصنا ٭ ئع والعطايا الفاشيه ٭ وابن الخلائف من قريـ

ش والملوك العاتيه ● رأس الأمور وخير من ● ساس الأمور الماضيه
ان البرامكة الذين رموا لديك بداهيه ● عمتهمو لك سخطة
لم تبق منهم باقيه ● فكأنهم مما بهم ● أعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم ● خلع المذلة باديه ● مستضعفون ومطرودو
ن بكل أرض قاصيه ● بعد الامارة والوزا ● رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها ● فوق المنازل عاليه ● أضحوا وجل مناهمو
منك الرضا والعافيه ● يامن يديك الردى ● يكفيك وبحك مابيه
يكفيك انى مستبا ● ح عترتى ونسائيه ● يكفيك ما أبصرته
ذلى وذل مكانيه ● فلقد رأيت الموت من ● قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبيرة والدموع الجاريه ● ومقالها بتفجع
ياسوأتى وشقائيه ● من لى وقد غلب الزما ● ن على جميع رجاليه
يالهف نفسى لهفها ● ما للزمان وماليه ● أوما سمعت مقالتى
ياذا الفروع الزاكيه ● ياعطفة الملك الرضا ● عودى علينا ثانيه

فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الأبيات

يا آل برمك انكم ● كنتم ملوكا عاتيه ● فعصيتمو وطغيتمو
وكفرتمو نعمائيه ● هذى عقوبة من عصى ● من فوقه وعصانيه
أجرى القضاء عليكمو ● ماخنتموه علانيه
من ترك نصح امامكم ● عند الامور الباديه

ثم أردفه بقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ● فلما قرأها يحيى وهو بالسجن أخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وآيس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى (وقيل) ليحيى بن خالد بن برمك أيها الوزير أخبرنا بأحسن ما رأيت فى أيام سعادتك قال ركبت يوما فى بعض الايام فى سفينة أريد التنزه فلما خرجت بر جلى لاصعد فاتكأت على لوح من ألواحها وكان بأصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا أحمر قيمته ألف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم

عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد أتى بذلك الفص بعينه وقال أيها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حيتانا للمطبخ فشققت بطنها فرأيت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير أعزه الله تعالى فقال الحمد لله هذا بلوغ الغاية (وقيل) له أخبرنا ببعض مالقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وأنا فى السجن فغرمت ألف دينار فى شهوتى حتى أتيت بقدر ولحم مقطع فى قصعة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصعة أخرى وتركوا عندى ما أحتاج اليه وأتيت بنار فأوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما أنضجت تركتها تفور وتغلى وفتيت الخبز وعمدت لانزلها فانفلتت وانكسرت القدر على الارض فبقيت ألتقط اللحم وأمسح منه التراب وآكله وذهب المرق الذى كنت أشتهيه وهذا أعظم مامر بى انتهى (ثم) ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه فى رمضان فكانت تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق أن الوفاة دنت من يحيى وهو فى السجن فكتب رقعة وأوصى ولده الفضل أن يوصلها الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم فى الحساب اذا التقينا • غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن أناس • من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا • تنبه للمنية يانؤوم
تروم الخلد فى دار المنايا • وكم قد رام غيرك ماتروم
الى ديان يوم الدين نمضى • وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد أنفذها اليه الفضل فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا الفرجت عنه ثم أمر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان أخيه جعفر رحمة الله عليهم أجمعين (قال بعضهم فى البرامكة شعرا)

ان البرامكة الكرام تعلموا • فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا • لم يهدموا مما بنوه أساسا
واذا هموصنعوا الصنائع فى الورى • جعلوا لها طول البقاء لباسا

فعلام تسقيني وأنت سقيتني ❊ من مر هجرك من جنابك كاسا
آنستني متفضلا أفلا ترى ❊ ان انقطاعك يوحش الايناسا

(وسئل) اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فعله يرضيك وأما جعفر فقوله يرضيك وأما محمد فيفعل ما يجد (وفي يحيى يقول القائل)

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ❊ ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة ❊ توارثني من والد بعد والد

(وفي الفضل يقول القائل)

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ❊ رأيت بها عشب السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة ❊ ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

(وفي محمد يقول القائل)

سألت الندى والجود مالي أراكما ❊ تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما ❊ فقالا أصبنا في ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته ❊ وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده ❊ مسافة يوم ثم نتلوه في غد

(وذكر) الحافظ السيوطي نفعنا الله به في رسالته مشتهى العقول في منتهى النقول أن منتهى الكرم للوزراء البرامكة كاد أن لا يوجد أحد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نما كماء السماء (وتكرم جعفر بخمسين ألف دينار من الذهب وتكرر منه كثيرا في ولايته كلها من غير من ولا أذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر بقولهم تبرمك فلان (ومن كرم جعفر انه تكرم في يوم على ألف شاعر أعطى كل شاعر ألف درهم والدرهم ثلاثة أنصاف فضة ومن كرمه أنه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار وعفا عن تأديبه وتعذيبه (ولما) أوقع بهم من الامر ما أوقع الرشيد صار أمرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة فمن ذلك ما قاله محمد بن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها قال دخلت على أمي في يوم عيد أضحى فرأيت عندها عجوزا في أطمار رثة واذا لها بيان ولسان فقلت لامي من هذه قالت هذه خالتك عتابة أم جعفر البرمكي بن يحيى فسلمت عليها وقلت لها أصار بك الدهر الى ما أرى قالت نعم

يا بني ان الذي كنا فيه كان عارية ارتجعها الدهر منا قال فقلت حدثيني ببعض شأنك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد أضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أن ابني عاق لي وقد جئتكم اليوم أطلب جلدي شاة أجعل أحدهما شعارا والآخر دثارا قال فغمني ذلك وأبكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي. والله أعلم (ومن) قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني مادام قلمك يرعف فأمطره معروفا (ومن) كلام جعفر اذا أحببت انسانا من غير سبب فارج خيرا واذا أبغضت انسانا من غير سبب فتوق شرا (وقال) يحيى بن سلام الابرش قال حدثني أبي قال خرج الرشيد للصيد يوما بعدما أباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا منزلا لعب الزمان بأهله • فأبادهم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم فيما مضى • كان الزمان بهم يضر وينفع
أصبحت تفزع من رآك وطالما • كنا اليك من المخاوف نفزع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم • وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد وأقبل على الأصمعي وقال أتعرف شيأ من أخبار البرامكة فحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان فقال أحدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى وذلك أنه خرج يوما للصيد والقنص وهو في موكبه اذ رأى اعرابيا على ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض في سيره قال هذا يقصدني فقلت ومن أعلمك قال لا يكلمه أحد غيري فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير والجم الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن أنه أمير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال اخفض عليك ما تقول فقال السلام عليك أيها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له الفضل من أين أقبلت يا أخا العرب قال من قضاعة قال من أدناها أم من أقصاها قال من أقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من العراق الى أرض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا أخا العرب مثلك لم يقصد من ثمانمائة فرسخ الى العراق الا لشيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا أخا العرب

البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهلا أفردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيته لحاجتك قال أجل قال أطولهم باعا وأسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا أخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون العلم أعالم أنت قال لا قال أفأديب أنت قال لا قال أفعارف أنت بأيام العرب وأشعارها قال لا قال هل وردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا أخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل بن يحيى وهو كما عرفتك عنه من الجلالة بأى ذريعة أو وسيلة تقدم عليه قال والله يا أمير المؤمنين ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا أخا العرب أنشدني البيتين فان كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه وان كانا لا يصلحان أن تلقاه بهما بردتك بشئ من مالى ورجعت الى باديتك وان كنت لم تستحق بشعرك شيأ قال أفتفعل أيها الأمير قال نعم قال فاني أقول

ألم تر أن الجود من صهد آدم • تحدر حتى صار يتصه الفضل
ولو أن أما مسها جوع طفلها • غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر وأخذ الجائزة عليهما فانشدني غيرهما فما تقول قال أقول

قد كان آدم حين حان وفاته • أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم • وكفيت آدم عيلة الابناء

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل يمضنا هذان البيتان أخذتهما من أفواه الناس فأنشدني غيرهما ما تقول وقد رمقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج أن تناضل عن نفسك قال اذن أقول

ملت جهابذ فضل وزن نائله • ومل كاتبه احصاء ما يهب
والله لولاك لم يمدح بمكرمة • خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك هذان البيتان أيضا أخذتهما من أفواه الناس ما كنت قائلا قال أقول

والفضل صولات على مال نفسه • يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو أن رب المال أبصر ماله • لصلى على مال الأمير وأذنا

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان أنشدنى غيرهما ما تقول قال اذن أقول

ولو قيل للمعروف نادى أخا العلا • لنادى بأعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو أنفقت جدواك من رمل عالج • لاصبح من جدواك قد نفد الرمل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان أيضا أنشدنى غيرهما ما تقول قال أقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل • وانى لذاك الصب والباذل الفضل
على أن لى مثلا كما ذكر الورى • وليس لفضل فى سماحته مثل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أنشدنى غيرهما ما تقول قال أقول أيها الأمير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد • فقامت به التقوى وقام به العدل
وقام به المعروف شرقا ومغربا • ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول أنشدنى بيتين على الكنية لا على الاسم ما تقول قال اذن أقول

الا يا أبا العباس يا واحد الورى • ويا ملكا خد الملوك له نعل
اليك تسير الناس شرقا ومغربا • فرادى وأزواجا كأنهم نحل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أنشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال والله لئن زادنى الفضل وامتحنى بعد هذا لاقولن أربعة أبيات ماسبقنى اليها عربى ولا أعجمى ولئن زادنى بعدها لاجعلن قوائم ناقتى هذه واجعلها فى حرام الفضل وأرجعن الى قضاعة خاسرا ولا أبالى فنكس الفضل رأسه وقال للأعرابى يا أخا العرب أسمعنى الابيات الاربعة قال أقول

ولائمة لامتك يا فضل فى الندى • فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر
أتنهين فضلا عن عطاياه للغنى • فمن ذا الذى ينهى السحاب عن القطر
كأن نوال الفضل فى كل بلدة • تحدر هذا المزن فى مهمه قفر

كأن وفود الناس في كل وجهة • الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فاستلقى الفضل على قفيه وسقط على وجهه ضاحكاثم رفع رأسه وقال يا أخا العرب أنا والله الفضل بن يحيى سل ماشئت فقال سألتك بالله أيها الأمير انك لهو قال نعم قال له فأقلني قال أقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة آلاف درهم قال الفضل أزدريت بنا وبنفسك يا أخا العرب تعطى عشرة آلاف درهم في عشرة آلاف وأمر بدفع المال فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاى هذا اسراف يأتيك جلف من أجلاف العرب بأبيات استرقها من أشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بحضوره الينا من أرض قضاعة قال الوزير أقسمت عليك يا مولاى الا أخذت سهما من كنانتك وركبته في كبد قوسك وأومأت به الى الاعرابي فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطفت مالك ويكون له في بعضه كفاية فأخذ الفضل سهما وركبه في كبد قوسه وأومأ به الى الاعرابي وقال رد سهمي ببيت من الشعر فأنشأ يقول

لقوسك قوس الجود والوتر والندى • وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وأنشأ يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم انل • فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى

على الله اخلاف الذى قد بذلته • فلا مسعدى بخلى ولا متلفى بذلى

أرونى بخيلا نال مجدا ببخله • وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره أعط الاعرابى مائة ألف درهم لقصده وشعره ومائة ألف درهم ليكفينا شر قوائم ناقته فأخذ الاعرابى المال وانصرف وهو يبكى فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابى استقلالا بالمال الذى أعطيناك قال لا ولكنى أبكى على مثلك يأكله التراب وتواريه الأرض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال • ولا فرس يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر • يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابى بالمال مسرورا رحمة الله عليهم أجمعين (و يحكى) أن الرشيد قال لأبي نواس بعنى ذقنك قال بكم قال بألف دينار قال بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفعه له ألف دينار فدفعها له فأخذها وربطها وقال يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت

قال لا ولكن جعلتها وديعة عندك قال فمضى أبو نواس واشتغل بأمره ولهوه وهو خائف على ذقنه من أمير المؤمنين قال فبينما هو متفكر فى شئ يفعله اذ جاءه قاصد أمير المؤمنين فلم يقدر أن يتكلم دون أن قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجد فى جمع كثير من خواص المملكة وأعوان الدولة وكان من شأنه أن يجلس بالقرب من أمير المؤمنين فتدانوا وتجاجنوا فضرط أبو نواس ضرطة مزعجة أزعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك أمير المؤمنين وقال له فى ذقنك يا معرص فقال له فى الحال الله أعلم هى ذقن من فقال أمير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فأخذها وانصرف وكسب الألف دينار بهذه الحيلة والله أعلم انتهى (وكان) نصر بن مقبل عاملا على الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا فقال أيها الأمير انها والله ملك يمينى وقد قال الله تعالى أو ما ملكت أيمانكم فأطلقه وأمر أن تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا أيها الأمير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالى أنا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما حضر بين يديه قال من أنت قال مولى الكلب فضحك منه ثم قال كيف بصرك بالحكم فقال يا أمير المؤمنين البهائم عندى والناس سواء ولو وجب حد على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحديتهما ولم تأخذنى فى الله لومة لائم فأمر الرشيد أن لا يستعان به على عمل فلم يزل معطلا الى أن مات والله أعلم (ويحكى) أن هرون الرشيد أمر بقتل أبى نواس فقال أتقتلنى شهوة لقتلى فقال لا بل أنت مستحق القتل قال فبم استحققت القتل قال بقولك

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر • ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

فقال يا أمير المؤمنين أفتعلم انه سقانى وشربت فقال له أمير المؤمنين أظن ذلك فقال يا أمير المؤمنين أفتقتلنى على الظن وقد قال الله تعالى ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت أيضا ما تستحق به القتل فقال وما هو فقال له قولك

ما جاءنا أحد يخبر أنه • فى جنة من مات أو فى نار

فقال له يا أمير المؤمنين هل جاءنا أحد قال لا قال أتقتلنى على الصدق فقال له الرشيد أولست القائل

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة • قم سيدى نعص جبار السموات

فقال له يا أمير المؤمنين أو صار القول فعلا قال لا أعلم قال أفتقتلني على ما لم تعلم فقال له أمير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزنا قال أبو نواس قد علم الله هذا قبل علم أمير المؤمنين بقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون فقال الرشيد خلوا عنه (ومن هذا أخذ الصفي الحلي فقال)

نحن الذي جاء الكتاب مخبرا • بعفاف أنفسنا وفسق الألسن

(وعن محمد بن نافع) قال رأيت أبا نواس في النوم بعد موته فقلت يا أبا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن بن هاني قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي هي تحت الوسادة فسألت أهله فقلت هل قال أخي شعرا قالوا لا نعلم الا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيأ لا ندري ما هو فقد خلت ورفعت وسادته واذا أنا برقعة مكتوب فيها

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة • فلقد علمت بأن عفوك أعظم

ان كان لا يرجوك الا محسن • فمن الذي يدعو ويرجو المجرم

مالي اليك وسيلة الا الرجا • وجميل عفوك ثم اني مسلم

(وهذه حكاية العجمي والكردي وماجرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب)

قيل ان الخليفة هرون الرشيد قلق ليلة فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي فلما حضر عنده قال له يا جعفر اني قلقت وضاق صدري وأريد منك شيأ يشرح خاطري فقال له جعفر يا أمير المؤمنين ان لي صديقا اسمه علي العجمي وعنده من جميع الحكايات والاخبار فقال علي به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفرا خرج من عند الخليفة في طلب علي العجمي فأرسل خلفه فلما حضر قال أجب أمير المؤمنين قال سمعا وطاعة فأتى الخليفة فسلم وترحم فقال له اجلس فجلس فقال له الخليفة اسمع يا علي اني الليلة ضيق الصدر وقد سمعت عنك أن في ذهنك حكايات وأخبارا وأريد منك أن تسمعني ما يزيل همي ويفكري فقال يا أمير المؤمنين تريد أن أحكي لك شيأ سمعته أو رأيته فقال ان كنت رأيت شيأ فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا أمير المؤمنين اني سافرت في بعض السنين من بلدي الى هذه المدينة وهي بغداد وصحبتي غلام ظريف ومعه جراب لطيف فأودعني اياه فبينما أنا أبيع وأشتري واذا أنا برجل

كردي ظالم معتد هجم علي وأخذ الجراب مني وقال هذا الجراب جرابي وكل ما فيه
قماشي وثيابي فقلت يا معشر الناس قد اعتراني الوسواس فقال الناس جميعا
امضوا الى القاضي وأنا بحكمه راضي فدخلنا عليه وتمثلنا بين يديه فقال القاضي في
أي شيء جئتما فقال الكردي نحن خصمان قال أيكما المدعي فتقدم الكردي وقال
أيد الله مولانا القاضي هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي وقد ضاع مني
ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضي ومتى ضاع منك فقال الكردي ضاع مني
بالأمس فقال القاضي ان كنت عرفته فصف لي ما فيه فقال الكردي ان في جرابي
هذا مرودين من لجين وأكحالا للعينين ومنديلا لليدين ومشربتين مذهبتين
وشمعدانين ومكبتين وطبقين وابريقين وصينية وطشتين وقدرة ودستين ومغرفة
وملعقتين ومسلة ومقلمة وملبتين وقعبا وقصعتين ومخدة ونطعين وجبة وفروتين
وبقرة وعجلتين وعنزا وشاتين ونعجة وخروفين وقطين أبلقين وجملا وناقتين وبقرة
وثورين ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وطبقة وقاعتين ورواقا
ومقعدين ومطبخا ببابين وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي
فما تقول أنت يا علي فتقدمت يا أمير المؤمنين وقد أبهتني كلامه فقلت أعز الله
مولانا القاضي أنا ما في جرابي الا دويرة خراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب
وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه عساكر وأطناب ومدينة
بصرى وبغداد وقصر كنعان بن شداد وكور وحداد وشبكة وصياد وعصا وأوتاد
وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابي فلما سمع الكردي هذا
الكلام بكى وانتحب وقال يا سيدي القاضي جرابي هذا معروف وكل ما فيه موصوف
في جرابي هذا حصون وقلاع وقرى وضباع وطابق للصراع ووحوش وضباع ورجال
يلعبون الطابة والرقاع وان في جرابي هذا حجرة ومهرين وفلا وحصانين ورمحين
طويلين وسبعة وأرنبين وسكينا وخنجرين وبحرا وخليجين وكرا وجوختين
وعشاري ومركبين وصاري وقريتين وكورا ودكانين ومنقلة ونردين وعجوزا
وقحبتين وقوادا وشاطرين ومخنثا وعلقين وأعمى وبصيرين وأعرج ومكسحين
وعيارا وأزعرين وجامعا ومدرستين وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا
وراهبين وقاضيا وشاهدين يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي ما تقول أنت

يا علي فبادرت يا أمير المؤمنين وقد امتلأت غيظا وزدت في الحق وقلت أيد الله مولانا القاضي ان في جرابي هذا زردخانات صفاح وخزائن سلاح وألف كبش نطاح في عشرين مراح وأربعين كلبا نباح وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح وصورا وأشباح وقناني وأقداح وعرائس ملاح ومغاني وأفراح وهرجا وصياح وعبدا وفلاح وأخاه نجاح ورفيقه صباح ومعهم سيوف ورماح وقسي ونشاب وأصدقاء وأحباب وخلان وأصحاب ومجلس للعتاب وندمان للشراب وطنبور مع رباب ونايات وقناني مصفوفات وصبيان ودايات وأخوات معلمات وبنات مجليات وجواري مغنيات وجواري حبشيات وثلاثة هنديات وأربعة بدويات وخمسة روميات وستة تركيات وسبعة عجميات وثمانية قفجيات وتسعة كرجيات وعشر كلبات والدجلة والفرات وشبكة وصياد وقداحة وزناد وارم ذات العماد وألف جواد وقصر شداد بن عاد وخانات مع حامات وقدوم ونجار وخشبة مع مسمار ونايج مع عطار وبزار مع بيطار وعبد أسود بزمار ومقدم وركبدار ومدن وأمصار ومائة ألف دينار وبواب وكستدار ورواس نوبة وعلمدار والكوفة مع الانبار وعشرين صندوقا مملآنة قماشا ودكان نحاس وحاصل معاش وبرجان للحمام وغزة وعسقلان ومن دمياط الى أسوان وايوان كسرى وملك سليمان ومن كوش نعمان الى أرض خراسان وبلخ وأصبهان ومن الهند الى بلاد السودان وفيه أطال الله عمر مولانا القاضي قماش وغلائل وعراضي وموسى بحد ماضي يحلق ذقن مولانا القاضي ان حكم ان الجراب ما هو جرابي فعند ذلك يا أمير المؤمنين حار القاضي مما سمع ثم قال ما أرى كما الا شخصين نحسين تلعبان بالقضاة والحكام لان ما وصف الواصفون ولا سمع السامعون ما وصفتم في هذا الجراب ما هذا الا بحر ليس له قرار ثم أمر القاضي بفتح الجراب ففتحه الكردي فاذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم اني رميت الجراب قدام القاضي والكردي ومضيت الى حال سبيلي فلما سمع أمير المؤمنين ذلك ضحك حتى استلقى على قفاه وقد زال همه وغمه وأحسن جائزة على العجمي وانصرف والله أعلم

(معن بن زائدة الشيباني)

كان من الكرماء يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر على

بابه شاعر وأقام مدة يريد الدخول فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها هذا البيت مكتوب

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي • فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فأتى به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا بالرجل فأمر له بمائة ألف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال معن والله هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار الا أعطيته له (وفيه يقول القائل

يقولون معن لا زكاة لماله • وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره • من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا • كأنك تعطيه الذي أنت آمله
هو البحر من أي النواحي أتيته • ولجته المعروف والبر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه • أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو أن ما في كفه غير نفسه • لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعيني أهب الاموال حتى • أعف الاكرمين عن اللئام (ويروى) أن معن بن زائدة خرج في جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من أين أتيت قال أتيت من أرض قضاعة وان لي بها أرضا لها عدة سنين مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها قثاء فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت الامير معن ابن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور واحسانه المذكور فقال له كم أملت منه قال ألف دينار فقال ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار قال ان قال لك كثير قال

ثلثمائة دينار قال ان قال لك كثير قال مائتي دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير قال خمسين دينارا قال ان قال لك كثير قال فلا أقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حماري في حرامه وأرجع الى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به على فأتى بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير معن ما الذي أتى بك يا أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقثاء في غير أوانها قال فكم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلثمائة دينار قال كثير قال مائتي دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذي قابلني على مشؤوما ثم قال خمسين دينارا قال كثير قال فلا أقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تعطني الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها أنا مع معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال له أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابي وتسلم ألفي دينار ومائة وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم أجمعين (وقيل) كان معن بن زائدة في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد أقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيأ من المال مع غلمانه فلم يجده فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيأ من الابيات فقالت الاولى

يركب في السهام نصول تبر • ويرمي للعدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح • وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه • عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد • كي لا يفوته التقارب والندى

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمى العداة بأسهم ٭ من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه ٭ ويشترى الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة (فمن ذلك) انه سعى رجل فى افساد دولة المهدى وكان من الكوفة فعلم به المهدى فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فأقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر فى بغداد فبينما هو فى بعض الشوارع اذ رآه رجل من الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع طوقه ونادى هذا طلبة أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرنى أجارك الله فوقف فقال للرجل الذى تعلق به ماتريد منه قال هذا طلبة أمير المؤمنين أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام أردفه فأردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل معن حال بينى وبين من طلبه أمير المؤمنين ولم يزل صارخا الى أن أتى قصر المهدى فأمر المهدى باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن أولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم يعيش ثم سار الى المهدى فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن أتجير علينا عدونا قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدى ونعم أيضا واشتد غضبه فقال معن يا أمير المؤمنين بالامس بعثتنى الى اليمن مقدم الجيش فقتلت فى طاعتك فى يوم واحد عشرة آلاف رجل ولى على مثل هذا أيام كثيرة فما رأيتمونى أهلا ان أجير رجلا واحدا استجار بى ودخل منزلى فسكن غضب المهدى وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال معن فان رأى أمير المؤمنين أن يصله بصلة يعلم منها موقع الرضا فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال عجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله فأحضر معن الرجل وقال له خذ صلة أمير المؤمنين وقبل يده واياك ومخالفة خلفاء الله فى أرضه فما كل مرة تسلم الجرة فأرسلها الناس مثلا وأخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى (وكان) معن لا يغيظ أحدا ولا أحد يغيظه فقال بعض الشعراء أنا أغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير ان أغاظه أخذها وان لم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد

مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدي معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه في وجهه وقال

أنا والله لا أبدي سلاما * على معن المسمى بالأمير

فقال له معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك (فقال الشاعر) ولا أنزل بلادا أنت فيها * ولو حزت الشآم مع الثغور

فقال له البلاد بلاد الله ان نزلت فمرحبا بك وان رحلت كان الله في عونك (فقال الشاعر) وأرحل عن بلادك ألف شهر * أجد السير في أعلا القفور

فقال له مصحوبا بالسلامة (فقال الشاعر)

أتذكر اذ قميصك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

فقال له أعرف ذلك ولا أنكره (فقال الشاعر)

وتأوي كل مصطبة وسوق * بلا عبد لديك ولا وزير

فقال له ما نسيت ذلك يا أخا العرب (فقال الشاعر)

ونومك في الشتاء بلا رداء * وأكلك دائما خبز الشعير

فقال الحمد لله على كل حال (فقال الشاعر)

وفي يمناك عكاز قوى * تذود به الكلاب عن الهرير

فقال له ما خفي عليك خبرها اذ هي كعصى موسى (فقال الشاعر)

فسبحان الذي أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك (فقال الشاعر)

فعجل يا ابن ناقصة بمال * فاني قد عزمت على المسير

فأمر له بألف دينار (فقال الشاعر)

قليل ما أمرت به فاني * لأطمع منك بالشيء الكثير

فأمر له بألف دينار أخرى (فقال الشاعر)

فثلث اذ ملكت الملك رزقا * بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بثلثمائة دينار (فقال الشاعر)

ولا أدب كسبت به المعالي * ولا خلق ولا رأى منير

فأمر له بأربعمائة دينار (فقال الشاعر)

فمنك الجود والافضال حقا • وفيض يديك كالبحر الغزير

فأمر له بخمسمائة دينار ومازال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألفي دينار فأخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال في نفسه مثل هذا لا ينبغي أن يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بأن الحامل له على هجوه المائة بعير التي صار الرهان عليها في نظير اغاظته فأمر له بمائة بعير يدفعها في نظر الرهان وبمائة بعير أخرى لنفسه فأخذها وانصرف والله أعلم

﴿ خلافة المأمون ابن هرون الرشيد واسمه عبد الله ﴾

(ومما) وضع في بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصائر ونقلته الأصاغر عن الأكابر مارواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبني أمير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا وسماهما لي أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه بلغني أن شيخا يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض أنت وعلي ودينار حتى تردوا تلك الخرائب فاستتر واخلف بعض الجدران فاذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد أبياتا فأتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرائب فاذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الأبيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرا • ونادى مناد الخليفة يا يحيى

بكيت على الدنيا وزاد تأسفي • عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي بوصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال حين رآه من أنت وبما استوجبت منك البرامكة ماتفعله في خرائب دورهم قال الخادم ونحن نسمع فقال يا أمير المؤمنين ان البرامكة

أيادي خضراء عندي أفتأذن لي أن أحدثك بحالي معهم قال قل فقال يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع ما على رأسي ورؤس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه أشاروا علي بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت أعددتها لأستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا بأمرد نبت العذار في خديه قد أقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الى جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم وزوج ابنتي عائشة من ابن أخي هذا فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت واذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر واذا بمائة واثني عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يضعون الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي فقمت وجعلت أتلفت الى ورائي مخافة أن أمنع من الذهاب فبينما أنا كذلك الى أن وصلت الى صحن الدار ويحيى يلاحظني فقال للخادم ائتني بهذا الرجل فأتيته فقال

مالى أراك تلتفت يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتى فقال للخادم ائتنى بولدى
موسى فأتاه به فقال له يا بنى ان هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك
وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدى وأدخلنى الى دار من دوره فأكرمنى غاية
الاكرام وأقمت عنده يومى وليلتى فى ألذ عيش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه
العباس وقال له الوزير أمرنى بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالى فى بيت
أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى غاية الاكرام ثم لما كان
من الغد تسلمنى أخوه أحمد ثم لم أزل فى أيدى القوم يتداولونى مدة عشرة أيام
لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الأموات هم أم فى الأحياء فلما كان اليوم الحادى
عشر جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم اخرج الى عيالك بسلام فقلت
واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون
فرفع الستر الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الأخير قال لى
مهما كان لك من الحوائج فارفعها الى فانى مأمور بقضاء جميع ما تأمرنى به فلما
رفع الستر الأخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلنى منها رائحة الند
والعود ونفحات المسك واذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير والديباج وحمل
الى مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التى
كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة
فى دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب فلما
جاءتهم البلية ونزل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجحف بى عمرو بن مسعدة
وألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفى دخلهما به فلما تحامل على الدهر
كنت فى آخر الليل أقصد خرابات دورهم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الى وأبكى
على احسانهم فقال المأمون على بعمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له تعرف هذا
الرجل قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته فى ضيعته قال
كذا وكذا فقال له رد اليه كل ما أخذته منه فى مدته وأفرغهما له ليكوناله ولعقبه من
بعده قال فعلا نحيب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا
اليك فما يبكيك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم
فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبرى الى أمير المؤمنين ففعل بى ما فعل من أين كنت

أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فرأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك وإياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم فاذكر انتهى (وقال اسحق) دخلت يوما على المأمون في زمن الورد فقال لي يا اسحق هل قلت شيأ في الورد فقلت أقول بسعادة أمير المؤمنين وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت بشيء فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهرا متفكرا فلم يفتح علي بشيء فلما أصبحت غدوت الى دار الخلافة واذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون ومعه سبع وردات على صينية فضة ينتظر الاذن في الدخول بها عليه فسألته المهلة بها قليلا فامتنع فسألته ثانيا وقلت أمهل قليلا ولك بكل وردة دينار فأجابني الى ذلك فدفعت له سبعة دنانير وأحببت أن لا يصل اليه الورد قبل وصول الشعر وخرجت أقصد الأزقة لعلي أسمع شيأ من أحد أو ينبعث خاطري ولو ببيت واحد فبينما أنا كذلك واذا أنا برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول

اشرب على ورد الخدود فانه • أزهى وأبهى فالصبوح يطيب
ماالورد أحسن من تورد وجنة • حمراء جاد بها عليك حبيب
صبغ المدام بياضها فكأنه • ذهب بقالب فضة مضروب

فلما سمعته نزلت عن دابتي ودخلت مسجدا بالقرب منه وطلبته فلما أقبل سألته أن يمليها علي فاعتل وقال ان أردت فاعطني بكل بيت عشرة دنانير فدفعتها له واستمليتها منه ثم عدت أنا وغلام الفضل بن مروان واذا بالمأمون يشرب من وراء الستارة فلما حسبت العود قال لجواريه اسكتن فقد جاء اسحق فقدمت ذلك الورد بين يديه وأنشدت الأبيات فسمعت الشهيق والزفير من وراء الستارة ثم أخرج الي بدرة فيها عشرة آلاف درهم فأعدت الابيات فأخرج الي بدرة أخرى فأعدت الثالثة فأخرج الي بدرة ثالثة فأخذت في غير الشعر فخرج الي خادم وقال يقول لك أمير المؤمنين لو دمت على انشادك لدمنا على البدرة ولو الى الليل انتهى من حلبة الكميت (ويحكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق به واحتفظ عليه وبكر به الي في غد

واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة حلوه ولم يقدر أن يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى أوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى فلما تركوه فى دارى أخذت أسأله عن قضيته وحاله ومن هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق خيرا فمن أنت من أهلها فقال وممن تسأل قلت أو تعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقعت لى معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فسمعت أهلها وقد خرجوا علينا حتى ان الوالى خرج فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدور واذا بجماعة يعدون فما زلت أعدو أمامهم حتى تجاوزتهم ومررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك أدخل الدار فدخلت فقالت لى زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ها هو هنا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الأمن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجلها وأفرد لى مكانا من داره ولم يحوجنى الى شئ ولم يفتر عن تفقد أحوالى فأقمت عنده أربعة أشهر فى أتم عيش وأرغده الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم أر لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته بالخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يعرف من أنا فقال لى علام تعزم فقلت عزمت على التوجه الى بغداد قال ان القافلة بعد ثلاثة أيام تخرج فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة لك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولأوفينك مهما استطعت قال فدعا بغلام أسود وقال له انعل الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر

فقلت في نفسي ما أشك أنه يريد أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فأقاموا
يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني السحر فقال يا فلان
قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع
وليس معي ما أتزود به ولا ما أكري به مركبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة
من أفخر اللباس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في
وسطي ثم قدم لي غلاما وعلى كتفه صرتان وفوقهما مرتبة السفر وسجادة من
أفخر ما يكون وأعلمني بما في الصرتين أنه خمسة آلاف درهم وشد لي الفرس الذي
أنعله بسرجه ولجامه وقال لي اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس
مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الي من التقصير في أمري وأركب معي من
يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأوفي بعهدي له في مجازاته ومكافأته
واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أقدر أتفرغ الى أن أرسل اليه من يكشف خبره
فلهذا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد أمكنك الله من الوفاء له ومكافأته
على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال
أنا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه قد غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم
يزل يذكرني تفاصيل الأسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت أن قمت وقبلت رأسه
ثم قلت له فما الذي صيرك الى ما أرى قال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت
في أيامك فنسبت الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فضبطوا البلد فأخذت أنا
وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين وأمري
عنده عظيم وهو قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من
ينصرف اليهم بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لي أن
ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد
المكافأة وقمت بوفاء عهدك . قال العباس فقلت يصنع الله خيرا ثم أحضرت حدادا في
الليل وفك قيوده وأزال ما كان عليه من الأنكال وأدخله حمام داره وألبسه من
الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه
فاستدعى العباس نائبه وقال علي بفرسي الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية
حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل

وأحضرلي بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لعامله في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقال له ان ذنبي عظيم عند أمير المؤمنين وخطبي جسيم وان أنت احتميت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرادوا قتلي فقال امض بنفسك ودعني أدبر أمري فقال والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا وكذا فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله أن لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهز له كفنا قال فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول فقال لله على عهد لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين انه ما هرب ولكن اسمع حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعا وعرفته اني أريد أن أفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين اما أن يصفح عني وقد وفيت وكافأت واما أن يقتلني فأقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويحك لا جزاك الله خيرا عن نفسك انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هلا عرفتني خبره فكنت أكافئه عنك ولا أقصر بوفائي له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا وقد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الأولى اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته عنك قال فأتيت اليه وقلت ليزل عنك حزنك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء أحد سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم أتيت به الى أمير المؤمنين فلما مثل بين يديه أقبل عليه وأدنى مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع

عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى عنها فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسرو جهاو لجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به وأطلق خراجه وأمر بمكاتبته وأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله أعلم (ويحكى) عن اسحق الموصلي انه قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فاحسست بالبول وعمدت لزقاق وقت لأتمسح بالحيطان واذا بزنبيل كبير بأربعة آذان ملبس ديباجا فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا في أمره فحملني السكر على أن أجلس فيه فجلست فلما أحس بي الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا أنا بأربع جوار يقلن لي انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت الى دار ومجالس مفروشة لم أر مثلها الا في دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة الا بستور قد رفعت في ناحية من الجدران واذا بوصائف يتمشين وفي أيديهن الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود وبينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سألتني عن خبري فقلت انصرفت من عند بعض اخواني وغررني الوقت وحرقني البول فعمدت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملني السكر على أن جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه قالت لا ضير وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ثم قالت فما صناعتك قلت بزار ببغداد فقالت هل رويت من الاشعار شيأ قلت شيأ ضعيفا قالت فذا كرنا شيأ قلت ان للداخل حشمة ولكن تبدئين أنت قالت صدقت فأنشدتني شعرا لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم وأنا مستمع لا أدري مم أعجب من حسنها أم من حسن روايتها ثم قالت أذهب ما كان فيك من الحصر قلت أي والله قالت فان رأيت أن تنشدنا فأنشدتها شيأ لجماعة من القدماء ما فيه مقنع فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أن يوجد في أبناء السوقة مثل هذا ثم أمرت بالطعام فأحضر فجعلت تقطع وتضع قدامي وفي المجلس من صنوف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون الا عند السلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتني قدحا ثم قالت هذا أوان المذاكرة والاخبار فاندفعت أذاكرها وقلت بلغني أن كذا وكذا وكان

رجل يقال له كذا حتى أتيت على عدة أخبار حسان فسرت بذلك وقالت كثر تعجبى أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه أحاديث ملوك فقلت كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت معه فربما حدثنى بما سمعت فقالت لعمرى لقد أحسنت الحفظ وما هذه الا قريحة جيدة وأخذنا فى المذاكرة اذا سكت ابتدأت هى واذا سكتت ابتدأت أنا حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق وأنا فى حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا اليها فقالت انك من أظرف الرجال وضىء الوجه بارع فى الادب وما بقى الا شئ واحد قلت وما هو قالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار قلت والله لقديما كنت ألفت به ولم أرزقه وأعرضت عنه وفى قلبى منه حرارة وكنت أحب فى مثل هذا المجلس شيأ منه لتكمل ليلتى قالت كانك عرضت فقلت والله ما هو تعريض قد بدأت بالفضل وأنت جديرة بذلك فأمرت بعود فحضر وغنت بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن أدبها وجودة الضرب بالكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت ومن غنى به قلت لا قالت الشعر لفلان والغناء لاسحق قلت واسحق هذا جعلت فداك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحق بارع فى هذا الشأن فقلت سبحان الله أعطى هذا الرجل ما لم يعطه أحد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم تزل على ذلك حتى اذا كان الفجر أقبلت عجوز كانها داية لها وقالت ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت لتستر ما كنا فيه فان المجالس بالامانات قلت جعلت فداك لم أكن أحتاج الى وصية فى ذلك فودعتها وجارية بين يدى الى باب الدار ففتح لى فخرجت ورحت الى دارى فصليت الصبح ونمت فانتهى رسول المأمون الى فسرت اليه وأقمت عنده نهارى فلما كان العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهذا شئ لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت وجئت الى الزنبيل فوجدته على عادته فجلست فيه ورفعت الى موضعى البارحة واذا هى قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت ولا أظن الا أننى قد ثقلت وأخذنا فى المحادثة مثل تلك الليلة السالفة فى المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء منها الى الفجر فانصرفت الى منزلى فصليت الصبح ونمت فانتهى رسول أمير المؤمنين الى فمضيت اليه وأقمت نهارى عنده فلما كانت العشية وجه الى خطابا وقال أقسمت عليك لتجلسن حتى أجىء وأحضر فلما كان حتى أن غاب وجالت وساوسى فلما تذكرت

ما كنت فيه هان على ما يخصنى من أمير المؤمنين فوثبت مبادرا وخرجت جاريا
حتى أتيت الزنبيل فجلست فيه فرفعت الى مجلسى فقالت صدقتنا قلت أى والله
قالت أجعلتها دار اقامة قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة أيام فان رجعت بعد
ذلك فأنتم فى حل من دمى ثم جلسنا على ذلك الحال فلما قرب الوقت علمت بأن
المأمون لا بد أن يسألنى فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت أما أراك ممن يعجب
بالغناء ولى ابن عم أحسن منى وجها وأظرف قدا وأكثر أدبا وأطيب أخبارا وهو
أعرف خلق الله بغناء اسحق فقالت طفيلى وتقترح قلت لها أنت المحكمة ثم
قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما ننكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت
وذهبت فلم أصل الى دارى الا ورسل المأمون قد هجموا على وحملونى حملا عنيفا
فوجدته قاعدا على كرسى وهو مغتاظ فقال يا اسحق أخروجا عن الطاعة قلت
لا والله قال فما قصتك أصدقنى قلت نعم فى خلوة فأومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته
الحديث وقلت له وعدتها بك قال أحسنت فأخذنا فى لذتنا ذلك اليوم والمأمون معلق
القلب بها فما صدقنا أن جاء الوقت وسرنا وأنا أوصيه وأقول له تجنب واحذر أن
تنادينى باسمى بحضرتها ونحن وأنا لك تبع وهو يقول نعم ثم سرنا الى الزنبيل
فوجدناهما اثنين فقعدنا فيهما ورفعنا الى الموضع المعهود فحضرت وأقبلت
وسلمت فلما رآها المأمون بهت فى حسنها وجمالها وأخذت تذاكره وتناشده الاشعار
ثم أحضرت النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه مسرورة به وهو أكثر فأخذت العود
وغنت صوتا ثم قالت وابن عمك هذا من التجار وأشارت الى قلت نعم قالت والله
انكما لقريبان فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب فصاح
وقال يا اسحق قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت أنه الخليفة
نهضت الى مكان فدخلته فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار
فبادرت العجوزة وقالت للحسن بن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة واذا
الحسن قد حضر فقال له المأمون ألك ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال
أمتزوجة قال لا والله قال فانى أخطبها منك قال هى جاريتك وأمرها اليك قال قد
تزوجتها على نقد ثلاثين ألفا تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال
فاحملها الينا من ليلتنا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحق لا توقف على هذا الحديث

أحدا فسترته الى أن مات المأمون فما اجتمع لأحد مثل ما اجتمع لى فى تلك الاربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار وبوران بالليل ووالله ما رأيت أحدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهما وعقلا والله تعالى أعلم انتهى من حلبة الكميت (وقيل) كان المأمون يوما يأكل مع أبيه الرشيد فلما فرغ جعلت جارية تصب الماء على يدى الرشيد فنظر اليها المأمون وأشار اليها كأنه يقبلها فانكرت ذلك بعينها وأبطأت فى الصب بقدر النظر الى المأمون فقال لها الرشيد لاى شئ صغى الابريق فى يدك فوالله لئن لم تصدقينى الحق لاضربن عنقك فقالت ياسيدى نظر الى عبد الله المأمون وأشار الى كأنه يقبلنى فانكرت ذلك بعينى فنظر الرشيد الى المأمون فسقط مغشيا عليه كانه ميت مما داخله من الخوف والفزع فاخذه وضمه الى صدره وقال ياعبد الله أتحبها قال أى والله ياأمير المؤمنين فقال هى لك خذ بيدها وادخل بها فى هذه القبة ففعل فلما خرج الى الرشيد قال له هل قلت فى هذا شيأ قال نعم ياأمير المؤمنين ثم أنشد يقول

ظبى كنيت بطرفى • عن الضمير اليه • قبلته من بعيد
فاعتل من شفتيه • ورد أخبث رد • بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكانى • حتى قدرت عليه

(وعن أبى عبد الله التميمى) أنه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر من ماء بحر الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعمة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها من النهر ورفعتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها ياأبت أدرك فاها قد غلبنى فوها لاطاقة لى بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المؤمون ياجارية من أى العرب أنت فقال أنا من بنى كلاب قال وما حملك أن تكونى من الكلاب قالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يافتى من أى الناس أنت قال أو عندكم علم بالانساب قالت نعم قال أنا من مضر الحمراء قالت من أى مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن

تهابه مضر وتخشاه قال أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت من أى كنانة قال
من اكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأطولها فى المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخشاه
قالت والله أنت من بنى هاشم قال أنا من بنى هاشم قالت من أى هاشم قال من
أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض
وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب
المأمون منها وطرب طربا شديدا ثم قال لأتزوجن بها لانها من أكبر الغنائم ثم وقف
حتى تلاحقه العسكر فنزل وأرسل خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وهى والدة
العباس والله أعلم (ومن محاسن الاخلاق ما حكى عن القاضى يحيى بن أكثم) قال
كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح لغلام يسقيه وأنا نائم
فينغص على نومى فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء
وكان بينه وبين الماء نحو ثلثمائة خطوة ثم رجع يمشى على أطراف أصابعه حتى
وصل الى الفراش الذى أنا عليه وخطا خطوات لطيفة لئلا ينبهنى حتى وصل الى
فراشه ثم رأيته آخر الليل وقد قام يبول فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح
للغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتأهب للصلاة ثم جاء الى وقال كيف
أصبحت يا أبا محمد وكيف مبيتك قلت بخير مبيت جعلنى الله فداك قال لقد
استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح للغلام فازعجك فقلت يا أمير المؤمنين لقد
خصك الله باخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووهب لك سيرتهم فهناك الله
بهذه النعمة وأتمها عليك فامر لى بألف دينار وانصرفت (وحدث سليمان الوراق)
قال ما رأيت أعظم حلما من المأمون دخلت عليه يوما وفى يده فص مستطيل من
ياقوت أحمر له شعاع قد أضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ثم دعا برجل
صائغ وقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا وزل فيه كذا وكذا وعرفه كيف يعمل
به فاخذه الصائغ وانصرف ثم عدت الى المأمون بعد ثلاث فتذكره فاستدعى بالصائغ
فاتى به وهو يرعد وقد انتقع لونه فقال المأمون ما فعلت بالفص فتلجلج الرجل ولم
ينطق بكلام ففهم المأمون بالفراسة انه حصل فيه خلل فولى وجهه عنه حتى
سكن جاشه ثم التفت اليه وأعاد القول فقال الامان يا أمير المؤمنين قال لك الامان
فاخرج الفص أربع قطع وقال يا أمير المؤمنين سقط من يدى على السندال فصار

كما ترى فقال المأمون لا بأس عليك اصنع به أربع خواتم وألطف له في الكلام حتى ظننت أنه كان يشتهي الفص على أربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال أتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا لا قال اشتراه الرشيد بمائة ألف وعشرين ألفا انتهى (ومن حلمه أيضا) قال يحيى كنت أنا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من أوله الى آخره وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني أن أكون في الظل وهو في الشمس فأمتنع من ذلك فاذا رجعنا قال لي والله يا يحيى لتكونن في مكاني ولأكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك منها فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك من هول المطلع لفعلت ولم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي اليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لا خير في صحبة من لا ينصف (ومن حلمه أيضا) انه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها فقال له المأمون اذا سرقت شيأ فأتني بما تسرقه فاشتريه منك فقال له الخادم اشترمني هذه وأشار الى التي بين يديه فقال بكم قال بدينارين قال على شرط انك لا تسرقها قال نعم فاعطاه دينارين فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيأ لما رأى من حلمه والله أعلم (وروى) بعض أهل الأدب ان فتى من أهل الكوفة قد فاق أهل زمانه في الأدب والبيان والفصاحة باللسان ناقدا في صناعته حافظا للأقدار وللأشعار خبيرا بسير الملوك في الايام السالفة بصيرا بالبحث عن أمورهم في الايام الآنفة حاذقا في التصنيف فائقا في التأليف صبيح الوجه مقبول المشاهد حلو الشمائل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل الا عارضه فيه عائق وحال دونه حائل وقدر سابق فبقي حينا من الدهر وقد برز في القدر والمال والجاه من كان عنده في الصناعة متأخرا فضاق صدره وعيل صبره وصلت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا وأجمع رأيه على أن يحمل نفسه على خطب هائل ليكون فيه هلكه أو ملكه وتربص لذلك أن يرى وجها الى أن عزم أمير المؤمنين المأمون أن يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فأمر المأمون بالاستعداد ليوم سماه ليخلو فيه مع الجواري منفردين عن سائر الندماء فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذي عزما عليه فعزم هذا الأديب المذكور على أن يتطفل في ذلك على المأمون

وأخيه المعتصم فمضى الى اخوانه وأصدقائه فاستعار من هذا قباء وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف الامير أني رسول أمير المؤمنين واستأذن لى عليه فسعى الحاجب عدوا حتى أخبر المعتصم فأذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له سيدى ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك أنسيت الوعد ألم يقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة وغشت نومة لاتقوى بذلك على انتصابى سائر النهار فقال الفتى فعجل الآن أيها الأمير فانه أمرنى أن لا أفارقك حتى آتيه بك فامر المعتصم باسراج مركوبه وأسرع فى التأهب ولبس ثيابه وتطيب وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيأ من كلام الفتى ويتأمل للطافته وهيئته ولم يتوهم الا أنه من بعض خواص المأمون واخذ الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى الفتى نفسه عن دابته واخذ يمشى بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيأ ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل المعتصم وأخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم فى مجلسه وجلس الفتى بين يديه وهو منهمك فى نوادره واخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا مما يسمع من حسن كلامه وأخبر المأمون أن المعتصم قد وصل ومعه رفيق لا يعرف من هو فقال المأمون أخى قد عرف ان هذا المجلس اتفقنا عليه لا ينبغى أن يحضره أحد من الناس الا من هو عديل النفس وقد أحسن أخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره أكثر من اثنين تعطل القيام أحدهما الى الصلاة والى ما لا بد منه ثم خرج من ساعته فرحا وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتباره قده وعقله فلما استقر على سرير ملكه والفتى قائم قائما وقع فى نفس المأمون نهض قائما وقبل يد المأمون وعاد الى مجلسه وأخذ فى نوادره وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره كأنه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المأمون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غاب على قلب المأمون وأظهر الحسد لاخيه فى صحبته مثل هذا الغلام وكلامه وأمر المأمون باحضار

المائدة فنصبت بانواع الطعام فأكلوا وغسلوا أيديهم وبمجلس الشراب انتقلوا
وأمر المأمون باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن وأخذن فى الغناء فما من
صوت يمر الا والفتى عارف به وبالغناء ومتى قيل وفيمن قيل فعز فى عين المأمون حتى
ملأ عينيه وتزايد حسده لأخيه فى صحبة مثله فبسر الفتى بول ولم يجد للمدافعة سبيلا
فقام وهو متيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان أمره وحاله اذا خلا المجلس فما هو الا
أن غاب من بين أيديهم ساعة حتى قال المأمون لأخيه المعتصم يا أبا اسحق من صاحبك
هذا فوالله ما رأيت رجلا قط أكثر منه أدبا ولا أنظف هيئة ولا أشرف من شمائله
فقال المعتصم والله ما أعلم من هو وانه جاء فى مبكرا برسالة أمير المؤمنين فقال
المأمون سألتك بالله يا أخى أهو كذلك فقال أى والله الذى لا اله الا هو فقال المأمون
طفيلى ورب الكعبة وغضب وأمر الجوارى بالنهوض فنهضن وأقبل الفتى راجعا
فلما نظر الى خلو المجلس من الجوارى والى تغير وجه المأمون وقف على رأس المجلس
وأقبل بوجهه على المعتصم وقال يا أبا اسحق كأنى بك قد أخذت فى نوع الزور
والبهتان وهذا المجلس من المجالس التى لا تحتمل المزاح وما هكذا وعدتنى ثم قال
والله يا أمير المؤمنين ما بليت من أحد من الناس مثل ما بليت من هذا الا انه دائما
أبدا يعرضنى لمثل هذا وأشباهه ويغرى بى ويوقعنى فى كل ورطة ثم أقبل على
المعتصم وقال يا أبا اسحق سألتك بالله وبحق أمير المؤمنين الا ما أعفيتنى من
ملاعبتك التى لا تحتمل وتؤدى الى مؤاخذة أمير المؤمنين ولم يزل يأتى بهذا وأمثاله
حتى شك المأمون فى أمره والتفت الى أخيه المعتصم وقال سألتك بالله يا أخى بحياتى
عليك الا ما أعلمتنى حقيقة أمره فقال المعتصم يا أمير المؤمنين برئت من ذمة الله
ورسوله ومن حياتك ولا يمنك ان كنت أعرفه أو رأيته قط الا فى يومى هذا فقال
الفتى كذب والله يا أمير المؤمنين لقد كنت معه دهرى الطويل وفى مواضع كذا
وكذا وان هذا فعله معى أبدا فضحك المأمون تعجبا وقال ادخل فدخل وأمره
بالجلوس فجلس ثم قال لك الأمان ان صدقتنى فصدقه الحديث على وجهه فأعجب
من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وأمر باعادة الجوارى الى مجلسهن
فطربوا سائر يومهم فقال له المأمون أخبرنى بأعجب ما لحقك فى قدومك من الكوفة
الى بغداد واجعله نظما ولا تكتم عنى شيأ فقال نعم ثم أنشأ يقول

بينا أنا راقد في البيت مكتئب * مفكر في حصول الكد والقوت
وليس في البيت لي شيء ألم به * وبي من الجوع ما يدني الى الموت
اذا بصوت بباب الدار أسمعه * والأذن مصغية مني الى الصوت
ناديت من ذا الذي أرجوه لي فرجا * نادى أنا فرج زن لي كرا البيت

فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الأرض من شدة اعجابه وقال ثم ماذا قال يا أمير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبني بالكراء فوعدته بأن يرجع الى مرة أخرى فمضى ومضيت على وجهي لا أعلم أين أتوجه فسألت كل من لقيته من صديق لي كنت أستأنس به فخطر على بالي بيتان من الشعر في ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق * جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص * كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا أمير المؤمنين على جارية كأنها البدر ليلة كماله وهي تقول

ترفق يا غريب فكل حر * عريحاله سعة وضيق
وكل ملمة ان أنت فيها * صبرت لها أتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه فادفع بها فاقتك فوالله ما هي الا مواساة من قوت ورمت الى صدري بقرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فوري فوجدت صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت بالباقي الى أن وقعت هذه القصة وهذا الأمر الذي كلفني وحملني على ما فعلت وأنشأ يقول

لم آت فعلا غير مستحسن * جهلا بفعل الأحسن الاملح
لكنني في حالة أوجبت * ضرورة اتيان مستقبح *

فأعجب المأمون أمره واستحسنه وأمر له بمائة ألف درهم يصلح بها شأنه وألحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده وصار أقرب الناس اليه وآخر خارج من عنده وأول داخل اليه وسمي طفيلي المعتصم وأنشد للمأمون يوما يقول

كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين أهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذلك عن ديني ودنيائي
وصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المأمون الأبيات وأمر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذا حضر يوم

سرور المأمون لم يكن للمأمون هم الا اقتراح هذه الأبيات الى أن ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد أن حسنت حالته أرسل الى الدار التي أشرفت عليه منها الجارية فاذا هو لرجل من أهل بغداد من مباشريها وقدمات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وما مات حتى تضعضع حاله فاعلم المأمون بذلك فأمر بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية في نعمة عظيمة بقية عمرهما والله أعلم (وسرق) شاب سرقة فأتى به الى المأمون فأمر بقطع يده فتقدم لتقطع يده فأنشد الشاب يقول

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها • بعفوك أن تلقى نكالا يشينها

فلا خير في الدنيا ولا راحة بها • اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكانت أم الشاب واقفة على رأسه فبكت وقالت يا أمير المؤمنين انه ولدي وواحدي ناشدتك الله الا رحمتني وهديت لوعتي وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها فرق لها المأمون وعفا عنه (وفي حياة الحيوان) قال رأيت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المأمون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال له ما كتبت فاذا هو قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم • متى يعشش في أركانك البوم

يوما يعشش فيك البوم من فرحي • أكون أول من ينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين وأعلمه بما كتب قال له المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال يا أمير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلي والحلل والطعام والشراب والفرش والأواني والأمتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا أمير المؤمنين قد مررت عليه الآن وأنا في غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في أمري وقلت في نفسي هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لنا فيه فلو كان خرابا ومررت به لم أعدم رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وأتقوت

بمنه أوماعلم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ * نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وماذاك من بغض له غير انه * يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون ياغلام أعطه ألف درهم ثم قال هى لك فى كل سنة مادام قصرنا عامرا بأهله مسرورا بدولته (وأنشدوا فى معنى ذلك)

اذا كنت فى أمر فكن فيه محسنا * فعما قليل أنت ماض وتاركه
فكم دحت الأيام أرباب دولة * وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

(ويحكى) أنه تنبأ رجل فى أيام المأمون فقال ليحيى بن أكثم القاضى يايحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبئ والى دعواه فركبا فى الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بثوبه فاستأذنا عليه فخرج اليهما فقال من أنتما فقالا رجلان يريدان أن يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال أفيوحى اليك أم ترى فى المنام أم ينفث فى قلبك قال بل أناجى وأكلم قال ومن يأتيك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال الساعة قبل أن تأتيانى بساعة قال فما أوحى اليك قال أوحى الى انه سيدخل عليك رجلان فيجلس أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك ألوط خلق الله تعالى فقال له المأمون أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وكان يحيى يعزى الى ماقاله عنه المتنبى انتهى

(ودخل) أبو نواس على القاضى يحيى بن أكثم ودخل معه غلام جميل الوجه فقال الغلام هذا مرعلى وقبلنى كرها ففتن به القاضى فانشد يقول

اذا كنت للتخميش والبوس كارها * فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة * وتشهرمنها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام أنشأ يقول

لقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا * فاعقبنى بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

(ويحكى) انه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له باللواط يايحيى من ذا الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزنا ولا • يرى على من يلوط من باس

فقال له الذى يقول

ما أرى الجور ينقضى وعلى الامة وال منكم بنى العباس

(ويقال) ان المأمون شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن أكثم فقال الساقى على القاضى حتى وقع سكران فامر المأمون أن يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيتى شعر وقال لمغنيته خذى العود وغنى على رأسه فغنت وقالت

ناديتـه وهو حى لا حراك له • مزمل فى ثياب من رياحين

فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى • فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى لرقة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

ياسيدى وأمير الناس كلهم • قد جار فى حكمه من كان يسقينى

سقانى الراح لم يمزج سلافتها • حتى بقيت سليب العقل لا الدين

(قال) الواقدى كان ابراهيم بن المهدى ادعى لنفسه الخلافة بالرى وأقام مالكها سنة وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة فمما حكاه قال لما دخل المأمون الرى فى طلبى أثقل على الطلب وجعل لمن دل على وأتى بى مائة ألف درهم نخفت على نفسى وتحيرت فى أمرى نخرجت من دارى وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدرى أين أتوجه فررت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على أثرى يعلموا بى فرأيت فى صدر الزقاق عبدا أسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر نظيفة وبسط ومخدات جلد ثم انه أغلق الباب على ومضى نخفت أن يكون سمع الجعالة فى حقى وانه عرفنى ومضى ليدلهم على فبقيت مثل الحبة فى المقلاة فلما مبيتا من الخوف فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه حمال حامل كل ما أحتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديدة وجرة وكيزان جدد ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداك أنا رجل حجام وأنا أعرف انك تنفر منى لما أتولاه من معيشتى فشأنك بما لم تقع عليه يدى وكان لى حاجة الى الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت أنى أكلت مثلها قدرا فلما قضيت أربى قال لى هل لك أن تشرب شيأ فانه يسلى الهم ويزيل الغم ويعهد للنفس

الشرح قلت ما أكره ذلك رغبة فى مؤانسته فاتى بقطرميز جديد وأحضر لى نقلا وفاكهة فى أوان جدد من فخار ثم قال بعد ذلك ان أذنت لى جعلت فداك أن أقعد بناحية منك وآتى بشراب فاشرب مسرور رابك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصلحا ثم قال ياسيدى ليس من قدرى أن أسألك ان تغنى ولكن قد وجب على مروءتك حرمتى فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغنى لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن أين لك انى أحسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله أنت أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن يدل عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظمت مروءته عندى وعلمت أن مروءته أجل مما بذل فتناولت العود واصلحته وقدمر بخاطرى ذكر أهلى وولدى فقلت

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله ٭ وأعزه فى السجن وهو غريب

ان يستجيب لنا فيجمع شملنا ٭ فالله رب العالمين قريب

فقال ياسيدى اجعل ما تغنيه مما أقتضيك به قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به ٭ عقد المكاره فهو يملك حلها

فاصبر فان الله يعقب راحة ٭ فلعلها أن تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه وشربت ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن ٭ وأول مفروح به آخر الحزن

فلا تيأسن فالله ملك يوسفا ٭ خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت وقال غن لى

اذا الحادثات بلغن النهى ٭ وكادت تذوب لهن المهج

وحل البلاء وقل العزاء ٭ فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضاؤه وأنست به واستظرفته ثم قال ان رأيت ياسيدى ان تأذن لى أن أغنى ما خطر ببالى وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى أدبك ومروءتك فاخذ العود ثم قال دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا ٭ فقالوا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لان النوم يغشى عيونهم ٭ سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا

اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى ٭ جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما • نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عني كل ما كان عندي من الفزع وسألته يغني فغني يقول

تعيرنا أنا قليل عدادنا • فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا • عزيز وجار الاكثرين ذليل

وانا القوم لا نرى الموت سبة • اذا ما رآته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا • وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد أجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به وأخذني من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلني النوم قبل أوانه فنمت ولم أستيقظ الا بعد المغرب وجال فكري في هذا الحجام وأدبه وظرفه وكيف غناؤه وأدبه وارادته أن يسليني عما أنا فيه واشارته الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهي وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير ومصاغ له قيمة فدفعتها اليه وقلت له أنت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا أمنت المزيد فأعادها على مبادرا وقال ياسيدي الصعلوك من لا قيمة له عند أهل الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفآخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثمنا لا والله فألححت عليه فأخذ موسى له بيده وقال والله ان راجعتني لأنحرن نفسي فخشيت عليه وأخذت الخريطة وأثقلني حملها فلما انتهيت الى باب الدار قال ياسيدي ان هذا الموضع أخفى لك من غيره وليس عندي في مؤنتك ثقل فأقم عندي الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن يكون منفقا من تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الاول قال فأقمت أياما في أطيب عيش وأهناه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركني ومضى يجدد لنا حالنا فلبست ثيابي وتزيت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع أمر شديد ومشيت لأعبر الجسر واذا هو قد رش ورجل قائم فأبصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فتعلق بي وقال طلبة أمير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الزلق وصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت بابا

وامرأة واقفة فقلت ياسيدة النساء احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت ادخل فدخلت فاطلعتنى الى غرفة وفرشت لى وقدمت لى طعاما وقالت ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو أقمت سنة ماعليك بأس واذا بالباب يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبى الذى دفعته على الجسر وهو مشدوخ الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ماد هاك قال ان حديثى عجيب وأمرى غريب ظفرت بالغنى وقد انفلت من يدى قالت وكيف قال ابراهيم بن المهدى لقيته فتعلقت به فدفعنى فأصابنى ماترين من حالى ولو حملته الى أمير المؤمنين لأخذت منه مائة ألف درهم قال فاخرجت له حواقا رذرورا وفرشت له بعد كبس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت لى أظنك صاحب القصة قلت نعم فقالت لى انى خائفة عليك ثم جددت لى الكرامة وأقمت عندها ثلاثة أيام ثم قالت لى انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أمرك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها امهالى الى الليل فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها وأتيت الى بيت مولاة لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتى وخرجت كانها تريد كرامتى فتوجهت للسوق مظهرة الاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فلم أشعر الا بابراهيم الموصلى بخيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتنى اليه فرأيت الموت عيانا وحملت مثل ما أنا الى أمير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وأمر بادخالى عليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لى لا سلمك الله ولا حفظك ولا رعاك فقلت يا أمير المؤمنين ان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناولته يد الاقدار ربما مد له من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعلك الله فوق خلقه وأصبح عفوك فوق كل ذى عفو فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك وأنشدت أقول

ذنبى اليك عظيم • وأنت أعظم منه • فخذ بحقك أولا
فاصفح بحلمك عنه • ان لم أكن فى فعالى • من الكرام فكنه

قال فرفع رأسه الى فقلت مبتدرا

أتيت ذنبا عظيما • وأنت للعفو أهل • فان عفوت فمن • وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرأيت روائح الرحمة فى شمائله ثم أقبل على أخيه أبى اسحق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ماترون فى

أمره فأشار الكل بقتلي الا أنهم اختلفوا في القتل فقال المأمون لاحمد بن أبي خالد ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك في العفو فنكس المأمون رأسه الى الارض وجعل يخط في الارض باصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومي هم وقتلوا أميم أخي • فاذا رميت يصيبني سهمي

ثم قال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول شعرا

ان الذي خلق المكارم حازها • في صلب آدم للامام السابع

ملئت قلوب الناس منك مهابة • وتظل تكلؤهم بقلب خاشع

ما ان عصيتك والغواة تمدني • أسبابها الا بنية طائع

وعفوت عمن لم يكن عن مثله • عفو ولم يشفع اليك بشافع

ورحمت أشبالا كافراخ القطا • وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فانشدت أقول

رددت مالي ولم تبخل علي به • وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

أمنت منك وقد خولتني نعما • هي الحياتان من موت ومن عدم

فلو بذلت دمي أبغي رضاك به • والمال حتى أسل النعل من قدمي

وان جحدتك ما أوليت من نعم • انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وأمر لي بمالي وخلع علي وقال يا عم ان أبا اسحق والعباس أشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن فعلت ما أنت أهله ودفعت ما خفت اتيما رجوت فقال المأمون لقد مات حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه ثم قال يا عم أتدري لم سجدت قلت له شكرا لله تعالى على ما أوقعك علي وملكك اياي في يدك تفعل بي ما تشاء فقال أخطأت ولكن أشكر الله تعالى على ما ألهمني من العفو عنك من قبل نفسي ثم قال وأعظم من عفوي عنك اني لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثني بما كان من أمرك فشرحت له ما جرى لي مع الحجام والجندي وزوجته

والمولاة التى أسلمتنى فامر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال لها المأمون ما حملك على ما فعلت من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة فى المال قال هل لك من ولد أو زوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط وأمر بتخليدها فى السجن ثم أحضر الجندى وامرأته والحجام فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل قال رغبة فى المال فقال انك أولى بان تكون حجاما من أن تكون خداما ووكل من يلزمه الجلوس فى مكان الحجام ليتعلم الحجامة وأحسن الى امرأته وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امرأة أديبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندى وما فيها وخلع عليه وأثبته برزقه فى الديوان وزيادة ألف دينار فى كل سنة ولم يزل كذلك الى أن مات والله أعلم (وعن محمد بن عبد الله التميمى) قال حدثنا أحمد بن محمد الحريرى قال كان لجنة بنت عبد الرحمن الهاشمى من الأموال ما لا يسعه الديوان ولا تأكله النيران لكثرته وكانت آدب نساء بنى هاشم وأفصحهن لسانا وأقولهن شعرا فدخلت على المأمون يوما وكانت تحبه غاية الحب سرا وكان المأمون جالسا فى ايوان قد ابتدعه لنفسه لم يبتدعه أحد من الخلفاء قبله وكان قد تأنق فى بنائه وكان فيه من كل صورة فى البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الأصفر وأسبل عليه ستورا من الحرير الصينى وقد أقام فيه أربعمائة وصيفة بقراطق الحرير وقد لبسن الوشى بطرر وشعور وأصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن على الأخرى أقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره فقال يا جنة هل كان لأبيك أو لبعلك أو لأحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه ومثل هؤلاء الجوارى مع زينتهن فقالت يا أمير المؤمنين متعك الله به وعمره بك فلقد أوتيت ملكا عظيما تستأهله لترفهك وشرفك فان أجبت خادمتك جنة أجلستك فى مجلس لم تجلس فى مثله قط وأصادتك صيدا لم تصد مثله قط وأسقتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن أكثم فقال لها يا جنة قد أجبتك الى ما سألتينى ولكن لا ينفعنى ولا يهنأ لى ذلك الا بشهود من يحيى بن أكثم فانه لا يطيب لى مجلس الا به فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم ضربت يدها فى جيبها فأخرجت منه مخزنة من ذهب أحمر محشوة مسكا أذفر فدفعتها الى يحيى وقالت يا يحيى ان الأجير لا يعمل حتى يستوفى أجرته وهذه أجرتك منى فكن مستحثا لى

أمير المؤمنين غدا عند الزوال فى المسير الى منزل خادمته فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه المأمون وغيره فلما كان من الغد جلس المأمون فى مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت فى كبد السماء قال يحيى يا أمير المؤمنين الحاجة التى عرضت عليك بالأمس ففطن المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التجار ولبس يحيى مثل ذلك ودعا بحمارين مصريين بغاشيتين وركباهما حتى أتيا دار جمنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فأقبلت بنفسها حتى فتحت الباب وأقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت فى بستان قد حمل على أربعة أعمدة من الرخام الأحمر المنقوش واذا فى صدر البيت أربعة أسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهى

ماسرنى أن فؤادى ولا • أن لسانى بالمدام حلا • وأن لى ملك بنى هاشم
يجى الى أوّلا أوّلا • ان لم أشاهدك أيا مالكى • تأتى الى بيتى كذا مقبلا
ياسائلى روحى بلا صلة • أنت المعافى وأنا المبتلى

فقال المأمون يا يحيى ما ملك أحد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه أرمنى محفور منقوش باللآلئ واذا فوق الارمنى مطارح من الديباج الأخضر حشوها حواصل الريش وفى البيت المسك والعنبر والكافور والصندل والزعفران والندو العود مصفوف فى أوانى الذهب والفضة وتفوح منه روائح لا يدرى ماهى من طيبها ثم أخرجتهما الى أربعة ميادين فيها أنواع الرياحين حول البيت فقالا ان هذا الامر يؤثر ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليمانى قوائمها منها قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الألوان الغريبة فقال المأمون ما طعمت مثل هذا الطعام قط ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا أيديهما ثم أمرت بشراب فقدمت اليهما قنانى الزجاج الشامية المرتفعة الصافية والبلور فيها شراب قد أتت عليه الأيام والاعوام فهى تحكى الهواء لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين أيديهما مع أقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله ما رأيت مثل هذا قط ثم أخرجت جاريتين عليهما ثياب الوشى الكوفى المنسوج بالذهب وعلى رؤسهما مقانع رشيدية وقمصان من الذهب مكللة بالجوهر فجلستا وفى حجرهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت شجى مليح من أنواع الأغانى

وغرائب الأصوات فقال المأمون هذه الجنة بما ترى فيها من غرائب الطيب والجوهر فقال يحيى وقد بقي لنا يا أمير المؤمنين شرط آخر فقال وما هو يا يحيى قال الصيد يا أمير المؤمنين قال صدقت يا يحيى ثم قال يا جنة ما فعل الصيد فقالت قوما اليه فقام المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم ير مثله وقد كانت زينت البستان بأحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه ألوان الطيور من الفاخت والقمري والهزار والطواويس فكانت الاطيار تغني من رؤس الأشجار وتغرد بالسرور والاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهد أبكار بطرر وشعور وخدود ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن أبهى من صاحبتها وأحسن وعليهن من ألوان الثياب ما يعجز عنه الوصف وفي وسطهن مناطق الذهب الأحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن اذا رأيتن المأمون ويحيى تعادين ما بين الأشجار فلما دخل المأمون ويحيى البستان فعلن ما كانت أمرتهن فتضاعف السرور على المأمون وأعجب المأمون بذلك عجبا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد فقال يا أمير المؤمنين رأيك فيه فقال المأمون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء فقال يحيى أنا كلبك يا أمير المؤمنين فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهن صبية فقالت جنة سألتك بحق اجدادك الا ما خليت عن الجواري لا اجعل أجل بهن عليك وقد فهمت المعنى فيه وقد كانت جنة تغار على المأمون تخلي عن الجواري وقال ليحيى دونك والصيد اذن أنت محل فقال يحيى لو كان لي كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المأمون أنا كلبك فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الأرض وعدا خلفهن فأخذ منهن خمسة فقالت جنة يا يحيى ان الخمسة ولا غيرة لي عليك وانما أغار على المأمون لحاجتي اليه فقال يحيى والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت الهوى الغالب في حماليق عينيها ولا تتم لنا النعمة الا بتزويجك اياها ان رأيت ذلك فقال المأمون أنا بريء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنتف من جدي العباس ان ذهبت من البستان ولم أتزوجها ثم قال يا يحيى اخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وأمهرها المأمون ألف ألف دينار وأقطعها مائة من منتخبات الضياع فحمدت جنة الله سرورا بما ظفرت من تزويج المأمون اياها وأمرت ليحيى بعشرة آلاف دينار ورجع المأمون الى منزله وزفت اليه في تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه انتهى (وحكي) أن المأمون كان مشغوفا بحب

جارية يقال لها نسيم وكانت ذات عقل وأدب وفضل وكمال وكان لا يفارقها فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد ذلك مال الى جارية أخرى أحسن منها وأعرض عنها فاغتمت ولم تجد حيلة فى استعطافه وكانت لها جارية رومية أحسن منها فى العقل والأدب وكتمت أمرها عن المأمون فاتفق أن المأمون حصل له بعض ضعف فقصد فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون اليه باصناف التحف والهدايا فاهدت اليه نسيم الجارية المذكورة هدية ومعها جام بلور وغطته بمنديل دبيقى مكتوب عليه بالذهب هذه الأبيات

فصدت عرقا تبتغى صحة ● ألبسك الله به العافيه

فاشرب بهذا الجام ياسيدى ● مستمتعا بهذه الجاريه

واجعل لمن اهداكها زورة ● تحظى بها فى الليلة الثانيه

فاعجب المأمون مارأى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفى هذه الليلة ثم رضى على نسيم وواصلها بعد ذلك (وحكى) أن المأمون مر يوما على زبيدة أم الأمين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا أماه أتدعين على لسكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا أمير المؤمنين قال فما الذى قلتيه قالت يعفينى أمير المؤمنين فالح عليها وقال لابد أن تقوليه قالت له قلت قبح الله اللجاجة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يوما مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا فغلبنى فأمرنى أن أتجرد من أثوابى وأطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له أموالا لا تحصى فلم يعف عنى فتجردت من أثوابى وطفت القصر عريانة وأنا حقدة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته أن يذهب الى المطبخ فيطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم أعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق فأبيت وقلت والله لتطأنها فألحت عليه وأخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل فأمرته أن يطأها فوطئها فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل ولدى وسلبه ملكه فولى المأمون وهو يقول قاتل الله اللجاجة أى التى لج بها عليها حتى أخبرته بهذا الخبر انتهى (وأتى) شاعر المأمون فقال لقد قلت فيك شعرا فقال أنشدنيه فقال

حياك رب الناس حيا كا ● اذ بجمال الوجه رقاكا

بغداد من نورك أشرقت • وأورق العود بجدواكا

قال فأطرق المأمون ساعة وقال يا اعرابى وأنا قد قلت قبلك شعرا وأنشد يقول

حياك رب الناس حياك • ان الذى أملت أخطاك

أتيت شخصا قد خلا كيسه • ولو حوى شيأ لأعطاك

فقال يا أمير المؤمنين الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيأ يستطاب فضحك المأمون وأمر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهرى عن أشياخه قال أمر المأمون أن يحمل اليه من أهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فرآهم طفيلى فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لا شك أنها نزهة فلم يكن الا يسير وقد قيد القوم وقيد معهم فعلم أنه وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص فلم يقدر وساروا الى أن وصلوا الى بغداد وأدخلوا على المأمون فاستدعى بهم بأسمائهم واحدا بعد واحد وجعل يذكره بفعله وبقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العشرة فقال المأمون للموكل من هذا فقال لا أعلم يا أمير المؤمنين غير اننا رأيناه معهم فجئنا به فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من أحوالهم شيأ ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال أوقد بلغ من شؤم التطفل أن يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن يؤدب حتى لا يعود الى مثلها وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا أمير المؤمنين هبه لى وأنا أحدثك عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا أمير المؤمنين خرجت متنكرا يوما انظر الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وأبازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف ومعصم ما رأيت أحسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فأخذت فى عمل الحيلة الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم وأظن أن عنده اليوم أصحابه تجار

مثله فبينما نحن فى الكلام اذ أقبل رجلان فقال لى هذان ندماؤه فقلت له ما اسمهما وما كنيتهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت وراءهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فداءكما استبطأ كما فلان أعزه الله ولم أزل معهما حتى أتيت البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهما لم يشك فى أنى معهما فرحب بى وأجلسنى فى أفضل الأماكن ثم جىء بالمائدة ونقلت اليها الألوان فقلت فى نفسى هذه الألوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جىء بالماء فغسلنا أيدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا شكل مليح ما رأيت أحسن منه ولا أظرف ورأيت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه أنى ضيف لأضيافه وهم على الحالة هذه الى أن شربنا فخرجت علينا جارية كأنها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير خجل ولا احتشام وجلست وأتى بعود فجسته أحسن جس واذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت تقول

توهمها فكرى فأصبح خدها ... وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفى فآلم كفها ... فمن ضم كفى فى أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلبالى فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم غنت تقول

أشرت اليها هل عرفت مودتى ... فردت بطرف العين انى على العهد

فحادت عن الاظهار عمدا بسرها ... وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما أصابنى من الطرب الذى لم أملك نفسى معه ثم غنت تقول

أليس عجيبا أن بيتا يضمنا ... واياك لا نلهو ولا نتكلم

سوى أعين تبدى سرائر أنفس ... وتقطيع أنفاس على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب ... وتكسير أجفان وكف يسلم

فزاد حسدى لها يا أمير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج من المعنى وقلت عليك يا جارية شئ فرمت العود من يدها وقالت متى كنتم تحضرون الغناء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم كأنهم قد أنكروا على فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت وأحببت أن أتلافى قضيتى فقلت أثم عود غير هذا قالوا نعم فأحضر وأعود فأصلحت ما أردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا ‌ • ‌ أصممن أم قد بالبلاء بلينا

فما أتممت شعري حتى وثبت الجارية الى وانكبت على يدى تقبلها وتقول المعذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة من أحد ثم زادوا اكرامي وطربوا غاية الطرب فشربت عدة أقداح ثم غنيتهم أبياتا فرأيت من طربهم شيأ عظيما حتى قلت ان أرواحهم فارقت أبدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فغنيتهم وقلت

هذا محبك مطوى على كمده ‌ • ‌ وجدا وأدمعه تجرى على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته ‌ • ‌ مما به واليد الأخرى على كبده

يامن يرى كلفا في حبه دنفا ‌ • ‌ كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذي كنا فيه ليس بشيء وشرب القوم فلما جاءهم البسط وأخذ المجلس منتهاه أمر صاحب البيت عبيدين له أن يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله يا سيدي ذهب ما مضى من عمرى باطلا حيث لم أعرفك قبل يومى هذا فبالله يا مولاى من أنت فجعلت أرد عليه وهو يقول ويقسم على حتى أعلمته من أنا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت أن تكون هذه المكارم الا مثلك وقد أصابنى من الدهر نعم لا أقوم بشكرها ثم قال أترى هذا يقظة أم مناما أقسمت انى لا أزال هذه الليلة قائما الى أن تأذن لى فانى أحقر من أن أجالس الملوك فأقسمت عليه بان يجلس ثم أخذ في الكلام وجعل يعرض على السبب الذي أوجب حضوري عنده بالطف تعريض فأخبرته بامرى على الحقيقة ولم أخفه شيأ ثم قلت له الطعام قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الآخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس أفخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعاهن وجعل يقول يا فلانة وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وأنا لا أرى صاحبة الكف والمعصم الى أن أتى أربعون امرأة فقال والله ما بقى الا أختى وها أنا مخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم استدعاها فنزلت فرأيت يدها ومعصمها فاذا هي التى رأيتها فقلت هذه الحاجة فأمر غلمانه لوقته أن يأتوا بعشر شهود ثم قام وأخرج عشرين ألف درهم وألفا أخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى ابراهيم بن المهدى يخطب أختى فلانة وأشهدكم أنى قد زوجتها له

وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الألف التى كان أخرجها لهم فشكروا له ودعوا وانصرفوا ثم قال ياسيدى أمهد لك بعض البيوت لتنام مع أهلك فاعجبنى ما كان من كرمه واستحييت أن أدخل بها فى داره فقلت له بل اجعلها فى عمارية واحملها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ماضاقت به بيوتنا فأولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا أمير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل وقال لله دره ما أكرمه والله ما سمعت بمثله قط ثم أطلق الطفيلى وأمر باحضار الرجل واستنطقه فأعجبه حسن منطقه وعقله وأدبه فصيره من جملة خواصه ومناديمه والله أعلم

(ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هرون الرشيد)

هو ثامن خلفاء بنى العباس وكان شديد القوة ما كان بنى العباس مثله فى القوة والشجاعة والاقدام قيل انه أصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه عتيدا فلم يقدر أحد على اخراج يده ولا امساك قوسه فأوتر المعتصم فى ذلك اليوم أربعة آلاف قوس وكان يدعى المثمن ▪ وأنشد أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يمتدح المعتصم بن هرون الرشيد يقول

ان جس عودا رأيت الخيل ناقصة ▪ كأنها من سماع هزها نغم
أو حركت يده اليمنى له وترا ▪ على أعاديه غنى البوم والرخم

كان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك أحمد بن حنبل على أن يقول ذلك فلم يقل رضى الله عنه وله معه كلام طويل فانظره فى حياة الحيوان (ومن لطائف الحكايات) ما روى عن أحمد بن أبى دؤاد القاضى أنه قال جىء بتميم بن جميل الى المعتصم أسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه فأعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث فاطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر أين عقله ولسانه من جماله فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال أما اذ أذن أمير المؤمنين فى الكلام فانى أقول الحمد لله الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين وأخمد بك نار الباطل وأنار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة

وتصدع القلوب وايم الله لقد أعظمت الجريمه وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو أشبه بك وأليق ثم أنشد يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ٭ يلاحظني من حيث لا أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ٭ وأي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة ٭ وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف ٭ يسل على السيف فيه ويصلت
وما جزعي من أن أموت وانني ٭ لاعلم أن الموت شئ موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ٭ وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم ٭ وقد لطموا حر الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا في سرور ونعمة ٭ أذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا أبعد الله داره ٭ وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يا تميم كاد والله أن يسبق السيف العذل قد غفرت لك الهفوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله وأعطاه خمسين ألف دينار انتهى من زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام (وذكر) صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغني قال تطفلت تطفيلة قامت على أمير المؤمنين المعتصم بتسعين ألف درهم قيل له وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما أصبحنا قلت له يا أمير المؤمنين ان رأيت أن أخرج الى الرصافة فاتنسم الى وقت انتباه أمير المؤمنين قال نعم فامر البوابين أن يتركوني فخرجت أتمشى في الرصافة واذا بجارية كأن الشمس تشرق من جبينها فتبعتها ورأيت معها زنبيلا فوقفت على فاكهاني واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتني فقالت يا ابن الفاعلة الى أين قلت خلفك يا سيدتي فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك أحد فيقتلك فتأخرت ومشيت وغشت أمامي ثم التفتت فرأتني فشتمتني شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت فيها وجلست أنا عند الباب وقد ذهب عقلي ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فلم ألبث أن جاء فتيان كأنهما بدران على حمارين فلما وصلا الى الباب أذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظننا أن صاحب المنزل قد دعاني وجيء بالطعام فأكلنا وغسلنا أيدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم

فى فلانة فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هى صاحبتى وو راءها وصيفة تحمل عودها فوضعته فى حجرها فغنت وشربوا وطربوا وهى تلحظنى وتشدّ فى فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدى مخارق فلم ألبث ان قلت ياجارية شدى يدك فشدت أوتارها وخرجت عن ايقاعها الذى تقول عليه قال فاستدعيت بعود وقضيب وغنيت الصوت الذى قالته الجارية فقاموا الى وقبلوا رأسى قال وكان مخارق من أحسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثانى والثالث فكادت عقولهم تطير فقالوا بالله من أنت ياسيدى فقلت مخارق فقالوا وماسبب مجيئك قلت طفيلى أصلح الله شأنكم وأخبرتهم بخبرى فقال صاحب البيت لصديقيه أما تعلمان أنى أعطيت فى هذه الجارية ثلاثين ألف درهم فامتنعت من بيعها قالا نعم قال هى له فقال صديقاه علينا عشرون ألف درهم وعليك عشرة آلاف قال مخارق فملكونى الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التى شتمتنى فيها أقول ياموالاتى أعيدى كلامك فتستحى منى فاحلف عليها لتعيدنه فتعيده حتى وصلت الى أمير المؤمنين فقيل لى انه انتبه فطلبك فى منازل ابناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدى فى يدها فلما رآنى سبنى وشتمنى فقلت ياأمير المؤمنين لاتعجل وحدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فاحضرهم وأمر لكل واحد منهم بثلاثين ألف درهم والله أعلم انتهى (حكاية غريبة عن محلها) قال الأصمعى دعانى بعض العرب الكرام الى قرى الطعام فخرجت معه الى البرية فأتوا ببياطية باذنين وعليها السمن فارق فجلسنا للأكل واذا باعرابى ينسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل يأكل والسمن يسيل على كراعه فقلت لأضحكن الحاضرين عليه فقلت

كأنك ثلة فى أرض هش • أتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعين مصلقة وقال لى الكلام أنثى والجواب ذكر وأنشد

كأنك بعرة فى است كبش • مدلاة وذاك الكبش يمشى

فقلت له هل تعرف شيأ من الشعر أو ترويه فقال كيف لاأقول الشعر وأنا أمه وأبوه فقلت له ان عندى قافية تحتاج الى غطاء فقال هات ماعندك فقمت

فى بحور الاشعار فما وجدت قافية أصعب من الواو المجزومة فقلت

قوم بنجد قد عهدناهم • سقاهم الله من النو
قلت أتدرى النو ماذا فقال • نو تلألأ فى دجا ليلة
حالكة مظلمة لو • فقلت له لو ماذا فقال
لو سار فيها فارس لانثنى • على بساط الارض منطو
فقلت له منطو ماذا فقال • منطوى الكشح هضيم الحشا
كالباز ينقض من الجو • فقلت له الجو ماذا فقال
جو السماء والريح تعلو به • اشتم ريح الأرض فاعلو
فقلت فاعلو ماذا فقال • فاعلو لما عيل من صبره
فصار نحو القوم ينعو • فقلت ينعو ماذا فقال
ينعو رجالا للقنا شرعت • كفيت مالاقوا وما يلقوا

قال فعلمت أنه لاشئ بعد الفنا ولكن أردت أن أثقل عليه فقلت له ويلقوا ماذا فقال

ان كنت ما تفهم ماقلته • فانت عندى رجل بو
فقلت له البو ماذا فقال • البو سلخ قد حشى جلده
بألف قرنان تقوم على أو • فقلت له أو ماذا فقال
أواضرب الرأس بصوانة • تقول فى ضربتها قو

فخفت أن أقول له قو ماذا فيضربنى ويكمل البيت فقلت له أنت ضيفى الليلة فقال لا يأبى الكرامة الا لئيم فقلت لزوجتى اصنعى لنا دجاجة ففعلت فاتيته بها وجئته أنا وزوجتى وابناى وابنتاى وقلت له فرق يابدوى فقال الرأس للرأس وأعطانى الرأس وقال الولدان جناحان لهما الجناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة لها العجز وأنا زائر لى الزور وأكل الدجاجة ونحن ننظر اليه وبتنا نتحدث فلما أصبحنا قلت لزوجتى اصنعى لنا خمس دجاجات ففعلت وأتيته بالدجاج وقلت له اقسم يابدوى فقال تريد شفعا أو وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كأنك تريد بالفرد فقلت نعم فقال أنت وزوجتك ودجاجة وابناك ودجاجة وابنتاك ودجاجة وأنا ودجاجتان فقلت لا أرضى بهذه القسمة فقال كأنك تريد شفعا فقلت نعم فقال أنت وولداك ودجاجة وزوجتك وبنتاها ودجاجة وأنا وثلاث دجاجات والله لا

أحول عن هذه القسمة قال الاصمعى فغلبنى مرتين مرة فى الشعر ومرة فى الدجاج ثم انصرف انتهى

(خلافة أمير المؤمنين الواثق بالله تعالى)

قال ابنه محمد الذى يقال له المهتدى بالله كان أبى الواثق بالله اذا أراد أن يقتل رجلا أحضرنا فى ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذ أتى بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابى عبد الله يعنى ابن أبى دؤاد وأصحابه وأدخل الشيخ مقيدا فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين بئسما أدبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها وأنت والله ماحييتنى بها ولا بأحسن منها فقال ابن أبى دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال الشيخ ما تقول فى القرآن فقال الشيخ لم تسألنى ولى السؤال آأسأله فقال الأمير سله فقال الشيخ لابن أبى دؤاد ما تقول فى القرآن فقال ابن أبى دؤاد مخلوق فقال الشيخ هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين والخلفاء الراشدون أم شئ لا يعلمونه فقال شئ لا يعلمونه فقال سبحان الله شئ لا يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت قال فخجل وقال أقلنى فقال قد فعلت والمسئلة بحالها قال نعم قال ما تقول فى القرآن فقال مخلوق قال هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس اليه قال أفلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام أبى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدى رجليه على الأخرى وهو يقول هذا شئ لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء الرشدون وعلمته أنت سبحان الله انتهى (وذكر الحافظ أبو نعيم فى حليته) قال الحافظ أبو بكر الآجرى بلغنى عن المهتدى رحمه الله أنه قال ما قطع أبى يعنى الواثق الا شيخ جئ به من المصيصة فمكث فى السجن مدة ثم ان أبى ذكره يوما فقال على بالشيخ فأتى به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ما سلكت بى أدب الله ولا أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها وأمر النبى صلى الله عليه وسلم برد السلام فقال ان وعليك السلام ثم قال لابن أبى دؤاد سله فقال يا أمير

المؤمنين أنا محبوس مقيد أصلي في الحبس بتيمم منعت الماء فمر بقيودي تحل ومر بماء أتوضأ وأصلي ثم سلني فأمر به فحلت قيوده وأمر له بماء فتوضأ وصلى ثم قال لابن أبي دؤاد سله فقال الشيخ المسئلة لي فمره أن يجيبني فقال سل فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد فقال له أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس اليه أشيء دعا اليه النبي صلى الله عليه وسلم قال لا قال أفشيء دعا اليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده قال لا قال أفشيء دعا اليه عمر بن الخطاب بعدهما قال لا قال أفشيء دعا اليه عثمان بن عفان بعدهم قال لا قال أفشيء دعا اليه علي بن أبي طالب بعدهم قال لا قال الشيخ أفشيء لم يدع اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي تدعو أنت الناس اليه ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه توسعنا وسعنا واياك من السكوت ما وسع القوم وان قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع ابن لكع شيء يجهله النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وتعلمه أنت وأصحابك قال المهتدي فرأيت أبي وثب قائما ودخل الحجرة فجعل ثوبه في فيه وجعل يضحك ثم جعل يقول صدق الشيخ الى آخر ما تقدم (وقال) المهتدي مازلت أقول القرآن مخلوق صدرا من خلافة الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن أبي دؤاد شيخا من أهل الشام فادخل الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه فسلم عليه الشيخ فأحسن السلام ودعا فأبلغ وأوجز فقال له الواثق اجلس ثم قال يا شيخ ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين ابن أبي دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة فغضب الواثق وأعاد مكان الرقة له غضبا وقال أبو عبد الله بن أبي دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت قال الشيخ هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك وأذن لي في مناظرته فقال الواثق ما دعوتك الا للمناظرة فقال الشيخ يا أحمد يا ابن أبي دؤاد الام دعوت الناس ودعوتني اليه فقال ان تقول القرآن مخلوق لان كل شيء دون الله مخلوق فقال الشيخ يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول فقال افعل فقال الشيخ يا أحمد اخبرني عن مقالتك هذه أواجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت قال نعم فقال الشيخ اخبرني عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين بعثه الله عز وجل الى عباده هل ستر شيأ مما أمر الله به فى دينه فقال لا قال الشيخ أفدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مقالتك هذه فسكت ابن أبى دؤاد فقال الشيخ تكلم فسكت فالتفت الشيخ الى الواثق فقال يا أمير المؤمنين قل واحدة فقال الواثق واحدة فقال الشيخ يا أحمد أخبرنى عن الله عز وجل حين أنزل آخر القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا أكان الله صادقا فى اكماله أم أنت الصادق فى نقصانه فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فيكون كاملا فسكت ابن أبى دؤاد فقال الشيخ أجب يا أحمد فلم يجبه فقال الشيخ يا أمير المؤمنين قل اثنتان فقال الواثق اثنتان فقال الشيخ يا أحمد اخبرنى عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم جهلها فقال ابن أبى دؤاد علمها فقال أفدعا الناس اليها فسكت ابن أبى دؤاد فقال الشيخ يا أمير المؤمنين قل ثلاثة فقال الواثق ثلاثة فقال الشيخ يا أحمد أفاتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت ولم يطالب أمته بها قال نعم فقال الشيخ واتسع لأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم فقال ابن أبى دؤاد نعم فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق فقال يا أمير المؤمنين قد قدمت أن أحمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة يا أمير المؤمنين ألم يتسع لك من الامساك من هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك فقال الواثق نعم ان لم يتسع لنا من الامساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فلا وسع الله علينا ثم قال اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع ضرب الشيخ بيده فأخذ القيد فوضعه فى كمه فقال الواثق لم فعلت هذا فقال الشيخ لانى نويت أن أقدم الى من أوصى اليه اذا مت أن يجعله بينى وبين كفنى حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم القيامة وأقول يارب سل عبدك هذا لم قيدنى وروع أهلى وولدى واخوانى بلا حق وأوجب ذلك على وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا ثم سأله الواثق أن يجعله فى حل وسعة مما ناله منه فقال الشيخ يا أمير المؤمنين لقد جعلتك فى حل وسعة من أول يوم اكراما لرسول الله صلى الله

عليه وسلم اذا أنت رجل من أهله فقال الواثق لي اليك حاجة فقال الشيخ ان كانت ممكنة فعلت فقال الواثق تقيم عندنا ينتفع بك فتياننا فقال الشيخ يا أمير المؤمنين ان ردك اياي الى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عندك فقال ولم ذلك فقال لأسير الى أهلي و ولدي فاكف دعاءهم عنك فقد خلفتهم على ذلك فقال الواثق أفتقبل مناصلة تستعين بها على دهرك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين أنا غني وذو ثروة قال أفتسأل لنا حاجة قال أو تقضيها قال نعم قال تخلي سبيلي الى السفر الساعة وتأذن لي قال أذنت لك فسلم عليه الشيخ وخرج قال صالح فقال المهتدي بالله فرجعت عن هذه المقالة من ذلك اليوم والله أعلم (فائدة) روى الدارقطني وشيخه والحاكم وابن عدي عن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد اصطاد ضبا وجعله في كمه ليذهب به الى رحله فرأى جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال على من هؤلاء فقالوا على هذا الذي يزعم أنه نبي فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت على ذي لهجة أكذب منك ولولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب واخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضب فتكلم الضب بلسان فصيح عربي صريح يفهمه القوم جميعا فقال لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابي أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد أبغض مني اليك والله لأنت الساعة أحب الي من نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني فعلمه

النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله وقل هو الله أحد فقال يارسول الله ماسمعت فى البسيط ولا فى الرجز أحسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله أحد ثلاثا وقال ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابى ان الهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان الكبرى (ووقف) رجل على الواثق فقال ياأمير المؤمنين صل رحمك وارحم أقاربك وارحم رجلا من أهلك فقال الواثق من أنت فانى لاأعرفك قبل اليوم قال ابن جدك آدم فقال ياغلام اعطه درهما فقال ياأمير المؤمنين وما أصنع بالدرهم قال أرأيت لو قسمت المال بين اخوتك أولاد جدى أكان ينوبك منه حبة فقال لله درك ما أذكى فهمك فأمر له بعطاء وانصرف مكرما

﴿خلافة المتوكل على الله تعالى﴾

حكى عنه أنه قال ذات يوم لابى العيناء ما أشد ما عليك فى ذهاب عينيك فقال فقد رؤيتك ياأمير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب وأمر له بجائزة نفيسة (ومما حكاه) أبو القاسم على بن محمد الذهبي عن أبى عبد الله النحوى قال لما حج محمد بن عبد الله بن طاهر رأى فى الطواف جارية فى نهاية الحسن فسأل عنها فقيل انها لرجل من الادباء قدر واها الأشعار والأخبار والنحو والعروض وقد أحسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا وأخفى أمرها وما يجده منها تخوفا من أمير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها أياما لا يظهر للناس فيظنون أنه زمن وأمره معها مستور ففطن به سويد بن أبى العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سوأ يكيده به الا أن كتب الى المتوكل وهو نازل على أربعة فراسخ من بغداد كتابا نسخته • بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد ياأمير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى جارية بمائة ألف درهم فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه كله معها وقد اشتغل بها عن النظر فى أمور المسلمين وعن التوقيع فى قصص المظلومين ولا يأمن أمير المؤمنين أن تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب أمير المؤمنين فى اصلاحها وقد أنهى المملوك ذلك الى أمير المؤمنين أيده الله وهو أعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه الى

نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته فلانة وائت بها من غير تأخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها فى ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو واقف عليه فتغير وجهه وانتقع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه ان نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد أضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذى أقدمك قال أمير المؤمنين أمرنى أن آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا اليوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وأنا لا أخالف ما أمر به أمير المؤمنين ثم أمر للخادم بكرسى فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلى لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا نظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غنى لا تزودمنك فأخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

لله من لمعذبين رماهما • بشماتة العذال والحساد

أما الرحيل فحين جد تحملت • مهج النفوس به من الاجساد

من لم يبت والبين يصدع شمله • لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما أعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل بهما فقال أيها الأميران رأيت أن أمضى وأدعكما على ما أنتما عليه وأتعلل عنكما لأمير المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من خلقه مثل أبى سويد كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق بنا فقالت الجارية والله يا سيدى لا ملكنى غيرك أبدا ولئن دفعتنى اليه لأقتلن نفسى فقال لها محمد لو كان غير أمير المؤمنين لكان فى ذلك أوسع حيلة ولقد وددت أن يأخذ منى أمير المؤمنين جميع ما أملك ويعزلنى عن عملى ويبقيك على ولكن هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس وقال لقد شاهدت منى ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والألفة وليس يخفى عن علمك أن صنائع المعروف تقى مصارع السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلى فخذها وامض بها الى أمير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروءتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى وبكت وبكى نرجس ثم أخذها وخرج وهى تبكى وتخمش خدها ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة أمير المؤمنين وسار حتى دخل على المتوكل فلما رآه قال ما وراءك يا نرجس قال ورائى يا أمير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص

عليه حالهما ولم يخف شيأ فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية فقال يا أمير المؤمنين والذى خفى أكثر مما ظهر وما أظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وأدركه قبل أن تزهق روحه وقد أمرت له بمائة ألف درهم ولها مع ذلك مثله وجعلت أمر أبى سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك ودفعه الى نرجس فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد وقد أحدقت به الجوارى يروحنه بالمراوح فقال أبشر يا محمد ان أمير المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير أن يوقع نظره عليها وقد حكمك فى أبى سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب اليها وعانقها وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره وبعث الى أبى سويد فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قرأه قال أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وأن تهدم منى ركنا أنت شيدته وأن تضيع صنيعة اصطنعتها الى مثلى فثلى من هفا ومثلك من عفا ثم قام وقبل البساط فقال له محمد لا أبدل نعمة الله كفرا ثم أمر له بخمسين ألف درهم فقالت الجارية وأنا أيضا أهب له خمسين ألف درهم مما وهبه لى أمير المؤمنين شكرا الله تعالى على ذلك ثم أقره على ما كان عليه وأمر أن يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كانا عليه فى أطيب عيش وأحسن حال متظاهرا بذلك غير مستتر ولا خائف انتهى (وأتى) المتوكل بمحمد بن النصيب ووزيره ابن الدير وانى وكان محمد هذا قد خرج على المتوكل واستوزر ابن الدير وانى فلما مثل بين يدى المتوكل قال له ما حملك على ما فعلت يا محمد قال الشقوة وحسن الظن بعفوك يا أمير المؤمنين وأنشد يقول

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى • امام الهدى والعفو بالحر أجمل

تضاءل ذنبى عند عفوك قلة • فجدلى بعفو منك فالعفو أفضل

فقال الملك خلوا سبيله ثم قدم ابن الدير وانى فقال اضربوا عنقه فقال سبحان الله يا أمير المؤمنين تعفو عن الرأس وتقطع الذنب فضحك المتوكل وعفا عنه انتهى (وكتب محمد بن عبد الملك الزيات) وهو فى السجن وقد اشتد به الحال رقعة الى المتوكل يستعطفه على نفسه من شدة ما قاسى من الأهوال والعذاب فى السجن

يقول فيها هذين البيتين

هى السبيل فن يوم الى يوم • كفرحة النائم الفرحان بالنوم
لا تعجلن رويدا انها دول • دنيا تنقل من قوم الى قوم

قال فلما قرأها المتوكل رق له وبكى وأمر باطلاقه فذهبوا الى السجن فوجدوه ميتا رحمة الله عليه

(خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله أحمد)

كان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس بعد أن أخلقته الاتراك وأذلته وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

كما بأبى العباس أنشئ ملككم • كذا بأبى العباس أيضا يجدد

(ولقد اتفق فى أيامه) على ما حكى أمر فظيع كشفه الله له جعبته فى نفوس الناس فانه كان لا يتجرأ أحد منهم أن يكتم ما فى نفسه مخافة صولته لانه كان لشدة حذقه يتخيل لهم أنه يعلم ما فى نفس الانسان من الضمير • فاتفق أن أحد وزرائه وأكبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه أحد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا فى ذلك البناء فرأى يوما من الايام فى دار من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فولع بها فسأل عنها فأخبر أنها ابنت أحمد التجار فأرسل الى والدها خاطبا فقال له أبوها وكان من أهل اليسار لست أزوجها الا من تاجر مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وأنت ان ظلمتها لم أقدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل يرومه فى ذلك بكل أمر وتوسط اليه بالاكابر والاماثل من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه أن يجيبه شكا الى أحد خواصه فقال له ألف مثقال يقوم لك هذا فقال كيف ذلك والله لو علمت انى أنفق عليها مائتى ألف مثقال أو أكثر وتأتينى لفعلت قال له عليك أن تحضر لى ألف دينار فأمر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا عدولا عند القاضى فى شهادتهم وذكر لهم الامر وقال هذا أمر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا ألفا وأغلى لهم المهر وانكم تحيون نفسا أشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما ترغبون وأبوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى

جلالة قدره ومكانة أمره وقد أعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت ملك ثم هو مع هذا يأبى هل هذا الا عضل بين ولكن لكم ألف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون أنه قد زوجها منه فانه اذا علم أبوها بانكم قد شهدتم عليه رجع الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخيرة فاخذ الشهود كل واحد منهم مائة وشهدوا ان أباها زوجها على صداق مبلغه كذا ورفعوا فى الصداق الى غاية ماترفع اليه صداقات الملوك فلما علم أبوها بذلك زاد نفارا واباء فمشى الوزير وذلك القائد الى القاضى وقال انى تزوجت فلانة بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم قد نا كرنى وأنكر الشهود وقد أردت أن أدفع له حق ابنته وآخذها فامر القاضى باحضار الشهود فشهدوا عنده وأحضر مال النقد بين يدى القاضى والرجل على انكاره متماديا فامر القاضى بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه أحب أو كره وأمر بحمل المال اليه فلما وصلت الجارية عند الوزير لم يزل أبوها يروم الوصول الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه أحد من غير الخاصة فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت أن تكون مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما أردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله ودخل فى جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان ذلك الوقت الذى كانت عادة أمير المؤمنين المعتصم يقف فيه على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى على الارض وجعل يحثوا التراب على رأسه ويستغيث فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فارسل المعتصم فى ذلك المقام خلف ذلك القائد وأغلظ عليه فى القول فحملته هيبته له وقلة اقدامه على الكذب عليه ان وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع أن يعذره فى ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وأمر باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا أن يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الزلة اذ قد أرادوا احياء نفس ذلك الوزير وأيضا قد دفع له بين يدى القاضى نقدا لا يكون الا فى صداقات الملوك وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها فكانما قد أخذها بحقها أو باكثر من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر أمر أن يصلب كل شاهد منهم على باب داره وان يوضع ذلك الوزير فى جلد ثور طرى السلخ ويضرب

بالمرازب حتى يختلط عظمه ولحمه بدمه ثم أمر به لما صنع به ذلك أن يفرغ بين يدى غور كانت عنده فلما العقت تلك الغور ذلك الدم أمر الرجل أبا البنت أن يأخذ ابنته ويأخذ كل ما ذكروها على ذلك الوزير فى صداقها من عقار ودور ومال ثم مات المعتصم وولى ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاثر الى ما كانت عليه من ذلك والله تعالى أعلم (ويقرب من شهامة هذا الملك) ما ذكره فى حياة الحيوان فى ترجمة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب من انه وقع بينه وبين الاذفونش نصرانى طليطلة مكاتبات قال بعث الاذفونش الى الأمير يعقوب يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره ابن الفخار وهى « باسمك اللهم فاطر السموات والأرض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الفصيح اما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك أمير الملة الحنيفية كما أنى أمير الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتكول والتكاسل واهمالهم أمر الرعية واخلادهم الى الراحة والأمنية وأنا أسوسهم بحكم القهر واخلاء الديار وسبى الذرارى وأمثل بالرجال وأذيقهم عذاب الهوان وشديد النكال ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم اذا أمكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذى رأى وخبرة وأنتم تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ولقد حكى عنك انك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد أخرى تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا ندرى أكان الجبن ابطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى الجواز سبيلا ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه ميلا وها أنا أقول لك ما فيه الراحة وأعتذر عنك ولك على أن تفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان والاجتت بجملتى اليك وأقاتلك فى أعز الأماكن عليك فان كانت النصرة لك كانت غنيمة كثيرة جاءت اليك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره» قال فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها

أذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبى

ولا كتب الا المشرفية عنده ۰ ولا رسله الا الخميس العرمرم

ثم أمر بكتائب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات من يومه بظاهر البلد وسار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس ودخل الى بلاد الافرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم والله أعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الأمير بدر الدين أبى المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار العرب أنه قال حكى الأمير محمد شجاع الدين الشيرازى متولى القاهرة فى أيام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بتنا عند رجل بالصعيد فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء أولادك قال نعم ثم قال كأنكم أنكرتم على بياضهم وسوادى قلنا نعم فقال هؤلاء كانت أمهم افرنجية أخذتها أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثى فيها عجيب وأمرى غريب فقلنا أتحفنا به فقال زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ثم لم يبلغ الثمن أكثر من ذلك فحملته القاهرة فلم يصل أكثر من ذلك فاشير على بحمله الى الشام فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيأ فوصلت به الى عكا فبعت بعضه لأجل والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى ان تنقضى المدة فبينما أنا أبيع اذ مرت بى امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب فأتت تشترى منى كتانا فرأيت من جمالها ما أبهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وأتت الى بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الأولى فتكررت الى وعلمت انى أحبها فقلت للعجوز التى كانت معها انى قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة فقالت لها العجوز ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فاعادت على الجواب فقلت لها أما أنا فقد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على ان أدفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك قال فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الافرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى أما تستحى من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية . اللهم انى أشهدك انى قد عففت عنها

فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فقامت من السحر وهى غضبانة ومضت ومضيت الى حانوتى فجلست فيه فاذا هى قد عبرت على هى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت وقلت فى نفسى ومن هو أنت حتى تترك هذه البارعة فى حسنها ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعى فقالت وحق المسيح ما أرجع لك الا بمائة دينار فقلت نعم بسم الله فمضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندى لحقتنى الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعى ثم عبرت على بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بى عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت على انى أصرف ثمن الكتان جميعه فبينما أنا كذلك والمنادى ينادى معاشر المسلمين ان الهدنة التى كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عنى وأخذت فى تحصيل ثمن الكتان الذى لى والمصالحة على ما بقى منه وأخذت معى بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفى قلبى من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة باوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله على بكسب وافر وأخذت أتجر فى الجوارى لعل يذهب ما بقلبى من الافرنجية فمضيت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذت جميع الملوك وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب منى جارية للملك الناصر فاحضرت له جارية حسناء فاشتراها منى بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير عنده فلم يجدوها فى خزانة الملك فى ذلك اليوم لانه أنفق جميع الأموال فلما حضرت الغنيمة جاؤا الملك فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخيمة التى فيها السبى من نساء الافرنج فخيروه فى واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التى بقيت له فاتيت الخيمة فعرفت غريمتى فقلت أعطونى هذه الجارية فاخذتها ومضيت الى خيمتى وخلوت بها وقلت لها أتعرفينى قالت لا فقلت لها أنا صاحبك التاجر الذى جرى لى معك ما جرى وأخذت منى الذهب وقلت ما عدت ترانى عندك الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بامر القاضى فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فتعجب وعقد لى عليها



وباتت تلك الليلة عندى فحملت منى ثم رحل العسكر وأتينا دمشق فبعد مدة يسيرة أرسل الملك بطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التى عندى فطلبت منى فحضرت وقد تغير لونى فاحضرتها بين يدى الملك الناصر والرسول فقلت هذه أسلمت وصارت امرأتى فقال الملك الناصر بحضرة الرسول أترجعين الى بلادك أو الى زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان أنا قد أسلمت وحملت وها بطنى كما ترونه وليس لى رغبة فى الرجوع الى بلادى وما رغبتى الا فى الاسلام وزوجى فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أو زوجك الافرنجى فأعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لى الرسول خذ زوجتك وتوجه فوليت بها فطلبنى ثانيا وقال ان أمها أرسلت معى كسوة وقالت ان ابنتى أسيرة وأشتهى ان توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار ففتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد صيرته لها أمها ووجدت من داخله الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هى بربطتى لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهى التى صنعت لكم هذا الطعام والله أعلم •

ويحكى أن بعض الملوك أرسل رجلا من بطانته الى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه باخبار الرعية فلما وصل الرجل فطن له العامل فارسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ماجئت له وأنا أرغب اليك فى كتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه انى حسن السيرة وسالك طريق العدل فان أنت فعلت ذلك فلك منى ماتشتهى رغبتك اليه من الخير والعطاء وان أبيت ذلك أمرت الشرطيين أن ينهوا الى من أمرك فى الملا مايوجب قتلك اما حدا واما سياسة فاقتلك بحضر من قاضى البلد ووجوه الناس فتذهب كأمس الماضى فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن اخون مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك أما بعد أعز الله الملك وأكرمه فانى قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم فساوى بين رعيته وعدل بينهم فى أقضيته وأرضى بعضهم بعضا وجعل طاعته عليهم فرضا وأنزلهم منه منزلة الاولاد وأذهب مابينهم من الاحقاد وأراحهم من السعى فى الدنيا وفرغهم للعمل فى الآخرة أغنى القاصد وأرضى الوارد

بجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر الى وجهه الكريم والسلام • فلما وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال للوزير ان فلانا لم يكن عندى بمتهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لى رجلا يصلح لعمله فانى قد عزلته فقال الوزير أصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان قوله آخذا بالحزم عاملا بالعزم أى انه خائف منى لما اعتمده فى الولاية وأما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم فى أقضيته فمعناه انه لم يخص أحدا بظلمه بل الجميع سواء وقوله وأرضى بعضهم بعضا أى ذهبت أحقادهم لان الشدائد تذهب الاحقاد وقوله أنزلهم منه منزلة الاولاد معناه أخذ أموالهم ورأى أنها له أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك وقوله وأراحهم من السعى فى الدنيا معناه انه أخذ أموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله فرغهم للعمل فى الاخرى معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله أغنى القاصد وأرضى الوارد فانه يعنى نفسه أى انه أعطاه مالا ليكتب الى بذلك وأما قوله بجميع أهل عمله داعون لنا معناه أن يبصرنا الله بأمرهم ونطلع على ماهم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا أى يشكون الينا ما القوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل وأحضره الى بابه وأنصف الناس منه ورد عليهم ما كان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على فعله والله أعلم

(وهذه القصيدة الزينبية)

صرمت حبالك بعد وصلك زينب • والدهر فيه تصرم وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها • سودا ورأسك كالثغامة أشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما • كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه • آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عدا الزمانه • وازهد فعمرك مر منه الاطيب
ذهب الشباب فماله من عودة • وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ما قد كان فى زمن الصبا • واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه • لابد يحصى ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته • بل أثبتاه وأنت لاه تلعب

والروح فيك وديعة أودعتها ٭ ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها ٭ دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما ٭ أنفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ماخلفته وجمعته ٭ حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لايدوم نعيمها ٭ ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت فصيحة أولاكها ٭ بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان وأهله مستبصرا ٭ ورأى الامور بما تؤب وتعقب
لاتأمن الدهر الخؤن فانه ٭ مازال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام فى لذاتها ٭ غصص يذل لها الأعز الأنجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز ٭ ان التقى هو البهى الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ٭ ان المطيع له لديه مقرب
واقنع ففى بعض القناعة راحة ٭ واليأس عما فات فهو المطلب
فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة ٭ فلقد كسى ثوب المذلة أشعب
وتوق من غدر النساء خيانة ٭ فجميعهن مكايد لك تنصب
لاتأمن الأنثى حياتك انها ٭ كالافعوان يراع منه الأنيب
لاتأمن الأنثى زمانك كله ٭ يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغرى بلين حديثها وكلامها ٭ واذا سطت فهى الصقيل الاشطب
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن ٭ منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما ٭ فالليث يبدو نابه اذ يغضب
ان العدو وان تقادم عهده ٭ فالحقد باق فى الصدور مغيب
واذا الصديق رأيته متملقا ٭ فهو العدو وحقه يتجنب
لاخير فى ود امرئ متملق ٭ حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف انه بك واثق ٭ واذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ٭ ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وان جفوك بجفوة ٭ فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا ٭ ان القرين الى المقارن ينسب

ان الغنى من الرجال مكرم • وتراه يرجى مالديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه • ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فانه • حقا يهون به الشريف الأنسب
واخفض جناحك للاقارب كلهم • بتذلل واسمح لهم ان أذنبوا
وذر الكذوب فلا يكن لك صاحبا • ان الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن • ثرثاره فى كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه • فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به • ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه • نشرته ألسنة تزيد وتكذب
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد • فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا • والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز فى الناس يأتى رزقه • رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الامانة والخيانة فاجتنب • واعدل ولا تظلم يطب المكسب
واذا أصابك نكبة فاصبر لها • من ذا رأيت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة • أو نالك الأمر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه أدنى لمن • يدعوه من حبل الوريد وأقرب
كن ما استطعت عن الأنام بمعزل • ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه • يعدى كما يعدى السليم الأجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا • واعلم بأن دعاءه لا يحجب
واذا رأيت الرزق عز ببلدة • وخشيت فيها أن يضيق المذهب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا • طولا وعرضا شرقها والمغرب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتى • فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

انتهى من حياة الحيوان (وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس)

المرء يجمع والزمان يفرق • ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولان يعادى عاقلا خير له • من أن يكون له صديق أحمق
فاربأ بنفسك ان تصادق أحمقا • ان الصديق على الصديق مصدق

وزن الكلام اذا نطقت فانما • يبدى عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت أحلامهم • من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل واد قلبه • فيرى ويعرف مايقول وينطق
لاألفينك ثاويا فى غربة • ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل • قدمات من عطش وآخر يغرق
والناس فى طلب المعاش وانما • بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم • ألفيت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم • هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا • ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذى تبع العروس مبهتا • ورأيت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرؤ لسعته أفعى مرة • تركته حين يجر حبل يفرق
بقى الذين اذا يقولوا يكذبوا • ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

﴿وذكر الجوزى فى الاذكياء وغيره﴾

أن عمران بن حطان كان أحد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنهما الله تعالى على قتل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه

ياضربة من تقى ما أراد بها • الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لأذكره يوما فأحسبه • أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم • لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى أبا الطيب الطبرى رحمه الله تعالى هذه الأبيات فقال مجيبا له

انى لأبرأ مما أنت قائله • عن ابن ملجم الملعون بهتانا
انى لأذكره يوما فألعنه • دينا وألعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا • لعائن الله اسرارا واعلانا
فانتم من كلاب النار جاء لنا • نص الشريعة برهانا وتبيانا

أشار أبو الطيب رحمه الله تعالى الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان • ومنه ماروى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال جاؤا برجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه انه سرق جملا لهم فأمر به

النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع قولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شئ وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شئ وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شئ فتكلم الجمل وقال يا محمد انه برئ من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من أهل بدر فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فأخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر انتهى

(وهذه القصيدة يقال انها لأمير المؤمنين الراضي بالله)

زيادة المرء في دنياه نقصان • وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له • فان معناه في التحقيق فقدان
ياعامرا لخراب الدهر مجتهدا • بالله هل لخراب الدهر عمران
وياحريصا على الأموال يجمعها • أنسيت أن سرور المال أحزان •
واع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها • فصفوها كدر والوصل هجران
وأوع سمعك أمثالا أفصلها • كما يفصل ياقوت ومرجان
أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم • فطالما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذي أمل • يرجو نداك فان الحر معوان •
من جاد بالمال مال الناس قاطبة • اليه والمال للانسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له • عند الخليقة أخدان واخوان
لا تخدشن بمطل وجه عارفة • فالبر يخدشه مطل وليان
ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته • أتطلب الربح مما فيه خسران
اقبل على النفس واستكمل فضائلها • فانت بالنفس لا بالجسم انسان
من يتق الله يحمد في عواقبه • ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
حسب الفتى عقله خلا يعاشره • اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن • قد استوت منه اسرار واعلان
فللتدابير فرسان اذا ركضوا • فيها أبروا كما للحرب فرسان
والامور مواقيت مقدرة • وكل أمر له حد وميزان •

من رافق الرفق فى كل الحوادث لم • يندم عليه ولم يذممه انسان
ولا تكن عجلا فى الأمر تطلبه • فليس يحمد قبل النضج بحران
وذو القناعة راض فى معيشته • وصاحب الحرص ان أثرى فغضبان
كفى من العيش ما قد سد من رمق • ففيه للحران حققت غنيان
هما رضيعا لبان حكمة وتقى • وساكنا وطن مال وطغيان •
من مد طرفا بفرط الجهل نحو هوى • أغضى من الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له • على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا • لان طبعهم بغى وعدوان
ومن يفتش على الاخوان مجتهدا • فجل اخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه • ندامة ولحصد الزرع ابان •
من استنام الى الاشرار نام وفى • قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم • وعاش وهو قرير العين جذلان
من كان للعقل سلطان عليه غدا • وما على نفسه للحرص سلطان
وان أساء مسىء فليكن لك فى • عروض زلته صفح وغفران
• اذا نبا بكريم موطن فله • وراءه فى بسيط الأرض أوطان
لا تحسبن سرورا دائما أبدا • من سره زمن ساءته أزمان •
يا ظالما فرحا بالعز ساعده • ان كنت فى سنة فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضى سيرته • أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت فى لجج • فأنت ما بينها الاشد ظمآن
دع التكاسل فى الخيرات تطلبها • فليس يسعد بالخيرات كسلان
صن حر وجهك لا تهتك غلالته • فكل حر لحر الوجه صوان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم • غرائز لست تحصيها وألوان
• ما كل ماء كصداء لوارده • نعم ولا كل نبت فهو سعدان
من استعان بغير الله فى طلب • فان ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما • فانه الركن ان خانتك أركان
لا ظل للمرء يغنى عن تقى ورضا • وان أظلته أوراق وأفنان

عصيان من عسر مال باقل حصر • وبافل في ثراء المال عصيان
والناس اخوان من والته دولته • وهم عليه اذا عادته اعوان •
يارا فلاق الشباب الرحب منتشيا • من كأسه هل أصاب الرشد نشوان
لاتغترر بشباب ناعل خضل • فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم • يكن لمثلك في الاسراف امعان
هب الشبيبة تبدى عذر صاحبها • مابال شيبك يستهوي به شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها • ان شيع المرء اخلاص وايمان
• وكل كسر فان الله يجبره • ومالكسر قناة الدين جبران
أحسن اذا كان امكان ومقدرة • فلا يدوم على الانسان امكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمه • والحر بالعدل والاحسان يزدان
خذها سرائر أمثال مهذبة • فيها لمن يبتغى التبيان تبيان
ماضر حسانها والطبع صائغها • ان لم يصغها قريع الشعر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا • فانها لنجاة العبد عنوان
فهو الذى شملت للخلق أنعمه • وعمهم منه في الدارين احسان
جبينه قمر قد زانه خفر • وثغره درر غر ومرجان
والبدر يخجل من أنوار طلعته • والشمس من حسنه الوضاح تزدان
ومذ أتى أبصرت عمى القلوب به • سبل الهدى ووعت للحق آذان
• به توسلنا في محو زلتنا • لربنا انه ذو الجود منان •
يارب صل عليه ماهمى مطر • فاينعت منه أوراق وأغصان
وابعث اليه سلاما زاكيا عطرا • والآل والصحب لاتفنيه أزمان

(وعن) حماد الراوية قال كنت محبا للوليد بن عبد الملك فلما ولى أخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما أنا في المسجد الأعظم اذ أتاني رسول محمد بن يوسف الثقفى وقال أجب الأمير فدخلت عليه فقال ورد كتاب أمير المؤمنين على بحملك اليه وبالباب نجيبان فاركب أحدهما ودفع الى كيسا فيه ألف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق في اليوم الثامن واستأذن لى الرسول فدخلت عليه فاذا هو

به الى فى دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز أحمر فى وسط قبة حمراء من خز وفرشها وكل ما فيها أحمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما ابريق وفى احدى يدى الاخرى نبيذ أحمر وفى اليد الاخرى نبيذ أبيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد على السلام وقال ادن يا حماد أتدرى فيم بعثت اليك قلت لا يا أمير المؤمنين قال فى بيت شعر ذهب عنى أوله ما قلت من أى عروض أو قافية قال لا أدرى الا أنه بيت فيه ابريق فقلت فى نفسى ان لم تغن الرواية يوما فالآن ففكرت ساعة ثم قلت نعم يا أمير المؤمنين لعله قول تبع اليمانى أو عدى ابن زيد العبادى

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابن عبيد الله والقلب عنكم مرهوق
لست أدرى اذا أكثروا العذل فيها • أعدو يلومنى أو صديق
ودعوا بالصبوح يوما فجاءت • قينة فى يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية اسقيه فسقتنى كأسا أذهبت ثلث عقلى ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه فسقتنى فقلت يا أمير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى فقال سل حاجتك قبل أن يذهب الثلث الآخر فقلت احدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما لهما وما عليهما ومائة ألف تحسن بها سيرك ثم ناولتنى الجارية كأسا فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدل بى الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يوقد والجاريتان يرصان الامتعة والبغال تحمل ما لهما من أثاث غيره وأصبحت وقبضت المال وانصرفت وأنا أيسر أهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقى الدين بن حجة رحمه الله على هذه الحكاية قال انظر أيها المتأدب الى نفاق سوق الادب فى ذلك الأرب وبشهادة الله ان البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من العراق الى دمشق وأجيز عليه بالجاريتين والمائة ألف تأنف نفسى انى أنظمه فى سلك قصيدة من قصائدى وهو هذا البيت

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت • قينة فى يمينها ابريق

وكنت أريد أن أكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمى فى هذا الباب قولى

في ليلة رقم البدر المنير لها * طارا له بعصى الجوزاء نقرات
وبان لي من لماها حين تبسم لي * فوق الثنا واللى در وعقيات
والراح دبت على فهمي فصورها * لكن لها مناح في الكاسات نغمات
كانت علامات تحقيق فقال في * هي المنازل لي فيها علامات
مذ أنشأتنا سجعنا في محاسنها * مغردين وللانشاء سجعات
هذا وأفواه كاساتي قد ابتسمت * لما حبتها تغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت * فللحباب على التسكين جزمات

(وألطف من ذلك) ماحكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان أبو عثمان المازني جاء اليه يهودي وسأله أن يقرئه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من ذلك فقلت له سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا أبا العباس اعلم أن كتاب سيبويه يشتمل على ثلثمائة آية من كتاب الله ولا أرى ان أمكن منها كافرا فسكت ولم يتكلم قال المبرد فما مضت الا أيام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر ندماؤه فغنت جارية في المجلس هذا الشعر

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع لانه خبر ان فقالت الجارية ما حفظته من معلمي الا هكذا ثم وقع النزاع بين الجماعة فمن قائل الصواب معه ومن قائل الصواب معها فقال الواثق من بالعراق من أهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا ابا البصرة أبو عثمان المازني وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم فقال الواثق اكتبوا الى والينا بالبصرة يسيره الينا معظما مبجلا فما كان الا أيام حتى وصل الكتاب الى البصرة فأمر الوالي أبا عثمان بالتوجه وسيره على بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه وزاد في اكرامه وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز في رجل غير النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجلا منصوب به والمعنى ان اصابتكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم فظلم خبر ان ولا يتم الكلام الا به ففهم الواثق كلام أبي عثمان وعلم أن الحق ما قالته وأعجب بها وانقطع الرجل الذي أنكر على الجارية ثم أمر الواثق لأبي عثمان المازني بألف دينار وأتحفه بتحف وهدايا كثيرة لأهله ووهبت له

الجارية بجملة أخرى ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاء المبرد فقال له أبو عثمان كيف رأيت يا أبا العباس تركت لله مائة فعوضت فى ألفا فقال المبرد من ترك شيأ لله عوضه الله خيرا منه انتهى وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله الاسم الأعظم فجاءنى جبريل به مختوما وهو اللهم انى أسألك بالاسم المخزون المكنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحى القيوم قالت عائشة بأبى وأمى علمنيه فقال يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء انتهى (فائدة) كان أبو محمد عبد الله بن يحيى الصنيعى من أصحاب الشافعى وكان اماما صالحا لما من أهل اليمن من اقران صاحب البيان من تصنيفه احترازات المهذب والتعريف فى الفقه روى أن ناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت أقرأ ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وحفظناها من كل شيطان رجيم وحفظا من كل شيطان مارد وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ان كل نفس لما عليها حافظ ان بطش ربك لشديد الى آخر السورة وينبغى أن يزاد فيها ان ربى على كل شئ حفيظ ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرأيت ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها بشئ فلما دنونا منه نفر منها الذئب فوجدنا فى عنق الشاة كتابا مربوطا فيه هذه الآيات المتقدمة انتهى (فائدة) قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترا آى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما أنتم ثم انفتل الينا فقال أما انى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة الا انى قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت فاذا أنا بربى تعالى فى أحسن صورة فقال يا محمد فقلت لبيك يا رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت ربى لا أدرى قال تعالى فى الكفارات والدرجات وفى رواية قلت فى الكفارات والدرجات قال فما هن قلت مشى الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء على المكروهات قال ثم فيم قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام . قال سل قلت اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك

المنكرات وحب المساكين وأن تغفرلي وترحمني واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني الى حبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من حياة الحيوان في حرف النون وقال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو أخفى فيكم من دبيب النمل وسأدلك على شئ اذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك شيأ وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم انك أنت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات انتهى ﴿فائدة﴾ اذا علقت عين الهدهد على صاحب النسيان ذكر ما نسيه ودمه اذا قطر في البياض في العين أذهبه وروى أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يشرب قائما فقال له أيسرك أن يشرب معك الهر فقال لا قال فقد شرب معك الشيطان * وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة محمد بن عمر الحنبلي عن أنس بن مالك قال كنت جالسا عند عائشة رضي الله عنها أبشرها بالبراءة فقالت والله لقد هجرني القريب والبعيد حتى هجرتني الهرة وما عرض علي طعام ولا شراب فكنت أرقد وأنا جائعة فرأيت في منامي فتى فقال مالك حزينة فقلت مما ذكر الناس فقال ادعي بهذه يفرج الله عنك فقلت وما هي قال قولي دعاء الفرج ياسابغ النعم ويادافع النقم ويافارج الغمم ويا كاشف الظلم ويا أعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا ولي من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا قالت فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله براءتي وجاءني الفرج انتهى من حياة الحيوان وهذا الدعاء روى الطبراني باسناد صحيح قطعة منه عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته يقول يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر الا ويعلم ما في قعره ولا جبل الا يعلم ما في وعره اجعل اللهم خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه وخير أيامي يوم لقائك فوكل النبي صلى الله عليه

وسلم بالاعرابي رجلا فقال اذا صلى فائتني به فلما صلى أتاه به وقد أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما أتى الاعرابي وهب له الذهب وقال ممن أنت أيها الاعرابي قال من بني عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل انتهى من حرف الطاء. وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي في الباب الثالث عشر منه أن الملك بهرام جور لم يكن في العجم أرمى منه. ومن غريب ما اتفق له أنه خرج يوما يتصيد على جمل وقد أردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية في أي موضع تريدين أن أضع هذا السهم من هذه الظباء قالت أريد أن تشبه ذكرانها بالاناثها وإناثها بذكرانها فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين ثم سألته أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة فرمى أذن الظبي ببندقة فلما أهوى بيده الى اذنه ليحك رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه ثم أهوى الى الجارية مع هواه بها فرمى بها الى الأرض وأوطاها الجمل بسبب ما اشترطت عليه وقال ما أردت الا اظهار عجزي فلم تلبث الا يسيرا وماتت انتهى (حكاية في القطا) يقال نزل عمر بن ماسة على قوم من مراد فطرقوهم ليلا فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة يقال لها حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم . ولو ترك القطا ليلا لناما . فلم يلتفتوا الى قولها وأخلدوا الى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال

اذا قالت حذام فصدقوها . فان القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتجؤا الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل انتهى بتقديم وتأخير . وعن أبي جعفر الخالدي قال ودعت أبا الحسن الصغير المدني فقلت له زودني شيأ فقال اذا ضاع منك شئ وأردت أن يجمع الله بينك وبين ذلك الشئ أو ذلك الانسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بيني وبين كذا وكذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ أو ذلك الانسان انتهى من حرف الألف وهذه أبيات

لصيد النجم في الجير . وصيد الأسد في البر . وقضم الثلج في القر

ونقـل الصخر في الحر * واقدام على موت * وتحويل الى القـبر
لاشهى من طلاب العر * ف ممن عاش في الفقر

قوله اللخم بضم اللام واسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج وهو القرش انتهى من حياة الحيوان في حرف اللام (وذكر) بعض أهل التواريخ أن ملكا من الملوك خرج يدور في مملكته فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فأخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فلما نظرها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت له انظر في هذا الكتاب حتى أصلح من أمري ما تحب وأعود فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه واذا فيه الزجر عن الزنا وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب ومر ذاهبا وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر أخبرته الخبر فتحير في نفسه وخاف أن يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدي الملك قال أقارب المرأة أعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الأرض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع أرضك فقال أعز الله مولانا الملك أنه قد بلغني أن الأسد قد دخل أرضي وقد هبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمي أنه لا طاقة لي بالأسد ففهم الملك القصة فقال يا هذا ان أرضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الأسد لن يعود اليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه انتهى من حرف الألف (فائدة) الفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال الاطباء اذا أردت أن تعرف المرأة عقيم أم لا فرها أن تحمل بثومة في قطنة وتمكث سبع ساعات فان فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالادوية فانها تحمل باذن الله تعالى والا فلا وهي مجربة والله أعلم (فائدة) قال شيخ الاسلام

محي الدين النووي في أذكاره في باب أذكار المسافر عند ارادته الخروج من بيته يستحب عند ارادة الخروج أن يصلي ركعتين لحديث المطعم بن المقداد الصحابي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماخلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبراني وقال في تتمة أخرى قال الشيخ قطب الدين القسطلاني مما حفظت من والدتي أم محمد آمنة وكانت وفاتها في صفر سنة ست وخمسين وستمائة اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائي احتجبت وبسطوة الجبروت ممن يكيدني استترت وبطول حول حجب عرشك من أعدائي احتجبت وبشديد قوتك من كل سلطان تحصنت وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعذت وبمكنون السر من سر سرك من كل هم وغم تخلصت ياحامل العرش عن حملة العرش ياشديد البطش ياحابس الطير والوحش احبس عني من ظلمني واغلب من غلبني كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز انتهى (وقال) الشيخ قطب الدين ومما حفظته من دعاء والدي من الادعية التي تنفع في الحجب عن الاعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو أنت هو لا اله الا أنت احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم الله من عدوي وعدو الله بألف ألف لاحول ولا قوة الا بالله ختمت على نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وجميع ما أعطاني ربي بخاتم الله القدوس المنيع الذي ختم به أقطار السموات والأرض حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل (وقال الكسائي) دخلت على الوليد ذات يوم وهو في ايوانه وبين يديه مال كثير قد أمر بتفرقته على خدمه الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيرا ما يحدثني فقال هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة قلت هو ياسيدي عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب في ذلك قلت لا أعلم غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة قال سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أبا وابنا وزوجة وبنتا فلم يزل كذلك صدر الاسلام كله يمضي على ما كان عليه الى أن ملك عبد الملك فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال ما أغلظ هذا في دين

الاسلام أن يكون طراز القراطيس هكذا وهي تعمل في الأواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد فأمر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بابطال ذلك الطراز الذي يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير ذلك وأن تعمل صناع القراطيس سورة التوحيد وشهد الله أنه لا اله الا هو وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعا بابطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شئ منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما أثبت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الى ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وعظم عليه واستشاط غيظا فكتب الى عبد الملك انى أعمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم تزل تطرز بطراز الروم الى أن أبطلته فان كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وان كنت قد أصبت فقد أخطؤا فاختر من هاتين الخلتين أيهما شئت وأحببت وقد بعثت اليك بهدية تليق بمحلك وأحببت أن ترد طراز تلك القراطيس الى ما كان عليه وجميع ما كان يطرز أولا أشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه انه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول الى عبد الملك وقال انى ظننت انك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني الى كتابي فأضعفت الهدية وأنا أرغب اليك مثل ما رغبت فيه أولا من رد الطراز الى ما كان عليه فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضي أجوبة كتبه ويقول انك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي فتوهمت انك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الاول وقد أضعفتها لك ثالثا وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه أولا أو لآمرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم أنه لا ينقش شئ منها الا ما ينقش في بلادي ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في بلاد الاسلام فننقش عليها شتم نبيك فاذا قرأته ارفض جبينك عرقا فأحب أن تقبل هديتي وترد الطراز الى ما كان عليه أول الامر وكانت هدية

بوردتني بها وبقي الامر بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الارض وقال أحسبني أشأم مولود ولد في الاسلام لاني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى الى أبد الدهور ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع أهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع انك لتعلم المخرج من هذا الامر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك ثم قال عليك بالباقر من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال صدقت ويكنه يا روح الرأى فيه قال نعم فكتب الى عامله بالمدينة أن ارسل محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه وثلثمائة درهم لنفقته وأرح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه وحبس الرسول قبله الى موافاة محمد بن علي فلما وافاه أخبره الخبر فقال له محمد رضي الله عنه لا يعظم هذا عليك فانه ليس بشيء من جهتين احداهما أن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية تدعو في هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احداهما في وجه الدرهم والدينار والاخرى في الوجه الثاني وتجعل في مدار الدرهم أو الدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة أصناف التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا أحدا وعشرين مثقالا فيجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم في ذلك الوقت انما هي الكسروية التي يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه بسكة كسروية في الاسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية (نوش خور) أي كل هنيئا وكان وزن الدراهم منها قبل الاسلام مثقالا والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة وزن خمسة مثاقيل هي

السامرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وأمر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه أن يكتب السكة فى جميع بلدان الاسلام وأن يتقدم الى الناس فى التعامل بها وان يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرهما وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه بذلك ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله وقد تقدمت الى عمالى فى أقطار البلاد بكذا وكذا وبابطال السكك والطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال انما أردت أن أغيظه بما كتبت اليه لانى كنت قادرا عليه بالمال وغيره برسوم الروم فاما الآن فلا أفعل لان ذلك لا يتعامل به أهل الاسلام وامتنع من الذى قال وثبت ما أشار به محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم الى اليوم ثم رمى يعنى الوليد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان (وقال) نصر الله بن مجلى وكان من الثقات وأهل السنة رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت يا أمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا قلت لا قال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت الى دار حيص بيص فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله انها لم تخرج من فيه أو خطه لاحد وما نظمها الا فى ليلته ثم أنشدنى

ملكنا فكان العفو منا سجية • فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما • غدونا عن الاسرى نعف ونصفح

واسم حيص بيص سعيد بن محمد أبو الفوارس التميمى الشاعر المعروف ويعرف بابن الصيفى ولقب بحيص بيص لانه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال ما الناس فى حيص بيص فبقى هذا اللقب عليه (ومن محاسن شعره)

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا • اقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق يأتى الى من ليس يطلبه • وطالب الرزق يسعى وهو محروم

(وله أيضا)

يا طالب الطب من داء أصيب به • ان الطبيب الذى أبلاك بالداء

هو الطبيب الذي يرجى لعافيـة • لا من يذيب لك الترياق في الماء

(وله أيضا)

اله عما استأثر الله به • أيها القلب ودع عنك الحرق

فقضاء الله لا يدفعـه • حول محتال اذا الامر سبق

(وله أيضا)

أنفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت • على العباد من الرحمن أرزاق

لا ينفع البخـل من دنيا موليـة • ولا يضر مـع الاقبال انفاق

(ومما جاء في الذكاء والفهم) ما حكي عن المأمون أنه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه في الايقاع به وكان قد حضره في ذلك المجلس صديق له فكتب اليـه كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى) فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعـل يطيل النظر اليه ولا يفهـم معناه وكانت له جارية واقفة على رأسـه فقالت له ياسيدي اني أفهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه أراد قوله تعالى يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنـى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون في عدم الحضور فكان سبب سلامته (وأحسن من ذلك) ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فأمر وزيره أن يكتب له كتابا يشخصه به وكان الوزير بالعامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب في آخره ان شاء الله تعالى وجعل في صدر النون شدة فعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب أن لا يشكلوا كتبهـم ففكر في ذلك فظهر له انه أراد ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب وأعاده فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم انه أراد انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها انتهـى (وفي) تاريخ بغداد ووفيات الاعيان ان أبا حنيفة رضي الله عنـه كان له جار اسكافي يعمـل نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا تعشى ثم شرب فاذا دب الشراب فيه غنى وقال

أضاعوني وأي فتى أضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخـذه

العسس منذ لبال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى الى دار الامير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال له ما حاجتك قال أشفع فى جارى فقال الامير أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة فخلوهم أيضا وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج والاسكافى يمشى وراءه فقال له أبو حنيفة يافتى هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد الى ما كان يفعل (وقال) الشافعى قلت لمالك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (فائدة أخرى للصداع) ذكر فى حياة الحيوان ان مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب فى الحروب فقال أهل عمورية للمسلمين ما لأميركم لم يركب فقالوا عرض له صداع فأخرجوا النا برنسا وقالوا ألبسوه له يزل عنه ما يجد فلبسه فشق ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله الرحمن الرحيم واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم فقال المسلمون من أين لكم هذا وهذا انما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدناه محفوظا فى حجر كنيستنا قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى (قال) الحافظ ابن عساكر ويكتب للصداع أيضا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كهيعص حمعسق كم لله من نعمة على عبد شاكر وغير شاكر كم لله من نعمة فى قلب خاشع

وغير خاشع وكم لله من نعمة فى كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب أيها الصداع بعز عزالله بنور وجه الله وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين فانه نافع (وعن) أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله يده حتى مات فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الداعى على هذا الكلب فقال رجل من القوم أنا يارسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام أكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله بالاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى وهذا الحديث فى السنن الأربعة ومسند أحمد وكتابى الحاكم وابن حبان قيل وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وان الرجل الداعى سعد بن أبى وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه أيضا) تكتب هؤلاء الكلمات وتجعل فى أنبوبة وتدفن فى الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد باذن الله تعالى وهى * بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وأفسد بيضهم وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واستجب منا يا أرحم الراحمين وهو عجيب مجرب (فائدة) قال القرافى اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس الكفر فيها الامتناعه من السجود والا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع منه كافرا وليس كفره بكونه حسد آدم عليه الصلاة والسلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا وليس كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغى انه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى ويظهر ذلك من فحوى قوله أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده ان الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة

الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلى ان قالت بثينة ماله * أتانا بلا وعد فقولا لها لها
أتى وهو مشغول بعظم الذى به * ومن بات طول الليل يرعى السها سها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * اذا برزت لم يبق يوما بها بها
لها مقلة كحلا وخد مورد * كأن أباها الظبى أو أمها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى * وكم قتلت بالود من ودها دها

هى من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى أنف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهى عن الأصمعى وقال أبو عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وما سوى ذلك الدود ليس بنغف (وروى) مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله فرسى قتلى وقيل الواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها

(حكاية الهامة)

(روى) أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الأحبار وهو عند عمر ابن الخطاب فقال كعب الأحبار يا أمير المؤمنين الا أخبرك بأغرب شئ رأيته فى كتب الأنبياء ان هامة جاءت الى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام يا هامة أخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبى الله ان آدم أخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لا أشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله تعالى فانا أسكن ميراث الله قال الله تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت أقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور اذا مررت عليها قالت أقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فاخبرينى ما تقولين فى صياحك قالت أقول تزودوا يا غافلون وتهيؤا لسفركم سبحان

خالق النور فقال سليمان ليس فى الطيور طير أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة وما فى قلوب الجهال أبغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان (وفى كتاب فردوس الحكم) قال آية من كتاب الله تعالى من قرأها يأمن الهوام انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم (فائدة) اليعمور حمار الوحش وفى كتاب العرائس لابى الفرج الجوزى ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرفقه شخص فى الطريق فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لى عليك حق وذمة وأنا رجل من الجان ولى اليك حاجة قال وماهى قال اذا أتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك أبيض فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتى اليك قال فقلت له يا أخى وأنا أيضا أسألك حاجة قال وماهى قلت واذا كان الانسان ماردلا تعمل فيه العزائم والح بالآدمى ما مداواته قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليعمور ويشد به ابهام المصاب من يده شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السذاب البرى ويقطر فى أنفه الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فان الماسك به يموت ولا يعود الى أحد بعده قال فلما دخلت المدينة أتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فأبت فاشتريته منها باضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لى من بعيد وقال بالاشارة اذبحه فذبحته فخرج على عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربوننى ويقولون ياساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك أصيبت شابة عندنا بجنى وانه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يعمور وشيأ من دهن السذاب البرى فأتوا بهما فشددت ابهامى يدى الشابة شدا وثيقا فلما فعلت بها ذلك صاح قائلا وأنا علمتك على نفسى ثم قطرت من الدهن فى أنفها الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فخر من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعدها شيطان (فائدة) دم اليربوع يؤخذ ويطلى به الشعر الذى ينبت فى الجفن بعد أن ينتف يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين الهدهد اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج ودمه اذا قطر فى البياض العارض فى العين أذهبه واذا بخر بمخه برج

حمام لم يقربه شئ يؤذيه والله أعلم (وحكى) القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة الحاكم بأمر الله أبي علي منصور قال بينما هو في موكبه قبلي بركة الجيش اذ مر برجل على بستان له وحوله عبيده فاستسقاه ماء فسقاه ثم قال يا أمير المؤمنين قد اطمعتني في السؤال فان رأى أمير المؤمنين أن يكرمني بنزوله لأحظى بتمام السعد فأجابه لذلك ونزل بجيشه فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية سكرية فبهت الحاكم وقال أيها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فاعددت هذا قال لا والله يا أمير المؤمنين وانما أنا تاجر من رعيتك لي مائة محظية فلما أكرمتني بالنزول عندي أخذت من كل واحدة شيأ من فرشها وزائد أكلها وشربها فان لكل واحدة في كل يوم طبق طعام وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب فسجد أمير المؤمنين شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم أمر له بما في بيت المال من الدراهم المضروبة في تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ولم يركب حتى أحضرها وأعطاها للرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروأتك ثم ركب وانصرف (وحكى) أبو اسحق ابراهيم الموصلي قال دعاني يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرا ولديه جالسين بين يديه فقال لي يا أبا اسحق أصبحت اليوم مهموما فأردت الصبوح لاتسلى فغن لي صوتا لعلي أرتاح له فغنيته

اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

فما خلقت الا لجود أكفهم ... وما خلقوا الا لاعواد منبر

فسر وارتاح وأمر لي بمائة ألف وأمر لي كل واحد من ولديه بمائة ألف فحمل المال جميعه بين يدي فأخذته وانصرفت (وحكى عن مخارق) قال أصبحت السماء مغيمة وأصبح الرشيد مع حرمه فأمرنا بالانصراف وأذن لنا أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام فمضى الجلساء أجمعون الى منازلهم فقلت لا والله لأذهبن الى أستاذي ابراهيم الموصلي فاعرف خبره ثم أعود وأمرت من عندي أن يجيؤا لي بمجلس الى وقت رجوعي فجئت الى دار ابراهيم وقلت للبواب أخبر أستاذك فاخبره فقال ادخل فدخلت فاذا هو جالس في رواق وبين يديه قدر تغرغر وأباريق تزهر وستارة

منصوبة والجوارى خلفها فقلت مابال الستارة لا أسمع من ورائها صوتا فقال اقعدو يحك أصبحت على ماترى فأتانى خبر ضيعة بيعت بجوارى وقد كنت طلبتها زمانا وغنيتها فلم أملكها وقد أعطى فيها الآن مائة ألف فقلت وما يمنعك منها وقد أعطاك الله أضعاف هذا المال قال صدقت ولكن نفسى غير طيبه باخراج هذا المال وقال خذ هذا القضيب ونقر بقضيب فى يده على المدورة وألقى على

نام الخليون من وهم وسقم • وبت من كثرة الأحزان لم أنم
ياطالب الجود والمعروف مجتهدا • اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال فأخذته وأحكمته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رأيت واذكر الضيعة وعرفه أنى صنعت له هذا الصوت فأعجبنى ولم أجد من يستحقه الاجاريته دنانير وانى ألقيته عليك لتلقيه عليها وانتنى بما يكون من الخبر قال فجئت الى الباب واستأذنت وأعلمته فأمر بنصب الستارة وألقيت الصوت على الجارية مرارا حتى أحكمته فقال لى تقيم عندنا أو تنصرف قلت أنصرف أطال الله بقاء مولانا الوزير فقال ياغلام احمل معه عشرة آلاف واحمل الى ابراهيم مائة ألف فحملت مالى وأتيت الى منزلى فنثرت على من عندى من الجوارى دراهم من تلك البدرة وأكلت وشربت بقية يومى فلما أصبحت قلت والله لأذهبن الى أستاذى ولأعرفن خبره فأتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه بالامس فقلت له ما الخبر ألم يأتك المال قال نعم غير انه لما دخل منزلى بخلت نفسى باخراجه وألقى على صوتا آخر أتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من أبيه بالامس فأمر أن يحمل معى عشرون ألفا ولابراهيم مائتا ألف وفعلت مثل مافعلت بالامس وغدوت اليه لما أصبحت فوجدته على مثل حاله بمثل عذره وألقى على صوتا غيره أتيت به جعفر بن يحيى وأخبرته بما كان من أبيه وأخيه فأمر ان يحمل معى ثلاثون ألفا والى ابراهيم ثلثمائة ألف فحملته معى اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة ألف وأنا جالس فى مجلسى لم أبرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله أرواحهم أجمعين (وقال اسحق) غدوت يوما وأنا منضجر من ملازمة أمير المؤمنين فعرضت نفسى على أن أطوف فى الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى اذا جاء رسول الخليفة أو غيره فلا تعرفوه مكانى فطفت وعدت وقد حمى النهار

فوقفت فى فضاء أستريح فلم ألبث أن جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها فاخر الثياب ورأيت لها قواما حسنا وظرفا فاتقا فحدثت نفسى أنها مغنية ثم أدخلت الدار التى أنا واقف عليها ثم لم ألبث أن جاء شابان جميلان واستأذنا فأذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظننا أن صاحب الدار دعانى وظن صاحب البيت أنى معهما وجلسنا فأتى بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفى يدها عود فغنت وشربنا فسألهما صاحب المنزل عنى فأخبراه أنهما لا يعرفانى فقالوا هذا طفيلى لكنه ظريف فأجلوا عشرتى فشربنا ودار الكاس فغنت الجارية تقول

ذكرتك اذ مرت بك أم شادن • أمام المطايا وهى بالشرب تسمح
من المولغات الرمل أبدى ثغرها • شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فأدته أداء حسنا ثم غنت صوتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صد لاهيا • ونأى عنى جانبا قد بلغت الذى أرد • ت وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصححه عليها فأقبل على أحد الرجلين يعنفنى ويقول ما رأينا طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلى ويقترح فأطرقت وجعل صاحبه يكفه ولا يلتفت ثم قاموا الى الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا وأخذت عود الجارية وشددت طبقته وأصلحته اصلاحا حسنا محكما وعدت الى موضعى وعادوا وأخذ ذلك الرجل فى عربدته على وأنا صامت وأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت من جس عودى قالوا ما جسه أحد قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها أنا قالت بالله خذ واضرب فأخذته وضربت ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى منهم أحد الا وثب وجلس بين يدى وقال صاحب المجلس أقسم بالله ان لك فى هذه الصناعة أصوا نا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت أنا اسحق الموصلى ووالله انى لأتيه على الخليفة اذا طلبت وأنتم ترون صاحبكم هذا يسمعنى ما أكره لكونى تأدبت معكم ودخلت عندكم ووالله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا الممقوت فقال له صاحبه من مثل هذا خفت عليك وأخذوا بيده وصبوه وأخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الأصوات التى غنتها

الجارية من صنعتي فقال لي الرجل هل لك في خصلة قلت ما هي قال تقيم عندنا أسبوعا والمكافأة الجارية والجهاز لك قلت نعم أفعل وأقمت عنده أسبوعا لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبني في كل حين وكل موضع ولم يقع أحد على خبري فلما انقضت الأيام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلي وركبت من وقتي الى المأمون فلما رآني قال يا أبا اسحق ويحك أين كنت فأخبرته الخبر فقال علي بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فأحضره وسأله المأمون فأخبره بالقصة فقال أنت ذو مرآة وسبيلك أن تعان عليها وأمر له بمائة ألف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهى (ومن كلام الاحوص في حضرة يزيد) غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع • من الحب ميعاد السلو المقابر
ستبقى لها في مضمر القلب والحشا • سريرة ود يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا أدري قال ابعثوا الى الزهري وكان قد ذهب من الليل شطره فأتي به فلما صعد اليه قال لا بأس عليك لن ندعوك الا لخير فجلس وسأله عن قائل هذا الشعر فقال الاحوص قال ما فعل به قال قد طال حبسه فأمر بتخلية سبيله وأن يدفع له أربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فأجازه وأحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى (وحكى) مسرور الخادم أن الرشيد قصد الركوب في غير عادته فقلت له أين تريد يا أمير المؤمنين في هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلي قال فمضى حتى انتهى الى منزل ابراهيم الموصلي فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال يا أمير المؤمنين في مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرق بي البيت ثم نزل وجلس في طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدي استنبطنا شيأ تأكله قبل الشراب قال نعم فجاء بطعوم كأنما كان معدا له فأصاب منه يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال له الموصلي يا سيدي أغنيك أم تغنيك اماؤك قال بل الجواري فخرجت جواري ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانبيه فقال ابراهيم أيضربن كلهن أم واحدة واحدة فقال بل يضرب اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغني قال فضربت اثنتان وغنت واحدة منهن فقالت

اذا دعا باسمها داع يحدثني • كادت لها مهجتي من حوها تقع
لو أن لي صبرها أو عندها جزعي • لكنت أعقل ما آتي وما أدع

لا أحمل اللوم فيها والغرام بها ٭ ما كلف الله نفسا غير ما تسع

ثم غنت أخرى فقالت

طرقتك زائرة فحي خيالها ٭ بيضاء تخلط بالجمال دلالها

هل يطمسون من السماء نجومها ٭ بأكفهم أو يطمسون هلالها

شهدت من الانفال آخر آية ٭ فأردتمو بمحالكم ابطالها

ثم غنت أخرى فقالت

شطت سعاد وأضحى البين قد أبدى ٭ وأرثتك صفا ما تصدع الكبدا

فما احتيالك اذ جد الرحيل بهم ٭ وخلفوك غداة البين منفردا

لا أستطيع لهم صبرا ولا جلدا ٭ ولا تزال أحاديثي بهم جددا

قال فقام حتى وصل صدر الايوان وأخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت لشئ من غنائهن الى أن غنته صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة هذين البيتين لأبي نواس

يا موري الزند قد أعيت قوادحه ٭ اقبس بما شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم ٭ اذا نظرت فلم أنظرك في الناس

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقبلت بين يديه فأخبرته بشئ أسرته اليه فدعا بحماره فركبه ثم التفت الى ابراهيم الموصلي وقال له ما ضرك أن تكون خليفة فكادت روحه تخرج حتى دعا بعد ذلك وأدناه قال وكان الذي أخبرته به سرا أن الصنعة في الصوت لاخته علية بنت المهدي وكانت الجارية لها فوجهتها الى ابراهيم الموصلي يطارحها (ومن قول أبي نواس)

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ٭ وداوني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ٭ لو مسها حجر مسته سراء

من كف ذات حر في زي ذي ذكر ٭ لها محبان لواط وزناء

قامت بابريقها والليل معتكر ٭ فلاح من وجهها في البيت لألاء

فأرسلت من فم الابريق صافية ٭ كأنما أخذها بالعقل اغفاء

رقت على الماء حتى لايلائمها ٭ لطافة وخفي من شكلها الماء
فلو مزجت بها نور المازجها ٭ حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية ذل الزمان لهم ٭ فما يصيبهم الا بما شاؤا
فقل لمن يدعي في العلم توسعة ٭ حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

(وقال الشاعر)

كعصفورة في كف طفل يهينها ٭ تذوق مرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها ٭ ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

(وروى) البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فدنا الى الفخ وقال مالك متغيبا في التراب فقال للتواضع فقال فم انحنيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة التي في فيك قال أعددتها للصائمين فلما تناول الحبة أمسك الفخ عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقك فلا خير في هذه العبادة اليوم انتهى (قال) الشافعي رضي الله عنه أربعة أشياء تزيد في الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل وأكل الفستق وأكل الجرجير وأربعة أشياء تزيد في العقل ترك الفضولي من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم وأربعة تقوي البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة انتهى من حرف العين (ودخل) ابن الخياط المكي على المهدي ومدحه فأمر له بخمسين ألف درهم فسأله أن يأذن له في تقبيل يده فأذن له فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب في ذلك فأنشد يقول

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ٭ ولم أدر أن الجود من كفه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ٭ أفدت وأعداني فأتلف ما عندي

فغنى بهما المهدي فأمر له بخمسين ألف دينار انتهى (ولبعضهم تغزلا في مليح)

أقول لمقلتيه حين ناما ٭ وصعر النوم في الاجفان ساري
تبارك من توفاكم بليل ٭ ويعلم ما جرحتم بالنهار

(الامام أحمد ومناقبه رضي الله تعالى عنه)

مات سنة مائتين واحدى وأربعين وحزر من حضر في جنازته فكانوا ثمانمائة ألف

ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته رضى الله عنه عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى (وقال) الامام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات ان المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الامام أحمد فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغنى موت الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه اغتممت غما شديدا فرأيته فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت يا أبا عبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى غير مخلوق ثم قال الله تعالى يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعو بهن فى دار الدنيا فقلت يا رب أسألك بقدرتك على كل شئ أن لا تسألنى عن شئ واغفر لى كل شئ فقال جل وعلا يا أحمد هذه الجنة فادخل فيها (وأنشد) بعضهم فى تاريخ موت الأئمة الأربعة ومولدهم الامام أبى حنيفة والامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعين

تاريخ نعمان يكن سيف سطا • ومالك فى قطع جوف ضبطا
والشافعى صين ببرند • وأحمد بسبق أمر جعد
فخذ على ترتيب نظم الشعر • ميلادهم فموتهم فالعمر

وكذا فى تاريخ الأئمة الخمسة المحدثين الامام الترمذى وأبو داود والامام مسلم والنسائى والامام البخارى (وقد جمع ذلك بعضهم فى بيت واحد فقال)

اذا رمت الحديث فلذ بخمس • تكن مثل المشافه فى الحياة
تعطر درهمه مارس نسج • يشور للمحدث للوفاة

بيان ذلك أن التاء اشارة للترمذى والدال اشارة لأبى داود والميم اشارة للامام مسلم والنون للنسائى والباء للبخارى والله أعلم (ويحكى) انه أتى برجل مدنى سكران الى بعض الولاة فأمر باقامة الحد عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا فلم يتمكن من ضربه فقال الجلاد للمدنى تقاصر لينالك الضرب فقال ويلك الى أكل الفالوذج تدعونى والله لوددت أنا أكون أطول من عوج بن عنق وأنت أقصر من يأجوج

ومأجوج فاستظرفه الامير وخلى سبيله انتهى من حلبة الكميت (ومن قول ابن المعتز)

وجاءنى فى قميص الليل مستترا ۞ يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء صباح كاد يفضحنا ۞ مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره ۞ فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(ولبعضهم عفا الله عنه)

جرى دمعى من الحال الذى بى ۞ كجرى الماء فى أول أبيب
ومع هذا فلا أقطع رجائى ۞ لان الله ألطف من أبى بى

(ومن كلام الشافعى رضى الله عنه)

لم يدر طعم الفقر من هو فى غنى ۞ ومصحح الاعضاء ليس كمبتلى
كم فاقة مستورة بمروأة ۞ وضرورة قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شجى ۞ قد صاد فتنه غمة لا تنجلى
والناس جمعا عند كل كفؤه ۞ والهم مفترق وما أحد خلى
لو سود الهم الملابس لم تجد ۞ بيض الثياب على امرئ فى محفل
واذا أراد المرء يجلو همه ۞ عن نفسه من نفسه لا ينجلى

(ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعى رحمه الله تعالى فى أرض اليمن)

رياض نجد بكم جنان ۞ فضية نورها حسان
وترب واديكمو بنجد ۞ مسك وحصباؤها جمان
والروض من شعبكم عبير ۞ والزهر ورد وزعفران
والجار فى ربعكم عزيز ۞ والحر فى أرضكم يصان
فكم سفكتم دمى ودمعى ۞ أما على القاتل الضمان
ودمت أخفى الهوى ودمعى ۞ من شدة الوجد ترجمان
يا لائمون اقصروا ملامى ۞ رفقا بمن قلبه ملان
لا تذكروا الظاعنين عندى ۞ فلى وللظاعنين شان

قالوا اهواهم عليك حتم • فقلت عهد الهوى يصان
قالوا فكم تكتم التصابي • قلت المعنى بهم معان
قالوا فقد فارقوك ربما • فقلت هم الناس حيث كانوا
قالوا افدعهم فقلت كلا • لعل دهرا قسا يلان
ليت الصبا الحاجرى ينبي • عن جيرة البان يوم بانوا
هل عهدهم عهدهم بنجد • باق أم استؤمنوا فخانوا
يا محسنا بالزمان ظنا • هل تدر ما يفعل الزمان
لا تتبع النفس فى هواها • ان اتباع الهوى هوان
واخجلتى من عتاب ربى • ان قيل أسرفت يا فلان
الى متى أنت فى الملاهى • تصير حرنى لك العنان
لو خوفتك الجحيم بطشى • لشوقت قلبك الجنان
عندى لك الصفح وهو برى • وعندك السيف والسنان
ما تستحى كاتبا كريما • يحصى به الفعل واللسان
وتستحى شيبة تراها • فى النار مسحوبة تهان
أنت شجاع على المعاصى • وأنت عن طاعتى جبان
لم ينهك الشيب عن حدودى • ولا رسولى ولا القرآن
ترضى بأن تنقضى الليالى • وما انقضى حربك العوان
أى أوان تتوب فيه • هل بعد قطع الرجا أوان
آثرت غيرى على لكن • كما يدين الفتى يدان
يا سيدى هذه عيوبى • وأنت فى الخطب مستعان
يا من له فى العصاة شان • البر والعطف والحنان
يا من ملا بره النواحى • لم يخل من بره مكان
عفوا فانى رهين ذنب • حاشاك أن يغلق الرهان
فاغفر لعبد الرحيم والطف • بخائف ما له أمان
وسامح الكل من ذنوب • غدا بها يشهد البنان
وصل يا ذا العلا وسلم • على من اخلاقه حسان

(وهذه) قصيدة الامام الولى العارف بالله تعالى أبى محمد بن أبى عمران اليشكرى نفعنا الله به قال العلامة بدر الدين بن فرحون أحد أصحاب ناظمها ان بعض الصالحين رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال البدر وأشك هل كان هو الشيخ أو غيره وأنشد هذه القصيدة فلما بلغ آخرها قال النبى صلى الله عليه وسلم رضيناها رضيناها وهى هذه

دار الحبيب أحق أن تهواها • وتحن من طرب الى ذكراها
وعلى الجفون اذا هممت بزورة • يا ابن الكرام عليك أن تغشاها
فلانت أنت اذا حللت بطيبة • وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغنى الجمال من الخواطر والتى • سلبت قلوب العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكى كتربها • هيهات أين المسك من رياها
طابت فان تبغى لطيب يافتى • فادم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح تقررا • ان الاله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها • واختارها ودعا الى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها • شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطئ الثرى • واجلهم قدرا وأعظم جاها
كل البلاد اذا ذكرن كأحرف • فى اسم المدينة لا خلا معناها
حاشا مسمى القدس فهى قريبة • منها ومكة انها اياها
لا فرق الا أن ثم لطيفة • مهما بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بان خير الارض ما • قد حاز ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت • كالنفس حين زكت زكى مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة • فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بهجرة حبه • الله شرفها به وحباها •
ما بين قبر للنبى ومنبر • حيا الاله رسوله وسقاها
هذى محاسنها فهل من عاشق • كلف شجى ناحل بنواها
انى لأرهب من توقع بينها • فيظل قلبى موجعا أواها
ولقلما أبصرت حال مودع • الا رثت نفسى له وشجاها •

فلكم أراكم قافلين جماعة • فى اثر أخرى طالبين سواها
قسما لقد اكسى فؤادى بينكم • جزعا وجفن مقلتى مياها
ان كان يزعجكم طلاب فضيلة • فالخير أجمعه لدى مثواها
أو خفتمو ضرا بها فتأملوا • بركات بقعتها فما أزكاها
أف لمن يبغى الكثير لشهوة • ورفاهة لم يدر ماعقباها
فالعيش ما يكفى وليس هو الذى • يطغى النفوس الى خسيس مناها
يارب أسأل منك فضل قناعة • بيسيرها وتحصنا بحماها
ورضاك عنى دائما ولزومها • حتى توافى مهجتى أخراها
فأنا الذى أعطيت نفسى سؤلها • فقبلت دعواها فيابشراها
بجوار أوفى العالمين بذمة • وأعز من بالقرب منه يباهى
من جاء بالآيات والنور الذى • داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الانام بخطة الشرف التى • تدعى الوسيلة خير من يعطاها
انسان عين الكون سر وجوده • يس اكسير المحامد طاها
حسبى فلست أفى ببعض صفاته • لو أن لى عدد الورى أفواها
كثرت محاسنه فأعجز حصرها • فغدت وما تلقى لها أشباها
انى اهتديت من الكتاب بآية • فعلمت أن علاه ليس يضاهى
ورأيت فضل العالمين محددا • وفضائل المختار لا تتناهى
كيف السبيل الى تقصى مدح من • قال الاله له وحسبك جاها
ان الذين يبايعونك انما • هم من يقال يبايعون الله
هذا الفخار فهل سمعت بمثله • واها لنشأتها الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا فبذلكم • تهدى النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد • وعليه من بركاته أنماها
وعلى الاكابر آله سرج الهدى • أكرم بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم • وعلى صحابته التى زكاها
أعنى الكرام أولى النهى أصحابه • فئة التقى ومن اهتدى بهداها

والحمد لله الكريم وهذه • تجزت وظني انه يرضاها
وهذا آخرها والحمد لله وحده (ولبعضهم شعر)

لله في ملكه خاتم • تجرى المقادير على نقشه
لا تنبشن الشر تبلى به • واحذر على نفسك من نبشه
مصارع الدهر لها سطوة • تنزل السلطان عن عرشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا • أدرج رأس الكبش في كرشه
اذا بغى المرء على جنسه • لابد أن ينكب في فرشه

(قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك) ذكر العلامة الشمس العلقمي في حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبي أخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فأتني بأبيك فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاء الشيخ فاسأله عن شئ قاله في نفسه ما سمعته اذناه فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال يارسول الله هل أنفقه الا على احدى عماته أو خالاته أو على نفسي فقال عليه الصلاة والسلام أيها الشيخ دعنا من هذا أخبرني عن شئ قلته في نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يارسول الله ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيأ ما سمعته أذناى فقال له قل فأنا أسمع فقال

غذيتك مولودا وعلتك يافعا • تعل بما أسدى اليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت • لسقمك الا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذى • طرقت به دوني وعيناى تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها • لتعلم أن الموت شئ مسجل
فلما بلغت السن والغاية التى • اليها مدى قد كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة • كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى • فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال له أنت ومالك لأبيك انتهى (وحكى الاصمعي) قال خرجت في طلب الأعاجيب من الاحاديث

فلاحت لى بلدة بيضاء كأنها الغمامة فدخلتها فاذا هى خراب وليس فيها ديار ولا أنيس فبينما أنا أدور فى نواحيها اذ سمعت كلاما فطار قلبى فانصت فاذا به كلام موحش فسللت سيفى ودخلت ذلك المكان فاذا أنا برجل جالس وبين يديه صنم وفى يديه قضيب وهو يبكى وينكت به الارض ويقول

أما ومسيح الله لو كنت عاشقا ... لمت كما ماتت وماضمنى لحدى

وكم أتسلى بالحديث وبالمنى ... وبالعبرات السائلات على خدى

وانى وان لم يأتنى الموت سرعة ... لامسى على جهد وأضحى على جهد

قال فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه فلم يشعر بى الا الآن قلت له السلام عليك فرفع رأسه وقال وعليك السلام من أين أنت ومن جاء بك الى هذا المكان فقلت الله جاء بى قال صدقت وهو الذى أفردنى فى هذا المكان فقلت له ما بالك تشير الى هذا الصنم الذى بين يديك فقال لى ان حديثى عجيب وأمرى غريب فقلت له حدثنى به ولا تخف منه شيأ فقال لى اعلم اننا كنا قوما من بنى تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنمة ابنة عمى وكنت أنا واياها فلما كبرت حجبها عمى عنى فكنت أحبها سرا فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها اذ سمعت عمى يدق الباب فادخلتنى سردابا وقامت هى ففتحت الباب ودخل عمى فقال لها أين عبد المسيح فقالت انى لم أره فقال لها انى سمعت كلامه عندك فقالت لم تسمع شيأ وانما خيل لك فقال لها والله ان لم تصدقينى والا دعوت عليك ان كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت له اذا كنت كاذبة فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم يارب الاولين والآخرين ان كنت تعلم ان ابنتى هذه كاذبة فى قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولى أربعون سنة فى هذا المكان وأنا أتقوت من نبات الأرض وأشرب من هذه الانهار وأتسلى بالنظر الى هذه الصنمة الى أن يحكم الله لى بالموت ثم بكى وأنشد يقول

وحق الذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى خلق الخلقا

لئن قلت ان الحب قد يقتل الفتى ... وان الفتى بعد التفرق لا يبقى

لقد قلت حقا وأسال العبرة التى ... تسيل وسيل الدمع منى لا يرقا

قال الأصمعى ثم قام ذلك الشاب وتوارى عنى بجدار من تلك الجدر ونزع المسوح التى كانت عليه ولم يبق عليه الا ما يوارى سوأته فتأملته فاذا عيناه تدور فى أم رأسه

فقلت فى نفسى هذا أراد أن يطلعنى على نحول جسده ثم أقبل على وهو عريان وقال لى يافتى انى قائل ثلاثة أبيات وكان منى ما كان فاذا أنا مت فكفنى أنا واياها فى هذه الجبة وادفنا فى هذه الجون وضمنا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الابيات

من لم يكن يحسب أن الهوى • يقتل فلينظر الى مضجعى

لم يبق لى حول ولا قوة • الا خيال الشمس فى موضعى

أشكو الى الرحمن جهد البلا • اشارة بالطرف والاصبع

قال الأصمعى هذا وأنا أنظر اليه وأسمع شعره وأتعجب منه ومن أمر الصنمة واذا به وقع على الأرض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسده قال الأصمعى فكفنتهما ودفنتهما فى ذلك الجون وكتبت على قبرهما تلك الابيات وتركتهما وانصرفت وأنا متعجب غاية العجب انتهى (ولما) عزم أحمد بن طولون على بناء الجامع المعروف به فى مصر القاهرة أنفق عليه مائة ألف دينار ورتب فيه للعلماء والقراء وأرباب الشعائر والبيوت فى كل شهر عشرة آلاف دينار والصدقة فى كل يوم مائة دينار وكان مشتملا على خصال جيدة (منها) أن فقيرا كان بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت وكانت البنت لم تفارق البيت وما نظرت الى السوق قط ولا خرجت فسألت أمها وأباها أن تخرج معهما الى السوق فواعداها بذلك فلما قصدا بيع الغزل خرجت معهما الى السوق فمروا بباب الأمير المسمى بالفيل وتمادى الأب والأم وتركاها ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة لا تدرى أين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الأمير المسمى بالفيل فلما رآها افتتن بها فمسكها ودخل بها ثم أمر الجوارى أن يغسلنها وينظفنها ويلبسنها أحسن الملبوس ويطيبنها بانواع الطيب ويجلينها له ففعلن ذلك فدخل عليها وأزال بكارتها هذا ووالداها قد حزنا عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الاماكن فلم يقعا لها على خبر فلم يزالا يبكيان فلما جن الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج أبوها وفتح الباب فقال الرجل لابيها ان الأمير المسمى بالفيل أخذ ابنتك وأزال بكارتها فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لاحمد بن طولون مؤذن وكان قد عاهده على انه اذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن فى غير الوقت ليحضره ويستفهم منه الواقعة وكان المؤذن بينه وبين أبى البنت صداقة فجاء اليه

وأخبره بخبره فصعد وأذن فسمعه أحمد بن طولون فارسل خلفه فاخبره بالقضية فاستدعى بأبوى البنت وخبأهما فى خزانته وكان وقت مجىء الفيل لخدمته فلما دخل على عادته قال له نهنيك بالعروس الجديدة فقال له ومن أين لى عروس جديدة قال أتنكر منى وهذا أبوا الجارية وأمها وأخرجهما اليه فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الامراء الحاضرين فقال له أحمد بن طولون ارفع رأسك ثم قال لأبيها تزوج ابنتك مملوكى هذا على صداق قدره ألف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة فقال نعم فامر باحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود أمر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع رأسه وقال أحمد بن طولون لابى الجارية ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقى من تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له على أفعاله فانظر الى هذا العدل العظيم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (ومما نقل عن بعضهم)

توق رجالك الله تسعا من البشر • فصحبتهم تفضى الى البؤس والضرر
وهم أحول مع أعرج ثم أحدب • كذا كوسج يتلونشاطا مع الكدر
واياك والانف الطويل وأصفرا • فانهما بيت الخيانة والخطر
كذا فاتر الصدغين خارج جبهة • كذا أزرق العينين فالحذر الحذر
توقاهمو تحيا سليما من الردى • وباعدهمو ياذا الفراسة والنظر

(يقول مصححه المفتقر الى عفو البارى عبده على بن أحمد الشهير بالهوارى)

حمدا لمن جعل فى سير الأولين عظة للمتأخرين وجعلها تذكرة لمن أراد توفيقه وجعله من الهداة المستبصرين وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا محمد المبعوث بالهدى ودين الحق القويم وعلى آله وأصحابه الذين اختصهم الرحمن بمحض فضله لسلوك الصراط المستقيم وهداهم الى سلوك سبيله فاتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم والتابعين لهم باحسان ماكر الجديدان (أما بعد) فقد تم طبع الكتاب الجامع من محاسن الأخبار العجب العجاب المسمى باعلام الناس بما جرى للبرامكة مع بنى العباس للاستاذ الكامل الفاضل الأديب الكامل الشيخ محمد المشهور بدياب الاتليدى رحمه الله وذلك بمطبعة التقدم العلمية التى مركزها درب الدليل بمصر المحمية ادارة (حضرة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه) ولاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه فى أواخر شهر رمضان المعظم سنة ١٣٢٣ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين



﴿فهرست كتاب اعلام الناس﴾

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرست)

